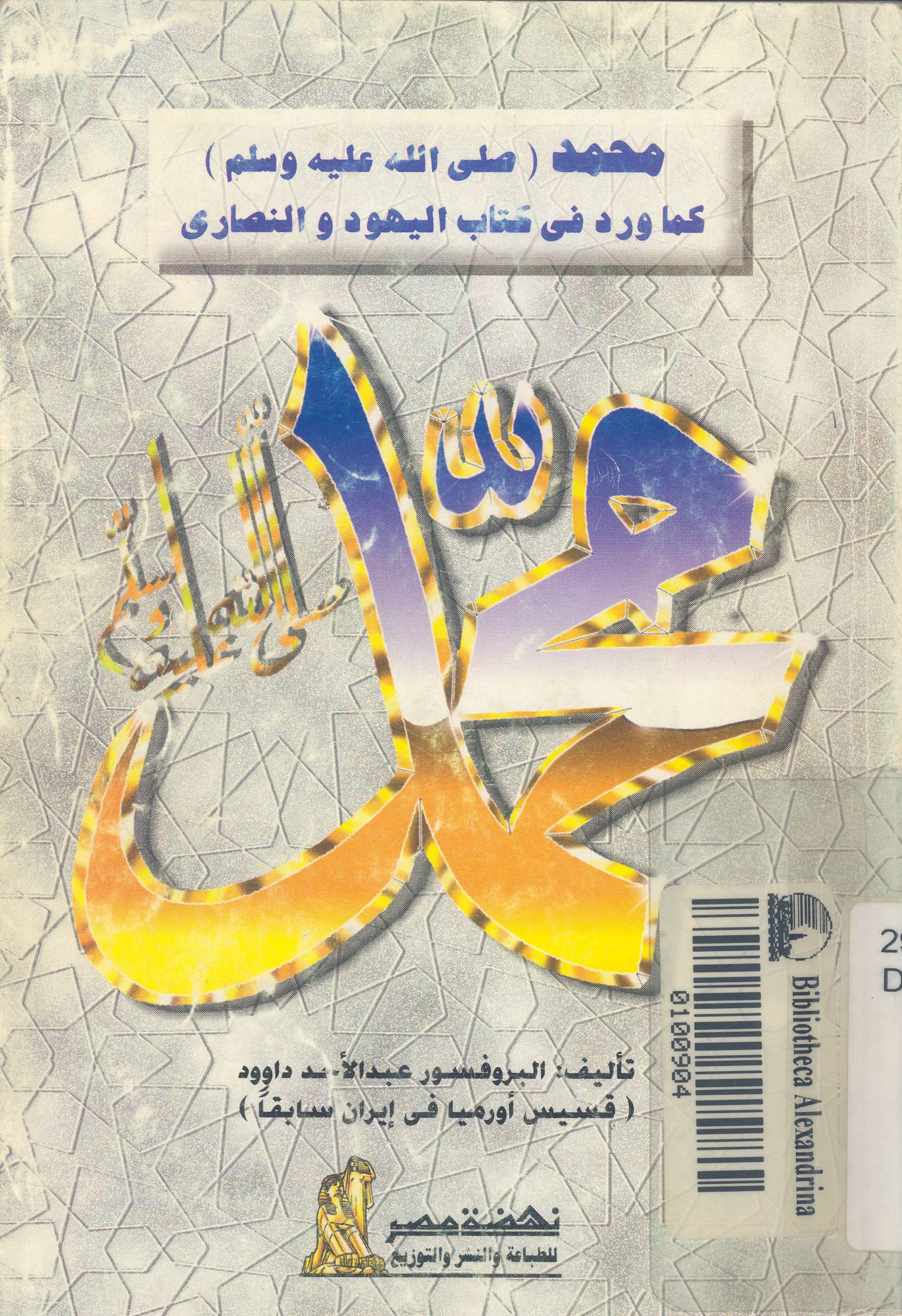
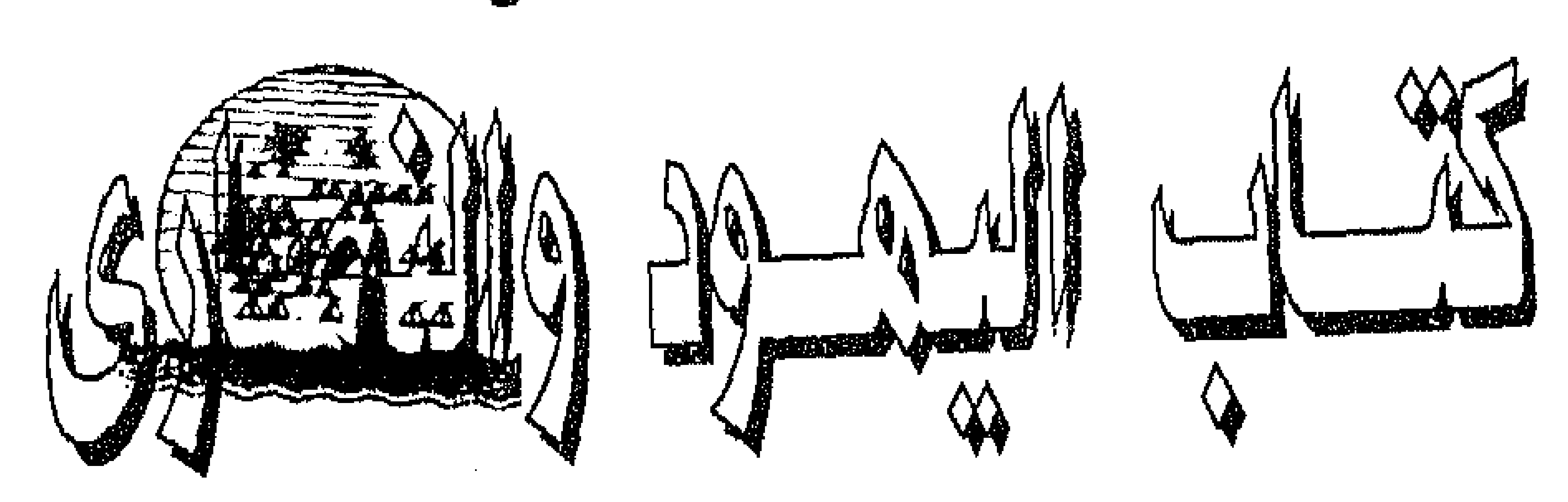

محمد (صلى الله عليه وسلم)
كما ورد فى كتاب اليهود و النصارى
تأليف: البروفسور عبدالأحد داوود
(قسيس أورميا فى إيران سابقاً)
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
Bibliotheca Alexandrina
0100904



كمـــا ورد فـــى



Organization of the Alexandria Library (GOAL

تأليـف

البـروفسـور عبدالأحـــد داود
(قسـيس أورميا فـى إيران سابقا)

ترجمـــة

م . محمد فاروق الزين

الهيئة العا... الإسكندرية
29763
رقم التسجيل ٤٤٨٢١

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

– **اسم الكتاب** : محمد ﷺ كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى .

– **اسم المؤلف** : البروفسور عبد الأحد داوود (قسيس أورميا فى إيران سابقا) .

– **ترجمة** : م .محمد فاروق الزين .

– **تقديم الكتاب** : م . عبد المعطى على باشا .

– **تاريخ النشر** : أبريل ١٩٩٥م

– **رقم الإيداع** : ١١١٤٠ / ٩٥

– **الترقيم الدولى** : I.S.B.N. 977 - 14 - 0330 - 3

– **الناشر** : نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .القاهرة ج . م . ع

تليفون : ٥٩٠٨٨٩٥/٥٩٠٩٨٢٧ فاكس : ٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب : ٩٦ الفجالة ١٨ شارع كامل صدقى ـ القاهرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

(الأعراف الآية ١٥٧)

مؤلـف الكتــاب

هو البروفسور عبد الأحد داود المسمى سابقًا (دافيد بنجامين كلدانى) عندما كان كاهنًا كاثوليكيّا من طائفة الكلدان ويوجد نبذة عن حياته في مقدمة الكتاب . وقد أجاب المؤلف عندما سئل عن سبب إسلامه قائلاً : « **إن السبب الوحيد لاعتناقي الإسلام هو الهداية الإلهية التى كان ممكنًا – لولاها – أن تقودنى جميع علومى وأبحاثى إلى الضلال . وإننى فى اللحظة التى آمنت بها بأن (لا إله إلا الله) أصبح رسول الله محمد قدوة لى فى سلوكى وتصرفاتى** » .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

لقد قرأت هذا الكتاب عدة مرات واقتنعت بأنه جدير بأن يطلع عليه الناس في مصر ويناقشوا ما جاء فيه بموضوعية وصدق الإيمان لأنه جاء على لسان أحد كبار (الكهنة سابقا) الذى درّس ديانته السابقة باعتباره رئيسا لمجمعه الدينى السابق لكثير من مسؤولى ديانته السابقة. وقد عزز كتاباته بأسانيد وحجج من الكتب (المقدسة) المتداولة فى أيدى معتنقى الديانات الأخرى التى كان هو أحد معتنقيها ، واهتدى إلى نور الإسلام ، حقا إنه كتاب قيم يعزز ويقوى ويرسخ إيمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله جميعا بدءا بآدم وانتهاء بمحمد خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، لقد كان لى شرف تقديم هذا الكتاب إلى دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع فاستجاب صاحبها الأستاذ/ محمد إبراهيم وجميع من يعملون بهذه الدار إلى قناعتهم بأهمية طباعة ونشر هذا الكتاب (وقد نشر فى انجلترا وبعض دول آسيا وغيرها) جزاهم الله خيرا ونفع الله به جماهير مصر العزيزة والأمة العربية .

إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

والله ولى التوفيق

مهندس/ عبد المعطى على باشا

نبذة عن حياة المؤلف أستاذ اللاهوت
البروفسور عبد الأحد داود

عبد الأحد داود هو كبير الكهنة (دافيد بنجامين كلدانى) أستاذ اللاهوت وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان. ولد عام ١٨٦٧ م قرب (أورميا Urmia) فى إيران وتلقى فيها تعليمه الإبتدائى.

وخلال الفترة من ١٨٨٦ إلى ١٨٨٩ عمل فى جهاز التعليم ضمن بعثة رئيس أساقفة (كانتربورى) التى كانت توجه النصارى الآشوريين (النساطرة) فى أورميا . وفى عام ١٨٩٢ أرسله الكاردينال (فوجان Vaughan) إلى روما حيث تلقى تعليمه فى الدراسات الفلسفية واللاهوتية فى كلية (Propaganda Fide) ، ثم فى عام ١٨٩٥ تم تعيينه كاهناً .

وخلال تلك الفترة اشترك فى وضع سِلسِلة مقالات فى مجلة (اللوح The Tablet) حول موضوع (الآشورية ، وروما ، وكانتربورى) وأيضًا فى مجلة (السجل الأيرلندى The Irish Record) حول موضوع (صحة أسفار التوراة Pentateuch) . وله عدة ترجمات عن (السلام المريمى Ave Maria) بلغات عديدة نشرت فى مجلة (الإرساليات الكاثوليكية المصورة) ، وعندما توقف فى استانبول فى طريق عودته إلى إيران ، ساهم فى نشر سلسلة مقالات باللغتين الإنجليزية والفرنسية فى الصحيفة اليومية (رائد المشرق The Levant Herald) حول موضوع (الكنائس الشرقية) . ولدى وصوله إلى أورميا فى العام ١٨٩٥ انضم إلى بعثة (لازارست Lazarist) الفرنسية فى أورميا ونشر لأول مرة فى تاريخها منشورات دورية باللغة السريانية تدعى (صوت الحق) ، وفى عام ١٨٩٧ انتدبه كبار أساقفة طائفة الكلدان فى (أورميا) و(سالماس) لتمثيل الكاثوليك الشرقيين فى مؤتمر (القُربان المقدس) الذى عقد فى مدينة (باراى لومونيال Paray-Le-Monial) فى فرنسا برئاسة (الكاردينال بيرو Perraud) .

وقد نشر البحث الذى قدمه الأب بنجامين إلى المؤتمر فى الحوليات التى كان يصدرها مؤتمر القربان المقدس تحت اسم (الحاج Le Pelerin) . وفى هذا البحث انتقد (كبير الكهنة الكلدانى) (وهو لقبه الرسمي الجديد) نظام التعليم الكاثوليكى بين النساطرة وتوقع ظهور الكهنة الروس فى أورميا فى القريب العاجل .

وفى عام ١٨٩٨ عاد الأب بنجامين مرة أخرى إلى إيران حيث أقام فى قرية (ديجالا) مسقط رأسه التى تبعد ميلاً واحدًا عن المدينة وافتتح فيها مدرسة مجانية . وبعد عام واحد أرسلته السلطات الكنسية إلى (سالماس) كى يتولى مسؤولية الأسقفية فيها حيث كان الصراع حادًا بين رئيس الأساقفة (خوداباش) وبين الآباء اللازاريين مما كان يهدد بالانشقاق والفضيحة . وفى أول يوم من أيام عام ١٩٠٠ ألقى الأب بنجامين موعظته التذكارية الأخيرة وصلى بجمع كبير من الناس بما فيهم عدد من الأرمن غير الكاثوليك اجتمعوا فى كاتدرائية (سانت جورج، خوروفاباد) فى سالماس وكان موضوع.الموعظة (قرن جديد ورجال جدد) وقد ذكر فيها أن البعثات النسطورية قبل الإسلام كانت تنشر الأناجيل فى جميع أنحاء آسيا وأنه كانت لهم عدة مؤسسات فى الهند (خصوصًا فى ساحل مالابار) وفى بلاد التتار (والصين) ومنغوليا وأنها ترجمت الأناجيل إلى لغة إيغور التركية وغيرها . ولكن فى عصره جاءت البعثات الكاثوليكية الأميريكية والإنجليزية التى رغم أنها ساعدت أبناء الأمة الآشورية الكلدانية فى التعليم الإبتدائى لكنها سببت انقسام تلك الأمة القليلة العدد المبعثرة فى أنحاء إيران وكردستان والعراق إلى طوائف متخاصمة عديدة مما أدى إلى انهيارها الكامل ، ولذا فقد نصح الأب بنجامين الأهالى بأن يتحملوا التضحيات للاعتماد على أنفسهم كالرجال بدلاً من الاعتماد على البعثات الأجنبية .

كان الأب بنجامين محقًا ولكن أفكاره لم تكن فى صالح البعثات وأسيادها لذا سارع المندوب البابوى فى أوروبا المونسيور (ليزنيه Lesne) بالحضور إلى (سالماس) لاستدعائه ، وقد عاد كلاهما إلى أورميا التى تأسست فيها بعثة روسية جديدة عام ١٨٩٩ وكان النساطرة يندفعون بحماس لاعتناق ديانة قيصر عموم روسيا .

وكانت هناك خمسة بعثات أجنبية كبرى تعمل فى المنطقة هى : (الأميريكية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية) تدعم كلا منها مدارسها وصحافتها وجمعياتها الدينية الغنية والقناصل والسفراء وكانت كل من هذه البعثات تسعى لتحويل ما يقرب من مائة ألف كلدانى أشورى من البدعة النسطورية إلى إحدى البدع الخمسة الأخرى .

وقد تفوقت البعثة الروسية على بقية البعثات فى استقطاب الأمة الآشورية الكلدانية لكنها قامت بتحريض تلك الأمة وتحريض القبائل الجبلية الكردستانية التى هاجرت إلى سهول سالماس وأورميا - على حمل السلاح ضد حكوماتها عام ١٩١٥ . وكانت النتيجة أن هلك نصف هؤلاء السكان فى الحرب وطرد الباقون من أراضيهم وممتلكاتهم .

وكان التساؤل الكبير الذى تفاعل لمدة طويلة فى ذهن الأب بنجامين قد اقترب أخيرا من نهايته ! هل يمكن أن تكون المسيحية بفرقها وأشكالها المتعددة وكتبها الملتوية المحرفة ، هل يمكن أن تكون هذه ديانة اللّه الصحيحة ؟!!

وفى صيف العام (١٩٠٠) اعتزل كبير الكهنة فى منزله الصغير وسط كروم العنب قرب نبع (شاليبولاغى) المشهور فى (ديجالا) وأمضى شهرًا كاملاً فى الصلاة والتأمل يعيد قراءة الكتب المقدسة مرة بعد أخرى وفى النهاية قدم استقالته إلى رئيس الأساقفة فى أورميا المونسنيور (توما عاو دو) وشرح فيها بصراحة أسباب تخليه عن وظيفته . وقد حاولت السلطات الكنسية مرارًا أن تثنيه عن عزمه ولكن دون جدوى إذ لم تكن هناك خصومات شخصية بين الأب بنجامين ورؤسائه وإنما كان الأمر يتعلق بالقناعة الشخصية .

ولعدة شهور بعد ذلك عمل السيد عبد الأحد داود - وهذا ما أصبح يدعى به الآن - فى (تبريز) مفتشًا فى البريد والجمارك الإيرانية ودخل بعد ذلك فى خدمة ولى العهد (محمد على ميرزا) بوظيفة مدرس ومترجم . وفى عام ١٩٠٣ ذهب إلى بريطانيا وانضم إلى جماعة الموحدين (Unitarian Community) التى أرسلته عام ١٩٠٤ إلى إيران كى يقوم بمهمة التعليم والتوعية بين مواطنيه .

وفى طريقه إلى إيران توقف فى إستانبول كعادته حيث أجرى مناظرات عديدة مع شيخ الإسلام جمال الدين أفندى وغيره من علماء المسلمين واعتنق الإسلام على أثر ذلك .

تمهيد

نبى الجزيرة العربية كما جاء فى الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى

(وحى من جهة بلاد العرب) (سفر إشعيا ٢١/ ٣ ١)

يضم هذا الكتاب سلسلةً من الدراسات الرائعة بقلم الأب البروفسور عبد الأحد داود . وهى من العمق والأصالة بحيث أن فهمها قد يفوت الكثيرين بمن فيهم بعض رجال الكهنوت فى الكنيسة المسيحية .

ومن المدهش أن هذا العالم قدم أبحاثه مستعينًا بالنصوص الآرامية والعبرية واللاتينية واليونانية فى الوقت الذى يوجد فيه القلائل فقط – حتى من بين رجال الكهنوت – ممن يستطيعون فهم الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس (The Vulgate) المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية ، والقلائل أيضًا ممن يفهمون النص اليونانى الأصلى لكتب العهد الجديد .

ومهما كان تقويم مثل هذه الدراسات فى نظر أعدائها فلا شك أن الكثيرين عاجزون عن تذوقها ، أضف إلى ذلك أن الغموض الذى يلازم تنبؤات الكتاب المقدس يجعلها مرنة بصورةٍ كافية لكى تغطى – تقريبًا – أى موضوع .

وهناك صعوبة كبرى تواجه الدارس ، فكيف يمكن للمرء أن يعتمد على بينةٍ أو شهادةٍ من كتاب كان باعتراف الجميع محشوًا بالفلكلور ومشكوكًا فى أصالته ! على أنه يمكن الاعتماد فى المناقشة على أقسام من الكتاب المقدس التى لا تسمح بجدل لغوى . فمثلاً لنقرأ الكلمات الواردة فى العهد القديم والموجهة إلى موسى عليه السلام (سفر التثنية ١٨/١٨) كما وردت فى نص النسخة المنقحة المعتمدة (RSV) التى نشرتها جمعية الكتاب المقدس البريطانية :

(أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه) .

(سفر التثنية ١٨/١٨) .

فإن لم تتحقق هذه النبوءة فى محمد فإنها تبقى غير متحققة حتى الآن . أما عيسى المسيح فإنه لم يدع قط أنه النبى المشار إليه وكان الحواريون بعده يتطلعون إلى عودته مرةً ثانية لكى تتحقق النبوءة[1] ولكن الواضح أن عودة المسيح مرة ثانية لن تحقق النبوءة ؛ فالمسيح كما تؤمن به الكنيسة سوف يظهر كقاضٍ وليس كمشرِّع ، بينما النبى الموعود هو الذى يجىء حاملاً (**الشريعة المشعة بيده اليمنى**) (سفر التثنية ٢/٣٣) .

وللتأكد من شخصية النبى الموعود نستند إلى النبوءة الأخرى المنسوبة إلى موسى والتى تتحدث عن **(النور المشع، القادم من فاران)** وهى جبال مكة .

ولنقرأ النص فى (سفر التثنية ٢/٣٣) الذى يذكر ما يلى :

(جاء نور الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ، والشريعة المشعة بيده اليمنى) ففى الكلمات شُبّه نور الرب بنور الشمس (إنه يأتى من سيناء ويشرق من ساعير) ولكنه تلألأ بالمجد من (فاران) حيث يظهر مع عشرة آلاف قديس ويحمل الشريعة بيده اليمنى ، ولم تكن لأى من الإسرائيليين بما فيهم المسيح أية علاقة بـ (فاران) غير أن هاجر مع ولدها إسماعيل تجولا فى متاهات سيناء فى بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك فى قفار (فاران) .

لقد تزوج إسماعيل امرأة مصرية ، (سفر التكوين ٢١/٢١) ومن ولده الأول قيدار انحدر أحفاده العرب الذين سكنوا قفار (فاران) وكان منهم محمد الذى دخل مكة مع عشرة آلاف قديس (مؤمن) وجاء بنور الشريعة إلى شعبه ، لقد تحققت تلك النبوءة فى محمد حرفيًا ... لننظر أيضًا فى النبوءة التى جاء بها النبى حبقوق (سفر حبقوق ٣/٣) وهى كما يلى :

---

(١) قال موسى : (سيبعث الله من بين إخوتكم نبيًا مثلى فاستمعوا إليه فى جميع ما يقول لكم ، ومن لم يستمع لذلك النبى يُستأصل من الناس) . (مذكرات الرسل ٢٢/٣- ٢٣) .

(القديس من جبل فاران ، مجده غطّى السماوات ، والأرض امتلأتْ بحمده) . إن كلمة (حَمْد) هنا ذات مغزى هام ذلك أن اسم (محمد) بالذات يعنى حرفيًا (الممدوح) وفوق هذا فإن العرب وهم سكان قفار (فاران) كانوا قد وعدوا أيضا بنزول الوحى : **(لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار لتترنم ، سكانُ الجبال ليهتفوا ويمجدوا السيد ، وليعلنوا حمده فى الجزر ، السيد سيخرج جبارًا ، ويثيرُ الحميَّة كرجل حرب ، ويهتف ويدوى ، ويسيطر على أعدائه)** (إشعيا ٤٢/١١-١٣) .

وهناك أيضًا نبوءتان مهمّتان ، الأولى وردت فى سفر إشعيا (٦٠/١-٢ ، ٦-٧) :

(انهض فقد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك ، هاهى الظلمة تغطى الأرض والأمم ، أما عليك فيشرق نور الرب ويرى مجده عليك فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك ، تغطيك أعداد الجمال الكثيرة ، جمال مدين وعيفة ، كلها تأتى من شيبا تحمل ذهبًا وبخورًا ، كلُّ غنم قيدار تجتمع إليك ، وأكباش نبايوت تخدمك ، تصعدُ مقبولة على مذبحى ، وسوف أعظِّم بيت مجدى) .

والنبوءة الثانية أيضًا فى سفر إشعيا (٢١/١٣-١٧) تقول : **(وحى من جهة بلاد العرب ، فى الوعر فى بلاد العرب ، تبيتين يا قوافل الددانيين ، هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه ، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، ومن أمام القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب ، فإنه هكذا قال الرب ، فى مدة سنة (كسنة الأجير)، يسقط كل مجد قيدار ، وبقية الأقواس من أبطال بنى قيدار تضمحل)** .

ولنلاحظ الترابط المدهش بين هاتين النبوءتين وبين تلك التى وردت فى سفر التثنية عن **(النور المشع القادم من فاران)** .

لقد سكن إسماعيل فى قفار (فاران) حيث ولد له قيدار وهو الجد الأكبر للعرب ، وكتب على أولاد قيدار أن يأتيهم الوحى من الله وأن تقدم الأضاحى تمجيدًا لـ (بيت الله) حيث كان الظلام يلف الأرض لقرون عديدة ، كما كتب على أحفاد قيدار ورماتهم وأبطالهم أن يضمحلوا خلال سنة واحدة بعد الهجرة أمام السيف المسلول والقوس المشدود ، فهل هناك من يعنيه هذا الكلام غير شخص واحد من (فاران) هو محمد ؟ . فمحمد هو من نسل إسماعيل وقيدار ، ومحمد هو النبى الوحيد الذى تَقبّل العرب عن طريقهِ

الوحى الإلهى عندما كان الظلام يلف الأرض ، ومن خلاله شع النور الإلهى فى **(فاران)** ، ومكةُ هى البلد الوحيد التى يعظّم فيها بيت الله ، وفيها تقدم الأضاحى عند (بيت الله) لقد اضطر – محمد بعد أن اضطهده قومه – للهجرة من مكة وانتابه العطش أثناء هربه من السيوف المسلولة والأقواس المشدودة ، وبعد عام واحد من هجرته قابله أحفاد قيدار من مكة فى موقعة بدر وانهزم أحفاد قيدار **(الذين يحملون الأقواس)** ، ثم انحسرت كل أمجادهم ، فإذا لم نقبل محمداً على أنه النبى الذى تحققت فيه كل هذه النبوءات ، فإن ذلك يعنى أن تلك النبوءات لم تتحقق بعد كما أن **(بيت الرب الذى يمجّد اسمه فيه)** والمشار إليه فى سفر أشعيا (٧/٦٠) ، هو بيت الله الحرام فى مكة وليس كنيسة المسيح كما يعتقد المفسرون المسيحيون ، إن أضاحى قيدار كما هو مذكور فى سفر أشعيا (٧/٦٠) لم تقدم على مذبح كنيسة المسيح كما أن أحفاد قيدار هم الوحيدون الذين لم يتأثروا بأية تعاليم من كنيسة المسيح ، وكذلك فإن قصة العشرة آلاف قديس فى سفر التثنية (٢/٣٣) ذات مغزى هام ، لأن حادثة فتح مكة هى الوحيدة فى تاريخ فاران التى حققت تلك القصة ، لقد دخل محمد مكة على رأس عشرة آلاف مؤمن من أتباعه لقد عاد إلى (بيت الله) وبيده اليمنى خاتمة الشرائع . إن **(الهادى)** أو **(روح الحق)** الذى بشر به المسيح لم يكن غير محمد ولايمكن أن يكون (الروح القدس) كما تدعى النظريات اللاهوتية ، إذ يقول المسيح **(إنه من المناسب لكم أن أرحل بعيداً ، لأننى إن لم أذهب بعيداً فإن الهادى لن يجىء إليكم ولكننى إذا رحلت فإنى مرسله إليكم)** (إنجيل يوحنا ٧/١٦) مما يعنى بوضوح أن (الهادى) يجب أن يجىء بعد المسيح وأنه لم يكن موجوداً معه فهل يمكن أن نفترض أن (المسيح) كان مجرداً من الروح القدس إذا كان مجىء الروح القدس مشروطاً بذهابه ؟ أضف لذلك أن الطريقة التى وصفه بها المسيح تدل على أنه إنسان من البشر وليس روحًا : **(فهو لن يتكلم من ذاته ولكن سوف يتكلم بما يسمعه من الوحى) (يوحنا ٣/١٦)** .

إن كلام المسيح يشير بوضوح إلى رسول من الله، وهو يدعوه **(روح الحق)** والقرآن يتحدث عن محمد بهذه الصفة تمامًا فيقول : ﴿ **بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ (سورة الصافات ، الآية ٣٧) .

مقدمة المؤلف

سوف أبيّن من خلال هذا البحث والفصول التى تليه أن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الصحيحة تمامًا وأنها متفقة وتعاليم الكتاب المقدس وخاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية وبخاتم رسل الله .

وسأكرس هذا البحث لمناقشة النقطة الأولى ، وفى الفصول التى سوف تلى أبرهن أن محمدًا (ﷺ) هو الهدف الحقيقى (للعهد) ، وأن نبوءات العهدين القديم والجديد قد تحققت فيه وحده دون غيره فعليًا وحرفيًا .

ويودى الإيضاح أن الآراء المطروحة فى هذا البحث وما يتبعه من فصول هى آراء شخصية بحتة أتحمل مسؤوليتها وحدى كما أتحمل مسؤولية أبحاثى فى الأسفار العبرية المقدسة ، وفى نفس الوقت لا أدعى أننى حجة فى شرح تعاليم الإسلام .

كما لا أنوى ولا أرغب فى إيذاء مشاعر أصدقائى النصارى ، فأنا أحب المسيح وموسى وإبراهيم كما أحب محمدًا ، وكافة أنبياء الله الآخرين .

قال تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٨٤) .

وليس الغرض من كتاباتى هذه إثارة الجدل العقيم مع الكنائس دون جدوى ولكنى أدعو الكنائس إلى بحث ودّىّ ولطيف لهذه المواضع البالغة الأهمية بروح من المحبة والموضوعية ، ولا شك أنه عندما يتخلى النصارى عن محاولتهم العقيمة لتعريف جوهر الكائن الأعظم ويعترفوا بوحدانيته

المطلقة ، فإنه يمكن عندئذ تحقيق الوحدة بينهم وبين المسلمين كما تصبح نقاط الخلاف الأخرى بين الديانتين قابلة للتسوية بسهولة .

صفات اللّه سبحانه وتعالى :

هناك نقطتا خلاف أساسيتان بين الإسلام والنصرانية جديرتان بالبحث سعيًا وراء الحقيقة والسلام الشامل . وبما أن كلا من الديانتين ترجع بأصلها إلى مصدر واحد فإنه يترتب على ذلك أن لا يكون هنالك أى خلاف بينهما . فكلٌ من هذين الدينين العظيمين يؤمن بوجود الله وبالعهد الذى أبرم بين الله ونبيه إبراهيم ، ولذا يجب التوصل إلى اتفاق نهائى حول هاتين النقطتين بين الأتباع الأذكياء العاقلين للديانتين ، النقطة الأولي : هل المفروض أن نعتقد بتعدد الآلهة أو بإلهٍ واحد لا إله غيره ؟! ، والنقطة الثانية مَن مِن الاثنين : عيسى أو محمد هو المقصود بالعهد الإلهى Divine Con-venant ؟! لابد من التوصل إلى إجابة نهائية قاطعة على هذين السؤالين .

أولاً : من العبث محاولة تفنيد آراء الذين يفترضون بدافع من جهل أو خبث أن إله الإسلام يختلف عن الإله الحقيقى أو أنه مجرد إله خرافى ابتدعه (محمد) ولو عرف القساوسة واللاهوتيون النصارى كتبهم المقدسة بلغتها الأصلية العبرية أو الآرامية بدلاً من التراجم (كما يعرف المسلمون قرآنهم بنصه العربى الأصلى) ، لاتّضح لهم أن الله هو نفس الاسم السامى القديم للكائن الأعلى الذى بعث آدم وجميع الرسل من بعده .

إن الله تعالى هو الكائن الوحيد الموجود بذاته الموجود فى كل مكان والمحيط بكل شىء وهو منبع جميع أنماط الحياة والمعرفة والقوة وهو الخالق الأوحد المنظم والمسيّر لهذا الكون . أما جوهر الألوهية وطبيعتها فهو فوق إدراك البشر وإن كل محاولة لتعريف جوهر الله ليست عقيمة فحسب بل ضارة بالعبادة والإيمان ولابدّ أن تقود إلى الضلال .

مع ذلك فقد استنزفت النصرانية التثليثية تفكير قديسيها وفلاسفتها لمدة تناهز السبعة عشر قرنًا بحثًا عن تعريف لجوهر الإله وشخصه فما الذى توصلوا إليه ؟!. لقد فرض أتباع أثناسيوس وأوغسطين وتوماس الأكوينى على النصارى ، تحت طائلة اللعنة الأبدية ،الإيمان بالتثليث وأن الله (ثالث ثلاثة) وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة المائدة الآية ٧٣)

وقد امتنع جمهرة علماء المسلمين عن محاولة تعريف جوهر الألوهية لأنه يفوق كافة الصفات التى يمكن تعريفه بها . إن للّه أسماءً عديدةً تتصل بصفاته وتشتق من تجلياته المتعددة فى هذا الكون الذى أبدعه وحده . وإننا ندعو الله بأسماء (القدير) ، (الباقى) ، (الحىّ) ، (القيوم) ، (العليم) ، (الرحيم) ، وغيرها ، لأن صفات البقاء والحياة ، والقيومية ، والعلم الشامل ، والرحمة ، تنبثق منه وتختص به وحده بشكل مطلق ، هو وحده الذى لاحدود لعلمه وقدرته وبقائه ورحمته لأنه منه وحده تنبثق تلك الصفات .

أما عندما نعزو بعض تلك الصفات إلى أحد بنى البشر فإن ذلك يكون نسبيّا بالمقارنة مع غيره من الناس ولا يختص به وحده وإن كل فعل من الأفعال الإلهية يعتبر أحد التجليات والصفات الخاصة باللّه تعالى ولكنه ليس جوهره ، أما النصارى فيخلطون الصفات الإلهية بجوهر الألوهية إذ يجعلون الخالق أبًا إلهيّا وكلمته ابناً إلهيّا وبما أنه نفخ الروح فى مخلوقاته فإنه يُلقب بالروح القدس ، وينسون أنه من الناحية المنطقية لا يمكن أن يكون الله أبًا قبل الخلق ، ولا ابنًا قبل أن يتكلم ، ولا الروح القدس قبل أن يعطى الحياة . إننا ندرك صفات الله من أعماله بعد أن دلت عليها مخلوقاته ولكن ليس لدينا الإدراك المسبق لصفاته سلفًا قبل حدوث أعماله . إن الله تعالى لم يكشف لنا عن طبيعة وجوده فى الكتب المنزلة ولا مكّن العقل البشرى من إدراك ذلك .

إن صفات الله تعالى ليست شخصيات مميزة مستقلة مؤلهة إذ لو كان الأمر كذلك لما اقتصر الحال على ثالوث من الأشخاص بل لكان هناك عشرات الثواليث ولذلك نستطيع أن نقول مثلاً إن الله رحيم ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن الله هو الرحمة ، لأن الرحمة ليست هو ولكنها عمله وفعله . ولهذا السبب فإن القرآن دائمًا ينسب إلى الله صفات مثل : حكيم ،

رحيم ، عليم ، ولكنه لا يسميه مطلقاً بألقاب : (الله محبة ، معرفة ، وكلمة) وما إلى ذلك ، وقد زعموا أن كلمة الله هى شخصية إلهية قائمة بذاتها فى حين أن كلمة الله ليس لها أى مدلول آخر سوى التعبير عن علمه ومشيئته ، والقرآن يُدعى كلام الله ، وتطلق التسمية ذاتها على عيسى فى القرآن ﴿ **بِكَلِمَةٍ مِنْهُ** ﴾(سورة آل عمران جزء من الآية / ٤٥) ولكن من الضلال البعيد أن نعتبر كلمة الله شخصية قائمة بذاتها وأنها اكتست باللحم ثم تجسدت فى شكل رجل من الناصرة أو على صورة كتاب سمى الأول (عيسى المسيح) وسمى الثانى (القرآن) .

وكثيرًا ما دحض الكتّاب الموحدون الأوائل العبارة الأولى من إنجيل يوحنا وجعلوا قراءتها الصحيحة كما يلى : **(فى البدء كانت الكلمة ، وكانت الكلمة مع الله ، وكانت الكلمة كلمة الله The word was God's**) غير أن كلمة (God's) بمعنى كلمة الله (التى تعادل باليونانية Theou) قد جرى تحريفها إلى (Theos) أى الله . ويلاحظ من عبارة (فى البدء كانت الكلمة)[1] أن الكلمة لم تكن موجودة

---

(١) نشأ حول موضوع الكلمة (لوجوس Logos) جدل حامى الوطيس بين «آباء» الكنيسة الأوائل فى القرن الميلادى وانتهى بالقضاء على الموحدين قضاءً مبرمًا وإتلاف كتبهم حتى لم تكد تبقى أية قطعة سليمة غير محرفة من الأناجيل والتفاسير ولا من كتابات الموحدين سوى ما ورد عنهم فى كتابات خصومهم مثل الأب اليونانى (فوتيوس) ومن سبقوه . وكتابات القديس (إفرايم السورى) وهو من أبرز آباء الكنيسة الشرقية وقد ألف عدة كتب منها تفسير الكتاب المقدس الذى نشر بالسريانية واللاتينية ، وقد قرأت الطبعة اللاتينية بعناية فى روما . وله أيضًا مواعظ ورسائل اسمها (المدراشى) وكذلك (ضد الهراطقة) إلخ .. وبالمقابل هناك المؤلف السورى المشهور (بارديسان) الذى ازدهرت كتاباته فى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث الميلادى ولكن لم يبق من كتاباته السريانية إلا ما اقتبسه إفرايم ويعقوب النصبى (نسبة إلى نصيبين) والنساطرة واليعاقبة الآ خرون وذلك من أجل دحضها وتفنيدها وما استخدمه الآباء اليونانيون فى لغتهم . وقد أكد (بارديسان) على أن يسوع المسيح **(كان قاعدة لمعبد كلمة الله)** ولكن المسيح والكلمة مخلوقان . ويقول القديس إفرايم ما يلى فى تفنيد ما يدعى أنه هرطقة بارديسان :

(ويل لك أيها التعس يا بارديسان) .

(فإنك تقرأ بأن الكلمة كانت كلمة الله) =

قبل البدء . ولا يقصد بـ (كلمة الله) أنها كيان مستقل ومميز متعايش مع الله ولكنها تعبير عن عِلمه ومشيئته تعالى عندما قال: ﴿ كُنْ ﴾ فكان . وعندما يشاء الله أن يخلق تكفى منه كلمة الأمر ﴿ كُنْ ﴾ .

ومن عجب أن صيغة الافتتاح النصرانية (باسم الأب والابن والروح القدس) لا يذكر فيها اسم الله أصلاً وتعتبر هى الإله النصرانى . فى حين أن الصيغة القرآنية (بسم الله الرحمن الرحيم) هى على النقيض تمامًا من الصيغة الثالوثية وهى تعبير عن أساس الحقيقة الإسلامية .

ولا يمكن اعتبار التثليث عند النصارى مفهومًا صحيحًا للإله ، لأنه يقر بتعدد الأشخاص الألوهية معتبراً كلاً منهم شخصية مميزة وبشكل مشابه لأعضاء العائلة الواحدة كما هى الحال فى الأساطير الوثنية . فاللّه ليس أباً لابن ، كما أنه ليس ابناً لأب وليس له أم ، وهو أزلى لا أول ولا آخر له ، والاعتقاد باللّه الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، هو كفرٌ صريح بوحدانية الله ، وإقرار متطاول بثلاثة كائنات ناقصةٍ لا يمكن أن تكون إلهًا حقيقيًا سواء كانت منفصلة أو متحدة معًا .

ونحن نعلم من الرياضيات أن الوحدة ليست أكثر ولا أقل من واحد وأن واحدًا لا يمكن أن يساوى واحدًا + واحدًا + واحدًا ، وبعبارة أخرى فإنه لا يمكن أن يكون الواحد مساويًا لثلاثة ، لأن الواحد هو ثلث الثلاثة . وقياسًا على ذلك فإن الواحد لا يساوى الثلث . والثلاثة لا تساوى واحدًا ، كما أنه لا يمكن للثلث أن يساوى الوحدة . فالوحدة هى أساس النظام العددى وأن جميع الأرقام هى حاصل جمع الوحدة .

والذين يدّعون وحدانية الله فى ثالوث من الأشخاص إنما يقولون إن كلاً منهم هو (إله قديرٌ ، موجود ، دائم ، أزلى ، وكاملٌ . لكنه لا يوجد ثلاثة آلهة

= **(ولكنّ الإنجيل لم يكتب مثل ذلك) .**

(سوى أن الكلمة هى الله)

وفى جميع المجادلات حول (الكلمة) ، يوصم الموحدون بأنهم (هراطقة) أى كفرة لأنهم أنكروا الاعتقاد بالأزلية والشخصية المستقلة للكلمة ! وبالمقابل كان النصارى الموحدون يوجهون تهم الكفر والهرطقة إلى القائلين بالتثليث ويعيرونهم بأنهم حرفوا الكتاب المقدس .

قديرين ، وموجودين ، ودائمين ، وأزليين ، وكاملين ولكنه إله واحدٌ قدير ...)
والمغالطة أو السفسطة واضحة فى هذا المنطق .

إن (اللغز) الذى تقدمه الكنائس يتلخص بالمعادلة التالية :

إله واحد = إله واحد + إله واحد + إله واحد

إذًا : إله واحد = ثلاثة آلهة .

أولاً : لا يمكن لإله واحدٍ أن يساوى ثلاثة آلهة ، بل يساوى واحدًا منها فقط .

ثانياً : عندما تُسلم بأن كل شخص إلهٌ كاملٌ مثل صاحبه فإن الاستنتاج بأن ١ + ١ + ١ = ١ ليس فقط ضرب من البطلان بل مبالغة فى العجرفة أو هو منتهى الجبن ، فمن العجرفة محاولة إثبات حل خاطئ لمسألة ما بعملية زائفةٍ ، ومن جهة أخرى تنقصك الشجاعة لتعترف بإيمانك بآلهة ثلاثة .

يضاف إلى ذلك أننا جميعًا - مسلمين ونصارى - نؤمن بأن الله دائم الحضور والوجود فهو يحيط بكل شيء . فهل يعقل أن ينطبق ذلك على كل من الأشخاص الثلاثة ، أو أن واحدًا منهم فقط هو الذى يحيط بالكون فى وقت واحد ؟ .. إن الألوهية صفة لإله واحد وهى ليست قابلة للتعدد .

ثم يقال لنا إن لكل شخص فى الثالوث صفات لا تنطبق على الاثنين الآخرين . فهنالك أسبقية فى الترتيب ، إذ الأب يحظى بالمرتبة الأولى دومًا ويتبعه الابن ، أما الروح القدس فيأتى فى المرتبة الثالثة كما إنه أقل درجة من أولئك الذين انبثق منهم . ألا يعتبر ذنبًا أو هرطقة عند النصارى إذا ما أعيد ذكر الثالوث بترتيب معكوس وصار على النحو التالى : باسم الروح القدس ، والابن ، والأب ؟ لأنها إذا كانت متساوية تمامًا فإنه لا داعى للحرص على الترتيب بأسبقية معينة . ومع ذلك فإن المجالس الكنسية والباباوات أدانت العقيدة السابيلية (Sabelian) التى أصرت على أن الله واحد ولكنه يتجلى كأب أو كابن أو كروح قدس رغم أنه نفس الشخص ، وبالطبع فإن الدين الإسلامى لا يقبل الآراء السابيلية .

والحقيقة أنه لا توجد عندهم مساواة مطلقة بين أشخاص الثالوث ، فلو كان الأب مساو للابن أو للروح القدس بكل معنى الكلمة كما هو الرقم (١) مساو للرقم (١) فسيكون بالضرورة شخص واحد فقط فى الإله وليس ثلاثة لأن الوحدة لا يمكن أن تكون كسرًا أو مضاعفاً لذاتها . إن الفروقات التى يُسلم بوجودها بين أشخاص الثالوث لا تترك أى شك فى عدم المساواة ، فالأب يلد وليس بمولود ، والابن مولود وليس بوالد . والروح القدس منبثق عن الشخصين الآخرين . الأول يوصف بأنه (خالق ومهلك) والثانى بأنه (مخلّص أو فادى) والثالث بأنه (واهب الحياة) ، ولذا فإنه لا يمكن لأى من الثلاثة أن يكون وحده (الخالق والفادى وواهب الحياة) ، ثم يقال بأن الثانى هو كلمة الأول وأن الثانى يصبح إنسانًا ثم يُضحى به على الصليب إرضاءً لعدالة والده وبأن تجسده وقيامته تتمان بواسطة الشخص الثالث .

والخلاصة : إنى ألفت نظر النصارى بأنهم ما لم يؤمنوا بوحدانية الله المطلقة وينبذوا الاعتقاد بالأشخاص الثلاثة فإنهم يكفرون بالإله الحقيقى وهم فى الواقع مشركون كالوثنيين مع فارق واحد ، وهو أن الآلهة التى يعبدها الوثنى وهمية ، بينما الآلهة الثلاثة للكنائس ذات طابع خاص ، فالأب هو الإله الحقيقى الوحيد أما الابن فهو عبد الله ورسوله أما الشخص الثالث وهو الروح القدس فهو واحد من الأرواح التى لا يحصيها عَدّ والتى تعمل فى خدمة الله .

لقد استخدم العهد القديم الأب كلقب من ألقاب الله تعالى لأنه الخالق الرحمن الرحيم ، ولكن الكنائس أساءت استعمال اللفظ مما جعل القرآن يعرض عن استخدامه .

وإن العهد القديم والقرآن يدينان نظرية التثليث ، أما العهد الجديد فلا يؤيدها بصراحة ولا يدافع عنها ، ولكن حتى لو احتوى على إشارة عن التثليث فذلك ليس بحجة لأن المسيح لم يشاهد العهد الجديد ولم يكتبه ولم يتكلم به ، فالعهد الجديد لم يوجد فى شكله ومضمونه الحالى طيلة القرنين اللذين[١] جاءا من بعده .

---

(١) فى العهد الجديد إشارة واحدة فقط عن التثليث وردت فى رسالة يوحنا الأولى بالفقرة ٧ من الفصل الخامس وقد تم حذف هذه الفقرة من الطبعة المنقحة المعتمدة . Revised Standard Version RSV

والجدير بالذكر أن الكنائس الموحّدة فى الشرق عارضت التثليث ثم اتبعت رسول الله العظيم عندما شاهدت الدمار الكامل (للوحش الرابع) على يديه . إن الشيطان الذى كلّم حواء من فم الأفعى قد تفوه بعبارات الكفر ضدّ الله تعالى عبر فم القرن الصغير الذى نبت مع القرون العشرة على رأس الوحش الرابع (سفر دانيال الفصل الثامن) . وهذا الشيطان لم يكن سوى (قسطنطين الكبير) الذى أعلن عقيدة (المجمع المسكونى) فى نيقية عام ٣٢٥م بصورة رسمية وبعنف رهيب ، وأما (محمد) فقد حطّم إبليس إلى الأبد فى الأرض الموعودة وأقام دين الله دين الإسلام ..

عبد الأحد داود

القسم الأول

محمد ﷺ كما جاء فى العهد القديم

الفصل الأول

سوف يأتى أحمد لكل الأمم
(سفر حجى ٢/ ٧)

سقطت مملكة إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس الحالية) بيد الآشوريين عام (٧٢١ ق.م) وتم نفى سكانها من بقايا أسباط إسرائيل العشرة إلى بلاد الآشوريين ثم بعد ذلك بأقل من قرن ونصف (٥٨٦ ق.م) سقطت مملكة يهوذا وعاصمتها القدس بيد الكلدانيين بقيادة نبوخذ نصّر وتم تدمير معبد سليمان تدميرًا تامًا وأعمل القتل فى سلالة سبطىْ يهوذا وبنيامين اللذين كانوا يشكلون مملكة يهوذا ونفى من سلم منهم إلى بلاد بابل حيث بقوا فى المنفى حتى سيطر قورش ملك الفرس على بابل عام (٥٣٨ ق.م) وسَمح لليهود بالعودة إلى فلسطين كما سمح لهم بإعادة بناء القدس والهيكل .

وعندما وضعتْ الأساسات لبناء المعبد الجديد ارتفعت صيحات الفرح بين اليهود ، بينما استولى النحيب والبكاء المرير على كبار السن الذين سبق أن شاهدوا معبد سليمان قبل تدميره ، وفى تلك المناسبة بعث الله النبى (حجّى) ليعزى المجتمعين بهذه الرسالة الهامة :

(وسوف أزلزل كل الأمم ، وسوف يأتى (حِمْدَه) لكل الأمم ، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد ، كذلك قال رب الجموع ، لى الفضةُ ولى الذهب هكذا قال رب الجموع ، وإن مجدَ ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول ، هكذا قال رب الجموع ، وفى هذا المكان أعطى الـ (شالوم) ، هكذا قال رب الجموع) (سفر حجّى ٩/٧-٩) .

وقد ترجمتُ هذه االفقرة من النسخة الوحيدة من الكتاب المقدس التى كانت تحت تصرفى باللغة المحلية والتى أعارتنى إياها ابنة عمى الآشورية ،

وبالمقارنة مع ذلك نلاحظ أن الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس ترجمت الكلمتين العبريتين (حِمْدَه) و (شالوم) إلى (الأمنية) و (السلام) على التوالى .

لقد أعطى المعلقون اليهود والنصارى أهمية قصوى للوعد المزدوج الذى احتوته النبوءة المذكورة آنفًا ، وكلاهما يفهمون من كلمة (حِمْدَه) نبوءة مسيحانية Messianic . فلو فسّرت هذه النبوءة بالمعنى المجرد لكلمتىْ (حِمْدَه) و (شالوم) على أنهما (الأمنية) و (السلام) لأصبحت النبوءة لا شىء سوى أمنيات مبهمة غير ذات مغزى ، ولكن لو فهمنا من كلمة (حِمْدَه) أنها شخصية حقيقية ومن كلمة (شالوم) أنها ديانة منزلة وقوة فعالة ، عندئذ تصبح هذه النبوءة صادقة ومتحققة فى شخصية أحمد ودين الإسلام ، ذلك لأن كلمتى (حِمْدَه) و (شالوم) تؤديان بدقة معنى كلمتى (أحمد) و (الإسلام) .

ومن المفيد قبل إثبات تحقق هذه النبوءة فى (أحمد) و (الإسلام) إيضاح أصول هاتين الكلمتين :

(ا) لنأخذ كلمة (حِمْدَه) : يُقرأ النص باللغة العبرية الأصلية هكذا **(فى يافو حِمْدَه كُول هاجُوييم)** مما يعنى حرفيًا : **(وسوف يأتى حِمْدَه لكل الأمم)** والكلمة مأخوذة من اللغة العبرية القديمة أو الآرامية وأصلها (حِمْدْ) وتُلفظ بدون التسكين (حِمِدْ) مما يعنى فى العبرية (الأمنية الكبيرة) أو (المشتهى) أو ما يتوق إليه المرء . وفى اللغة العربية يأتى الفعل (حَمِدَ) من جذر الكلمة نفسها (حـ م د) بمعنى الإطراء والمديح .

ومن هنالك أكثر استحقاقاً للمديح من الشخص الذى يُتاق أليه ويُرغب فيه ؟ ومهما كانت المعانى المشتقة من جذر الكلمة تبقى الحقيقة الحاسمة التى لا جدال فيها وهى أن كلمة (أحمد) هى الصيغة العربية لكلمة (حِمْدَه) .

وفى قوله تعالى فى سورة الصف الآية السادسة :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

وفي إنجيل يوحنا الذى كتب باليونانية ورد اسم (باراكليتوس Paracletos) وهو صيغة غير معروفة في الأدب الإغريقي ولكن كلمة (بيريكليتوس periqlytos) هي التي توافق وتطابق تمامًا اسم (أحمد) في معناه ومغزاه ولابد أنها كانت الترجمة اليونانية الأصلية لكلمة (حِمْده) الآرامية كما لفظها عيسى المسيح .

(ب) أما أصل كلمة (شالوم) و (شْلاما) بالعبرية ، (وفي العربية (سلام) و (إسلام) فلا حاجة لأن أثقل على القارئ بتفاصيل لغوية ، لأن أي متخصص في اللغات السامية يعرف أن كلمتي (شالوم) و (إسلام) مشتقتان من أصل واحد وكلاهما تؤديان معنى السلام أو الاستسلام .

ونستشهد بنبوءة أخرى من سفر (ملاخى) وهو الكتاب الأخير في العهد القديم :

(سوف أرسل رسولي فيمهّد الطريق أمامي ، وفجأة سوف يأتي إلى هيكله السيد الذى تطلبونه ، رسول العهد الذى تُسَرون به ، إنه سوف يأتي ، هكذا قال رب الجموع) (سفر ملاخى ٣/١) .

ولنقارن بين هذا الوحْي الغامض وبين قوله تعالى في الآية (١) من سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

مما يعني أن الشخص القادم فجأة إلى الهيكل حسب سفر حجى وسفر ملاخى هو محمد وليس المسيح وإليكم الأدلة على ذلك :

١ – إن العلاقة والتشابه بين كلمتيْ (حِمْده) و (أحمد) وبين جذر الكلمة (حـ م د) التي اشتُقّا منها لا يترك أدنى شك بأن الفاعل في عبارة (وسوف يأتي حِمْده لكل الأمم) إنما هو (أحمد) أى (محمد) كما أنه لايوجد أدنى صلة في الأصل السامي بين كلمة (حِمْدْ) وبين أسماء عيسى مثل (يسوع أو المسيح أو المُخلّص) حتى ولا في أي حرف من حروفها .

٢ – حتى لو قال بعضهم أن الجذر العبرى (ح م د هـ) (يقرأ حِمْده) هو اسم اعتبارى معناه : أمنية ، أو مُشتهى أو مدح فإن ذلك يؤيد ما نقول لأن الصيغة العبرية في أصلها متطابقة تمامًا مع الصيغة العربية . وأيًا من

المعانى تختار لكلمة (حـ م د هـ) فإن صلتها بـ (أحمد) قاطعة ، ولا علاقة لها بـ (عيسى) .

ولو حافظ القديس جيروم (ومؤلفو النسخة السبعينية قبله) على الصيغة العبرية لكلمة (حـ م د هـ) بدلاً من استخدام الكلمة اللاتينية Cupiditas ، أو الكلمة الإغريقية Euthymia لكان من المحتمل أن يحتفظ بها أيضاً مترجمو الملك جيمس الأول الذين أنجزوا الترجمة المجازة "Authorized Version" ولاحتفظت بها أيضًا جمعية الإنجيل فى الترجمة إلى اللغات الإسلامية .

٣ - لقد أعاد هيرودورس الكبير ترميم وبناء معبد (زوروبابل) الذى قدر له أن يكون أعظم مجدًا من هيكل سليمان لأن (ملاخى) تنبأ بأن الرسول العظيم أو رسول العهد أى (السيد) أو سيد الرسل سيزوره فجأة ، وهذا ما حصل فعلاً عندما زاره (محمد) فى رحلة الليل المعجزة المذكورة فى القرآن الكريم فى سورة الإسراء .

وقد زار (عيسى) أيضًا المعبد مرات عديدة ومع ذلك فإن الأناجيل التى سجلت زيارات ومواعظ المسيح فى المعبد لم تذكر هداية شخص واحد بين مستمعيه بل روت أن جميع زياراته كانت تنتهى بالجدل والنقاش المرير مع الكهنة والفريسيين .

ولو كانت نبوءة حجّى **(وفى هذا المكان أعطى الشالوم)** تشير إلى السلام فيجب أن نذكر أن عيسى لم يجلب السلام إلى العالم فهو قد صرح بهذا متعمدًا (إنجيل متى ١٠/٣٤ ..) ، كما أنه تنبأ بالخراب الكامل للمعبد (متّى ٢٤/٢ ومرقس ١٣/٢ ولوقا ٢١/٦) الأمر الذى تحقق بعد أربعين عامًا تقريبًا على أيدى الرومان عندما تم تشتيت اليهود بصورة نهائية .

٤ - لقد أسرى بمحمد (وهو صيغة أخرى لاسم (أحمد) ومن نفس المصدر والجذر) من مكة إلى بيت المقدس حيث زار البُقعة المُقَدسة عند بقايا المسجد كما نصّ القرآن الكريم ، وهناك أدى الصلاة بحضور جميع الأنبياء وقد بارك الله تعالى حول المسجد الأقصى وأطلَع آخر أنبيائه على آياته كما ورد فى سورة الإسراء .

وإذا أمكن لموسى وإلياس أن يظهرا بحضورهما الجسدى على (جبل التجلى) فقد أمكن لهما ولألوف الأنبياء عليهم السلام أن يظهروا حول الهيكل فى بيت المقدس خلال (الحضور المفاجىء) لمحمد إلى (مسجده) (سفر ملاخى ٣/١) عندما عززه الله بالمجد (سفر حجى ٢/٧-٩) .

لقد اختارت السيدة آمنة بنت وهب أرملة عبد الله بن عبد المطلب لولدها اليتيم أول اسم علم فى تاريخ البشرية (محمد) أو (أحمد) وهذا بحسب اعتقادى المتواضع أعظم معجزة لصالح الإسلام .

وقد أعاد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب بناء المسجد العظيم الذى ما زال باقيًا في القدس وسوف يبقى حتى نهاية العالم دليلاً على صدق العهد الذى عقده الله تعالى مع إبراهيم وإسماعيل . (سفر التكوين ١٥/١٦ - ١٧) .

الفصل الثانى

العهد وحق البكورية

هناك نزاع دينى قديم جدًا بين بنى إسماعيل وبنى إسرائيل حول أحقية الابن البكر فى وراثة أبيه . والذين قرأوا الكتاب المقدس والقرآن الكريم يعرفون جيدًا سيرة النبى العظيم إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق وذريته حتى موت حفيده (يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) فى مصر ، (سفر التكوين الفصل ١١–٤٩) .

وبحسب ما يدعيه سفر التكوين فإن إبراهيم هو العشرون بعد آدم عليه السلام من ناحية السلالة ، وقد عاصر النمرود الذى بنى برج بابل الشهير .

كانت بداية بعثة إبراهيم فى أور كلدان وقد أورد سيرته المؤرخ اليهودى المشهور (يوسف فلافيوس) فى كتابه المسمى (العصور القديمة Antiquities) وقصته أيضًا واردة فى القرآن الكريم . كان (آزر) أبو(*) إبراهيم يعبد الأصنام، فى حين كان إبراهيم مؤمنا با لله وقد دخل مرة إلى المعبد وحطم الأصنام وبذلك كان النموذج الأول لحفيده محمد ﷺ ، وقد انتقم منه النمرود بأن ألقاه فى النار ولكنه نجا منها سالمًا منتصرًا بمعجزة إلهية ، غادر بعدها وطنه إلى حران ومعه أبوه وابن أخيه لوط ، وعندما بلغ الخامسة والسبعين من عمره توفى أبوه فى حران ، وبعدها انطلق إبراهيم برحلة طويلة نحو أرض كنعان ثم مصر ثم شبه الجزيرة العربية استجابة للدعوة الإلهية .

كانت زوجته سارة عاقرًا ولكن الله بشره بأنه سوف يصبح أبًا لأمم عديدة وأن ذريته سوف ترث كل البلاد التى يجتازها وسوف تكون مباركة (سفر

---

* هناك رأى بأن آزر كان عمًا له .

التكوين ١٢/٢-٣) وعندما نظر إلى السماء ليلاً أوحى إليه أن ذريته سوف تصبح كعددِ النجوم وكعدد حبات الرمل على شواطئ البحار . وتقبل إبراهيم ذلك الوعد الإلهى الفريد العظيم فى تاريخ الأديان بإيمان لا يتزعزع رغم أنه لم يكن له ذرية حتى ذلك الحين .

كانت أمتَه (هاجر) فتاة مصرية فاضلة تعمل فى خدمة سيدتها سارة ، وقد زوّجتها سارة إبراهيم وهو فى السادسة والثمانين من عمره رغبة فى الذرية وبالفعل ولدت له إسماعيل . وعندما بلغ إسماعيل الثالثة عشرة من عمره تكرر الوحى إلى إبراهيم وتكرر وعد الذرية وتقررت شعيرة الختان ، وكان إبراهيم فى التاسعة والتسعين من العمر حينما جرى ختان ولده الوحيد إسماعيل وكافة الخدم الذكور فى بيته . وكأنما كان ذلك نوعًا من المواثيق بين الله وإبراهيم فقد كان إبراهيم مؤمنا متفانيًا تقيًا فوعده الله أن يحمى إسماعيل وذريته التى سترث الأرض الموعودة . ثم أنه عندما بلغ إبراهيم مائة عام من العمر وبلغت زوجته سارة التسعين أنجبت ولدًا أسمياه إسحاق لكى يتم أمرُ الله ووعده .

ويذكر سفر التكوين الذى لم يتقيد بالتسلسل الزمنى للأحداث أن إبراهيم طرد إسماعيل وأمه هاجر بطريقة غاية فى القسوة تنفيذًا لرغبة سارة [١] بعد ولادة إسحاق (التكوين ٢١/١٠) . ثم تاه إسماعيل وأمه فى الصحراء وأوشكا على الموت عطشًا لولا أن تفجرت عين من الماء شربا منها ونجيا . ولا يذكر سفر التكوين شيئًا بعد ذلك عن إسماعيل سوى زواجه من امرأة مصرية وأنه حضر مع إسحاق وفاة أبيهما ودفنه . ثم يقص سفر التكوين سيرة إسحاق وولده يعقوب ونزول يعقوب فى أرض مصر وينتهى بوفاة ولده يوسف .

وهناك حدث هام آخر فى تاريخ إبراهيم ورد فى سفر التكوين (الفصل ٢٢) ، وهو اختبار إبراهيم بالتضحية بابنه الوحيد إسماعيل وكيف أن الله تعالى افتدى الغلام بكبش عظيم وهو ماقصّه علينا القرآن الكريم فى سورة

---

(١) عند المسلمين أن هاجر وإسماعيل هاجرا إلى مكة تنفيذًا للوحى الذى تلقاه إبراهيم ولا علاقة لذلك برغبة سارة ، ذلك أن الخطة الإلهية اقتضت انتقال النبوة إلى سلالة إسماعيل بعد أن يرفض اليهود آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام .

الصافات الآيات ١٠٢-١٠٧

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

فأثبت إبراهيم بذلك أن حُبّه لله فاق كل عاطفة بشرية .

تلك نبذة مختصرة لحياة إبراهيم كمقدمة لبحث أحقية الابن البكر فى وراثة عهد أبيه حيث نلاحظ حقائق ثلاثة تقتضى أن يقبلها كل مؤمن :

الأولى : أن إسماعيل هو الابن الأكبر الشرعى لإبراهيم ، لذا فإن حقه فى البكورية واضح وعادل .

الثانية : أن العهد كان بين الله وبين إبراهيم وإسماعيل قبل ولادة إسحاق ، ولولا تكرار الوعد **(من خلال ذريتك سوف تتبارك كل الأمم على وجه الأرض)** بصيغ مختلفة وأيضًا **(ذلك الذى سوف يخرج من أحشائك سوف يرثك)** (سفر التكوين ١٥/٤) . وتحقق هذا الوعد بولادة إسماعيل (سفر التكوين ١٦) مما كان عزاء لإبراهيم لأن كبير الخدم أليعازر لم يعد وريثه . لولا كل ذلك لكان العهد وتشريع الختان غير ذى معنى ولا قيمة . ولذلك وجب أن نعترف بأن إسماعيل كان الوارث الحقيقى والشرعى لامتيازات ومكانة أبيه الروحية ، وأن هذا الإرث الذى استحقه إسماعيل وذريته لكونه الابن البكر ، لم يكن خيمة والده ولا مواشيه وإنما كان إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات وسكانها إلى الأبد (سفر التكوين ١٥/١٨ ، ١٧/٢٠) . وبالفعل فإن تلك البلاد لم تخضع قط لذرية إسحاق ولكنها خضعت لذرية إسماعيل ، مما يعتبر تحققًا حرفيًا وفعليًا لأحد نقاط العهد .

الثالثة : أن إسحاق ولد أيضًا بمعجزة وأنه كان مباركًا من الله وأن أرض كنعان كانت الأرض الموعودة لأتباعه وقد احتلوها فعلاً تحت إمرة (يوشع) مما لا ينكره أى مسلم . فالمسلمون يؤمنون بنبوة إسحاق ويعقوب كما يؤمنون بنبوة إسماعيل وبقية الرسل والأنبياء المذكورين فى القرآن الكريم .

وعلى كل هذا لا يجب أن يكون هنالك نقطة خلاف جوهرية بين ذرية إسماعيل وبين ذرية إسحاق ويعقوب (شعب إسرائيل) فلو كان (حق البكورية) و (مباركة الله) متعلقين فقط بميراث السلطة والأراضى لأمكن تسوية مثل هذا الخلاف ، وقد سُوى فعلاً بالسيف ، والدليل على ذلك الحقيقة الواقعة ألا وهى سكنى المسلمين لكل الأرض الموعودة . ولكن هناك نقطة خلاف متعلقة بالعقيدة بين اليهود وبين بنى إسماعيل مضى على وجودها ما يقرب من أربعة آلاف عام ، وهى مسألة المسيح ومحمد فاليهود لا يعترفون بتحقق ما يسمى بالنبوءات المسيحانية عن مجيء المخلّص لا فى بعثة عيسى ولا فى بعثة محمد ، وقد كان اليهود دومًا فى غيرة من إسماعيل لأنهم يعرفون جيداً أنه كان يُجسّدُ (العهد) وبختانه خُتم العهد . وبدافع من ذلك الحقد والضغينة قام كتبتهم وفقهاؤهم بتحريف الكثير من نصوص كتبهم المقدسة **فشطبوا اسم إسماعيل من الفقرات : الثانية ، والسادسة ، والسابعة من الفصل الثانى والعشرين من سفر التكوين ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه فى حين أبقوا على الوصف الخاص بإسماعيل : وهو (الابن الوحيد)** مما يعتبر إنكارًا لوجود إسماعيل وخرقًا للعهد الذى قطعه الله تعالى لإبراهيم ولإسماعيل حيث ينص : **(لأنك قبلت أن تضحى بابنك الوحيد من أجلى ، فسوف أزيد وأضاعف من ذريتك ، ليصبح عددها كعدد النجوم ، وكعدد حبات الرمل على شاطئ البحر)** وكلمة **(أضاعف)** جاءت أيضًا فى خطاب الملاك إلى **(هاجر)** وهى فى القفر على هذا النحو : **(إن الله سوف يضاعف ذريتك إلى عدد لا يحصى وسوف يصبح إسماعيل خصيبًا ذا ذرية كثيرة)** (سفر التكوين ١٦/١٢) وقد قام النصارى بعد ذلك بترجمة الكلمة العبرية (خصيب الذرية) من الفعل (برا) الذى يرادفه بالعربية لفظ (وفرة) ترجموها إلى (الحمار المتوحش) . أليس من الفسوق أن ينُعتَ إسماعيل بالحمار المتوحش وهو النبى الذى كرّمهُ الله وبشر والديه أنه سيكون خصيب الذرية ؟

ومن المهم جدًا ملاحظة أن عيسى المسيح نفسه وبّخ اليهود الذين قالوا أن الرسول العظيم الذى يدعونه (المخلّص) سوف يكون من سلالة الملك داود (إنجيل برنابا) ، وأوضح لهم أن المخلّص لا يمكن أن يكون ابنًا لداود لأن داود نفسه يعتبر هذا الرسول سيده (متى ٢٢/٤٤) و (مرقص ١٢/٣٦) و (لوقا ٢٠/٤٤) ، كما أوضح لهم كيف حرف آباؤهم الكتب المقدسة وأن (العهد) لم يبرم مع إسحاق كما يزعمون بل مع إسماعيل الابن البكر الذى قدمه أبوه أضحية لله وأن تعبير (**ولدك الوحيد**) الذى ورد في العهد قصد به إسماعيل وليس إسحاق .

أما القديس بولس الذي يدّعي أنه من حواريّى عيسى المسيح عليه السلام فقد استعمل كلمات فظّة بحق هاجر وإسماعيل (سفر غلاطية ٦/٢١-٣١) وناقض سيده المسيح صراحة وبذل قصارى جهده لتضليل النصارى بعد أن كان يضطهدهم قبل اعتناقه الدين المسيحى ، وذلك واضح من كتاباته التي تغصّ بعقائد في غاية التناقض مع روح الكتاب المقدس ومع تعاليم عيسى المسيح . لقد كان بولس محاميًا يهوديًا مهووسًا من الفريسيين ويبدو أنه ازداد هوسًا بعد تحوله إلى الدين المسيحى . وبسبب كرهه لإسماعيل (نظرًا لأحقيته بالعهد) فقد نسى أو تغاضى عن وصايا موسى التى تحرم زواج الرجل من أخته تحت طائلة القتل ولو كان بولس يتلقى الوحى من الله كما ادعى لأدان كتاب سفر التكوين لكونه محشوًا بالأباطيل ومنها أن إبراهيم كان زوجًا لأخته (١٢/٢٠) ، ولم يتورع بولس أن يشبه هاجر بجبل سيناء الذى يلد العبوديه كما يدعى ، بينما يصف سارة بأنها أورشاليم العليا التى تلد الأحرار (سفر غلاطية ٤/٢٥-٢٦) فهل قرأ القديس بولس فى حياته عقاب الملعونين التالى :

(ملعونٌ ذلك الذى يضطجع مع أخته ابنة أبيه ، أو ابنة أمه ، والناسُ جميعًا يقولون آمين) (سفر تثنية الاشترا ع ٢٧/٢٢) .

وهل يوجد قانون بشرى أو سماوى يعتبر من كان أبوه خاله وأمه عمته فى نفس الوقت أكثر شرعية من ولادة من كان أبوه كلدانياً وأمه مصرية ؟؟

وهل يستطيع أى مؤمن أن يطعن فى عفة وتقوى هاجر ؟ زوجة النبى إبراهيم وأم النبى إسماعيل ؟!

إن الله الذى أعطى العهد لإسماعيل قد أنزل قانون الوراثة التالى :

(إذا كان لرجل زوجتان إحداهما مفضّلة على الأخرى ، وكان لكل منهما ولد ، وإذا كان ابن غير المفضلة هو الولد البكر ، فإن البكر هو صاحب حق البكورية وليس ابن الزوجة المفضلة ، وعليه فإن الولد البكر سوف يرث ضعف ما يرث أخوه) (سفر تثنية الاشتراع ٢١/١٥-١٧) . أليس هذا القانون من الوضوح بما يكفى ليسكت جميع الذين يجادلون فى حق البكورية لإسماعيل ؟! .

والآن نبحث مسألة أحقية إسماعيل فى العهد بصورة مختصرة . كان رسول الله إبراهيم شيخ قبيلة رحّل يتنقل من مكان إلى آخر ويعيش فى خيمة ويملك قطعانًا من المواشى ومن المعروف أن البدو الرحّل لا يرثون أرضًا ولا مرعى ولكن الأمير يخصص لكل من أبنائه عشيرة تخضع له . وكقاعدة متبعة يرث الابن الأصغر خيمة أبيه أما الابن الأكبر فيخلف أباه فى الحكم إلا إذا لم يكن أهلاً لذلك .

وقد انطبق هذا الوضع على ولدى إبراهيم ، فإسحاق أصغرهما ورث خيمة أبيه وأصبح مثله بدويًا يتنقل من مكان إلى آخر ، أما إسماعيل فأرسل إلى الحجاز ليحرس بيت الله الذى كان قد بناه مع أبيه ، كما يذكر القرآن الكريم : **﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾** (سورة البقرة الآية ١٢٧) ، وهنالك استقر إسماعيل وأصبح نبيًا وتبعته القبائل العربية التى آمنت به . وفى مكة أو **﴿بَكَّةَ﴾** أصبحت الكعبة قبلة للحجاج ونشر إسماعيل دين الله وسن مشروعية الختان وتكاثرت ذريته بسرعة كنجوم السماء ، وبقى العرب من بعده فى شبه الجزيرة أسيادًا فى أوطانهم عجزت إمبراطوريتا الروم وفارس عن إخضاعهم ، وبالرغم من انتشار عبادة الأصنام بينهم فيما بعد إلا أنهم بقوا على ذكر الله وذكر إبراهيم وإسماعيل وغيرهم من الأنبياء .

وبالمثل فإن (عيص) الابن الأكبر لإسحاق ترك مسكن أبيه لأخيه الأصغر يعقوب واستوطن إيدوم (جنوب البحر الميت بفلسطين) حيث تزعم شعبه وامتزج مع قبائل إسماعيل العربية . وأما ما يروى من أن عيص باع حقه فى البكورية إلى يعقوب مقابل طبقٍ من الحساء فلا يعدو أن يكون محاولة خبيثة لتبرير سرقة حق البكورية من إسماعيل. فقد زعموا أن **(الله كره**

عيص وأحب يعقوب) وهما ما زالا توأمين فى رحم أمهما ، وأن على الابن الأكبر أن يخدم أخاه الأصغر (سفر التكوين ٢٥ ، سفر رومية ٩/١٢-١٣) والعجيب أن هناك قصة أخرى فى سفر التكوين تذكر لنا أن الأمر كان على عكس ذلك ، إذ يذكر الفصل (٣٣) من سفر التكوين أن يعقوب كان يخدم عيص ويركع أمامه سبع مرات قائلاً **(سيدى)** أو : **(عبدك يا سيدى)** .

وقد ذكر أن إبراهيم رزق العديد من الأبناء الآخرين من (قيتورا) ومن محظياته وأنه أرسلهم نحو الشرق بعد أن زودهم بالهدايا ومن ذرياتهم تكونت قبائل كبيرة وقوية . وقد وردت أسماء اثنى عشر من أبناء إسماعيل أصبح كل منهم أميرًا على مدنه ومعسكراته (سفر التكوين ٢٥) . وأيضًا وردت أسماء أبناء إبراهيم من (قيتورا) والمحظيات وأسماء أبناء عيص .

وحين نلاحظ أن عدد أفراد عائلة يعقوب عندما ارتحل إلى مصر للقاء ابنه يوسف كان لا يكاد يبلغ سبعين شخصًا ، وأن عيص التقاه ومعه أربعمائة من الفرسان فقط ، فى حين أن القبائل العربية الكثيرة قد خضعت لحكم الاثنى عشر أميرًا من ذرية إسماعيل ، ثم إن محمدًا ﷺ وحّد جميع القبائل العربية تحت راية الإسلام فانطلقت تفتح البلاد الموعودة . إننا حين نفكر بذلك ، نقف على الحقيقة الساطعة التى لا يمكن التغاضى عنها وهى أن العهد قد أعطى لإسماعيل وأنه تحقق فعلاً على يدى حفيده محمد ﷺ .

وفى الختام ألفت نظر الدارسين والمتخصصين فى الدراسات العليا فى نقد الكتاب المقدس إلى حقيقة هامة ، وهى أن التنبؤات عن قدوم مسيح (مخلّص) منتظر من سلالة داود كانت جزءًا من دعاية مبتدعة لصالح سلالة داوود بعد انقسام مملكة سليمان إلى قسمين ولكن النبيين إلياس واليسع الذين اشتهرا فى زمن مملكة السامرة (إسرائيل) لم يذكرا اسم داود أو سليمان ، كما أنه بعد انقسام مملكة سليمان لم تعد القدس مركزًا دينيًا للقبائل الاثنى عشر وأنما فقط لقبيلتى (سبطىْ) يهوذا وبنيامين فقط ، ولذلك انتفت ادعاءات سلالة داود القائلة بالحكم الأبدى فى مدينة القدس .

ولكن الأنبياء من أمثال إشعيا وغيره ممن ارتبطوا بمعبد القدس وبيت داود كانوا قد تنبئوا بقدوم النبى العظيم صاحب السلطان الكبير خاتم الأنبياء ، وأنه سوف يُعرف بعلامات معينة واضحة مما سوف ندرسه فى الفصول القادمة .

الفصل الثالث

لغــز المصفـا

سأحاول فى هذا الفصل أن أشرح التقديس العبرى القديم للحجر وهو أمر أسسه فى مكة إبراهيم وإسماعيل ، وفى أرض كنعان إسحاق ويعقوب ، وفى مؤاب وأماكن أخرى أسسه آخرون من سلالة إبراهيم .

ومن المفهوم أن عبارة تقديس الحجر لا تعني عبادته فذلك من الوثنية ، ولكن المقصود هو عبادة الله عند حجر معين خُصّص لذلك الغرض . ففى حياة التنقل والبداوة لم يكن للأسرة أو القبيلة موطن دائم تبنى فيه بيتًا مخصصًا لعبادة الله ؛ لذا اعتادت على نصب حجر ما تحج إليه وتطوف حوله سبع مرات فى كل مكان تقيم فيه . وإن كلمة (حج) متطابقة تمامًا من حيث المعني والأصل فى اللغات السامية ، فكلمة حجاج العبرية Hagag هى نفسها كلمة حجاج العربية Hajaj والفرق الوحيد هو لفظ الحرف الثالث من الأبجدية السامية وهو الجيم الّتى يلفظها العرب جيمًا . وإنّ شريعة موسى تَستخدم هذه الكلمة بعينها وهى Hagag أو حفاغ[1] وتعنى الهرولة حول صرح أو حجر بخطوات منتظمة لدى الاحتفال بعيد دينى . وفى الشرق لا يزال النصارى يمارسون ما يسمونه حجة Higag أثناء أعيادهم أو فى الأعراس. وعلى ذلك فإنه لا علاقة للفظ (حجة) بكلمة pelerinage أو pil-grimage المشتقة من الكلمة الإيطالية pellegrino بمعنى الأجنبى .

---

(١) فى العبرية والآرامية لا تلفظ (ج) كما فى العربية وإنما تلفظ كحرف g اللاتينى ، أو تلفظ غ فى بعض الأديان .

كان إبراهيم أثناء ترحاله وعند إقامته الموقتة فى مكان ما يقيم مذبحًا للعبادة والأضاحى فى مناسبات معينة . وقيل إن يعقوب عندما كان فى طريقه إلى حاران ورأى رؤيا السلم العجيب نصب حجرًا هناك وسكب عليه الزيت وسماه بيت إيل "Bethel" أى بيت الله . ثم عاد لزيارة ذلك الحجر بعد عشرين عامًا وسكب عليه الزيت والخمر حسبما يدعيه سفر التكوين (٢٨/١٠-٢٢) (٣٥) ، كما نصبَ يعقوب وحميّه حجرًا فوق كومة من الحجارة وأطلق عليه اسم (مصفا) .سفر التكوين ٣١/٤٥-٥٥) .

وقد أصبحت هذه (المصفا) فيما بعد مكانًا للعبادة ومركزًا للمجالس القومية فى تاريخ شعب إسرائيل ، فعندما نذر البطل اليهودى نفتاح نذرًا أمام الرب وقيل أنه بعد أن هزم العمونيين قدم ابنته الوحيدة لتُحرَق قربانًا (سفر القضاة ١١) ... وعند المصفا تجمع أربعمائة ألف مقاتل من قبائل إسرائيل الإحدى عشر وأقسموا أن يستأصلوا قبيلة بنيامين (الثانية عشر) بسبب الجريمة البشعة التى اقترفتها فى جبعة (سفر القضاء ٢٠ . ٢١) وعند المصفا دعا النبى صموئيل الناس لكى يقسموا أمام الرب أن يدمروا جميع أصنامهم وتماثيلهم وتمت نجاتهم بعد ذلك من الفسلطينيين (سفر صموئيل الأول ٧) وعند المصفا اجتمعت الأمة وتمّ تنصيب طالوت (شاؤول) ملكاً على العبرانيين (سفر صموائيل الأول ١٠) وباختصار فإن كل قضية هامة يُبَتُّ فيها عند هذه المصفا أو (البيت إيل) .

ويبدو أنهم كانوا يبنون هذه (المصفايات) على أماكن مرتفعة تدعى (راموث) أى المكان المرتفع ثم أضافوا إليها الأصنام والتماثيل شأنها شأن الكعبة فى مكة المكرمة ، وقد حافظوا على احترامهم لها بعد بناء معبد سليمان فى القدس كما أنه بعد خراب القدس والمعبد على أيدى الكلدانيين احتفظت المصفا بطابعها المقدس حتى عهد المكابيين أثناء حكم الملك أنطيوخوس .

أما معنى كلمة (مصفا) فهى تترجم عادةً إلى (برج مراقبة) وهى أيضًا البناء الحجرى الذى يشتق اسمه من (الصفاة) وهى كلمة قديمة معناها حجر ورغم أن الكلمة العبرية المألوفة التى تطلق عادة على الحجر هى (ايبِنْ) وفى العربية حجر وفى السريانية (كيبَا) فإن كلمة صفاة مشتركة

بين اللغات السامية ومن هنا فإن المعنى الحقيقى لـ (مصفا) هو المكان الذى يثبت فيه الصفا أو الحجر . علمًا أنه عندما أطلق اسم مصفا لأول مرة على الحجر المنصوب فوق كومةٍ من الحجارة كان الحجر قائمًا بمفرده دون أى صرح حوله .

ولشرح مغزى صفاة ، لابد من الاعتماد على صبر قرّائى الذين لا يعرفون العبرية ، إن اللغات السامية بما فيها العربية والعبرية تفتقر إلى حرف p فى أبجديتها . أما فى اللغة الإنكليزية فهم ينقلون صوت F الذى يرد فى أي كلمة سامية أو يونانية على شكل ph بدلاً من F مثل "Mustapha" ، "Philosophy" .

وعندما لقب المسيح أول تلاميذه سمعان (شمعون Simon) باللقب الشهير (صخر) أو (Petros) أى (بطرس) ، لابد وأنه كان يفكر بكلمة صفا القديمة . وللأسف أننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط الكلمة التى استخدمها بلغته لهذا الغرض ، ذلك أن كلمة بطرس أى Petros بصيغة المذكر (Petra بصيغة المؤنث) غير مألوفة وغير يونانية لدرجة أن المرء يحار فى سبب استعمالها من قبل الكنائس . ولكن الترجمة السريانية للكتاب المقدس المسماة "Peshitta" احتفظت بكلمة (كيبا) أو (كيفا) لتؤدى المعنى المقصود كما أن النص اليونانى قد احتفظ بالاسم الأصلى كيفاس Kephas (والذى كتبته الترجمات الإنكليزية على شكل "Cephas") مما يؤيد أن المسيح تكلم اللغة الآرامية وأعطى تلميذه الأول لقب (كيفا Kepha) .

وفى التراجم العربية القديمة للعهد الجديد ورد اسم القديس بطرس على أنه سمعان (شمعون) الصفاة أى سمعان الصخرة أو الحجر . وكلمات المسيح (أنت بطرس) يقابلها فى الترجمة العربية (أنت الصفاة) (إنجيل متى ١٦/١٨ ، وإنجيل يوحنا ١/٤٢ ... إلخ) .

وينتج من كل هذا أنه إذا كان سمعان (شمعون) هو الصفاة فإن الكنيسة التى تقام على الصفاة هى المصفا . وكون المسيح قد شبّه سمعان بـ (الصفاة) وبحيث تكون الكنيسة (مصفا) أمر يلفت النظر بصورة واضحة ، إذ عندما أحاول فك لغز هذا التشبيه والحكمة المتضمنة فيه أرى الحقيقة الهائلة تفرض نفسها عن استحقاق (محمد) للقبه المختار وهو (المصطفى) .

ولاستيضاح ما ذكر أعلاه قد يطرح الأسئلة التالية :

(ا) : لماذا اختار المسلمون والموحدون من سلالة إبراهيم الحجر لكى يؤدوا طقوسهم الدينية عنده ؟

(ب) : لماذا سمّى هذا الحجر (صفاة) ؟

(ج) : ما قصد الكاتب من كل ذلك ؟

لقد اختير الحجر كأنسب مادة يستطيع المسافر أن يقوم بطقوسه الدينية عنده وأيضًا لتخليد النذور التى قد يكون قطعها على نفسه . ولهذ الغرض لا يمكن لأية مادة أخرى أن تضاهى الحجر من ناحية صلابته وديمومته وبساطته وانعدام قيمته المادية فلو كان من الذهب أو الفضة أو المعدن لتعرض للسرقة . وكانت شريعة موسى تمنع نحت حجر المذبح أو عمل نقوش أو زخارف عليه لئلا يعبده الجهلاء ولم يكن الصفا مقدسًا وحده بل كانت البقعة التى يقع فيها مقدسة أيضًا ، مما يفسّر كيف أن القرامطة الذين أخذوا الحجر الأسود من الكعبة وأبقوه معهم عشرين سنة اضطروا لإعادته لأنهم لم يستطيعوا تحويل الحجاج عن الكعبة . ولو كان الحجر الأسود من الذهب أو أى عنصر ثمين آخر لما أمكن أن يدوم حوالى خمسة آلاف سنة . كما أنه لو احتوى على بعض النقوش أو الصور لأزاله الرسول محمد ﷺ بنفسه .

نعود إلى فكرة برج المراقبة (المصفا) حيث كان الشخص الذى يراقب من البرج يسمى صوفى "Sophi" وفى الأصل كانت (المصفا) مجرد مزار على مكان منعزل مرتفع حيث كان يعيش المراقب الصوفى مع أسرته (سفر الملوك الثانى ٩/١٧ وغيره) وهو رجل الدين المسمّى (روى Roi أو جوزى Hoze) ومعناها العرّاف أو المترقب (سفر صموئيل الأول ٩/٩) . وبالطبع فإن علماء اللغة العبرية يعرفون جيدًا كلمة (مصفّى) التى تعادل فى العربية المُصَفّى وهو الشخص الذى يغربل الغث من السمين ، وقد كان عمل المراقب (الصوفى) أن يراقب من برج المراقبة (المصفا) من أجل تمييز الحجاج فى الصحراء ، أو للتحذير من خطر ما أو للتعرف على شخصية

معينة بين القادمين . وبعد تأسيس إسرائيل في أرض كنعان ازداد عدد (المصفايات) وسرعان ماتحولت إلى مراكز دينية هامة تطورت إلى معاهد للتعليم والجمعيات الدينية ، ويبدو أنها صارت تشبه الجماعات الصوفية الإسلامية مثل المولوية والبكداشية والنقشبندية وغيرها وكان لكل منها شيخها ومرشدها ، كما كانت هناك مدارس ملحقة بكل مصفا حيث كان يجرى تدريس الشريعة والدين والأدب العبرى وعلوم أخرى .

ولكن بالإضافة لهذا العمل التعليمى كان الصوفى رئيس المصفا يلقن تلاميذه تعاليم الدين الخاصة مما يعرف الآن باسم الصوفية . والواقع أن من نعرفهم الآن باسم الصوفية كانوا يسمون عندهم مجازًا (نبييم) أى أنبياء بدليل أنه عندما مُسِحَ طالوت (شاؤول) بالزيت وتوج ملكًا انضم إلى الصوفية وأعلن فى كل مكان **(انظروا شاؤول أيضًا بين الأنبياء)** (سفر صوئيل الأول ١٠/٩-١٣) .

واستمرت الصوفية بين العبرانيين فى جمعيات دينية خاصة تحت إشراف الأنبياء حتى وفاة الملك سليمان وانقسام مملكته إلى قسمين (مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا) ويبدو أن ذلك قد سبّب انشقاقًا عظيمًا بين الصوفيين أيضًا .

إلا أنه مهما كان وضع الصوفيين العبرانيين بعد الانشقاق الدينى والقومى الكبير فمن المؤكد أن المعرفة الحقيقية بالله وعلوم الدين الخاصة ظلت محفوظة بينهم إلى أن ظهر عيسى عليه السلام الذى نقل تلك العلوم إلى مجموعة من التلاميذ ترتكز على سمعان الصفا . ثم أدام الصوفيون والمترقبون فى المصفا المسيحية هذه المعرفة ونقلوها إلى تلاميذهم جيلاً بعد جيل حتى ظهر النبى المختار محمد المصطفى (مصطفى باللغة العبرية) .

وقد ذكر العهد القديم عدة «أنبياء» متصلين (بالمصفاة) ولكن كثيرًا ما استخدمت الكتب العبرية كلمة (أنبياء) بصورة مبهمة أو حتى بصورة مجازية . وأنه يجب أن نفهم ما يعلن القرآن بوضوح : ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ (سورة الأنعام ١٢٤) ، فهو لا يعطى النبوة لشخص بسبب رفعة نسَبِهِ أو كثرة ثروته أو حتى تقواه ، بل يعطيها حسب مشيئته تعالى

لأن الايمانَ والتقوى والتأملات الروحية والصلوات والصيام والمعرفة الدينية قد ترفع الشخص الجديد ليصبح مرشداً روحيًا أو إلى مرتبة وليّ ولكن ليس إلى درجة النبوة لأن النبوة لا يحصل عليها المرء بجهوده بل هى هبة من الله ، وحتى بين الأنبياء لم يكن هناك من الرسل سوى القلائل الذين بُعثوا بكتاب منزل خاص بهم . ويذكر بهذا الخصوص أن معظم الكتب اليهودية المقدسة كانت على الغالب من نتاج (المصفايات) قبل الأسر البابلى ثم أنه بعد ذلك تم تعديلها من قبل أيدٍ مجهولة حتى اتخذت شكلها الحالى .

ومن المفيد الآن أن نقارن بإيجاز الصوفية الإسلامية مع الكلمة اليونانية (Sophia) بمعنى الحكمة . إن الفلسفة بمعناها الواسع تعنى بدراسة المبادئ الأولى للوجود وهى تتجاوز قوانين الفيزياء والطبيعة وتحاول الوصول إلى الحقيقة الأساسية . فى حين أن التصوف الإسلامى هو التأمل فى الله وفى النفس واتخاذ الرياضة الروحية سبيلاً للاتصال بالله وإن تفوق الصوفية الإسلامية على الفلسفة اليونانية واضح من الموضوع الذى تتناوله وهى حتمًا أسمى من الرهبانية النصرانية من حيث تسامحها مع معتقدات الآخرين ، فالمتصوف المسلم يكنّ الاحترام للأديان الأخرى ويسخر من فكرة «الهرطقة» ويبغض الاضطهاد والإكراه فى حين أن معظم قديسى النصارى كانوا إما مضطهدى الكفار أو من الذين قاسوا من اضطهاد الكفار لهم وقد ذاعت شهرتهم بسبب إسرافهم فى التعصب وعدم التسامح .

إن الصوفية أو (الحكمة) التى تعنى المعرفة الحقيقية بالله والعلم الصحيح عن الدين والأخلاق تعنى أيضًا الاصطفاء الحق لخاتم رسل الله من بين جميع رسله ، كل ذلك ينبع من مؤسسة (المصفا) اليهودية حتى تحولها إلى (مصفا) نصرانية ، ومن المدهش حقًا أن نرى صِحّة التشبيه وكيفَ أن التدبير الإلهى لأحوال الخلق يتم بغاية الدقة والانتظام . فمن خلال المصفاة كان يُصفّى الناس وينخلون من قبل المصفى كما لو كان ذلك يتم من خلال مصفاة الطعام (لأن هذا هو معنى الكلمة) بحيث يتم تمييز الحقيقى عن الزائف والثمين عن الغَثّ ، وتتوالى القرون ويأتى العديد من الأنبياء والمصطفى لا يظهر ثم يأتى عيسى المسيح عليه السلام فيُقابل بالرفض والاضطهاد لأنه لم يكن فى إسرائيل تلك (المصفاة) الرسمية التى

كان بإمكانها أن تتعرف عليه كرسول حقيقي أرسل ليشهد أن المصطفى هو آخر نبى يأتي بعده . وكان المجمع الكبير للكنيس الذى دعا إليه وأسسه عزير ونحميا والذى كان آخر أعضائه (سمعان العادل) (المتوفى حوالى ٣١٠ ق.م) قد اندثر ثم خلفته المحكمة العليا فى القدس والمسماة (ساهِدرين) التى حكمت على عيسى المسيح عليه السلام بالموت لأنها لم تدرك شخصيته ولا طبيعة رسالته السماوية المقدسة ولكن بعض الصوفية والحكماء عرفوا عيسى وآمنوا برسالته رغم أن الجماهير فى وقت ما ظنته المصطفى ونادت به ملكًا غير أنه توارى عن الأنظار لأنه لم يكن المصطفى ولو كان هو المصطفى لكان من العبث أن يجعل سمعان (الصفا) ومن كنيسته (المصفا) . لأن وظيفته (المصفا) كانت الترقب والبحث عن آخر الرسل حتى إذا جاء فسوف يُنادى به على أنه المصطفى وهذا الموضوع عميق وشيق جدًا وجدير بالدراسة . إن (محمّدا المصطفى) هو لغز (المصفا) وهو كنز الحكمة .

الفصل الرابع

محمد هو (الشايلوه)

عندما كان يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهم السلام) على فراش الموت بعد أن بَلَغَ السابعة والأربعين بعد المائة من عمره دعا أولاده الاثنى عشر وأسرهم إليه وبارك كلاً منهم وتنبأ له بمستقبل قبيلته وأوصاه ، وهذا ما يعرف عادة (بعهد يعقوب)[1] وهو مكتوب بالعبرية بأسلوب أنيق ذى لمسة شعرية. ويتضمن العهد عرضًا لمراحل حياته ، ويدعى سفر التكوين أن يعقوب استغل جوع أخيه عيص واشترى منه حق البكورية بطبق من الحساء ثم خدع والده العجوز الضرير وحصل على مباركته التى كانت من حق عيص بحكم كونه الابن البكر . وخدم سبع سنوات ليتزوج من "راحيل" لكن والدها خدعه وزوجه أختها الكبرى "ليئة" بدلاً منها ولذلك اضطر أن يخدم سبع سنوات أخريات من أجل زواجه بالثانية . كما حزن كثيرًا بعد فقدان زوجته المحبوبة راحيل ثم اختفاء ابنه المفضل يوسف لعدة سنوات وقد استرد بصره بعد أن علم بوجوده ثم التقاه فى مصر مما كان مصدر فرح كبير له ، لقد كان يعقوب نبيًا لقبه الله بإسرائيل وهو الاسم الذى تمسكت به القبائل الاثنا عشر التى انحدرت من أبنائه .

تتكرر قصص اغتصاب حق الولد البكر فى سفر التكوين ويصور يعقوب على أنه مثال الاعتداء على حقوق الآخرين ويقال إنه أعطى حق البكورية

---

(١) قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

(سورة البقرة الآية ١٣٣) .

حفيده (مَنشى) إلى أخيه الأصغر (أقرايم) رغم احتجاجات والدهما يوسف (سفر التكوين الفصل ٤٨) . كما إنه يَحرمُ ابنَهُ الأكبر (رأوبين) حق البكورية وينعم به على يهوذا ابنه الرابع لأن رأوبين ضاجع (بلهة) محظية يعقوب وأم ولديه (دان) و (نفتالى) ثم يحرم يهوذا لأنه ليس أفضل من أخيه بعد أن زنى بـ (تامار) زوجة أخيه فأنجبت طفلاً أصبح جد كل من داود وعيسى المسيح حسب زعمهم (التكوين الفصول ٢٥-٣٨) . ومن العجب كيف يصدق اليهود والنصارى أن مؤلف سفر التكوين (أو كاتب السفر أو محرره) ملهم من الروح القدس ، ففى هذا السفر تنسب أشنع الجرائم وأفظع الفواحش للأنبياء وبيوت الأنبياء كما يُقال فيه أن يعقوب كان زوجًا لأختين فى آن واحد مع أن ذلك مخالف للشريعة بشكل صارخ (سفر اللاويين ١٨/١٨) . وباستثناء (يوسف) و (بنيامين) فقد وصف سفر التكوين أبناء يعقوب الآخرين أنهم رعاة شرسون وكذابون وقتلة وزناة مما لا يليق بأسرة نبى . وبالطبع لا يقبل المسلمون ذلك بحق أى نبى ولا يصدقون الخطيئة المنسوبة ليهوذا وإلا لكانت البركة التى أعطاها له أبوه يعقوب أمرًا غريبًا إذ لا يمكن ليعقوب أن يبارك ابنه يهوذا الذى زعموا أنه كان والد (بيريز) ابن زوجة أخيه ، لأن الزانيين محكوم عليهما بالإعدام (سفر اللاويين ١٢/٢٠) . وقد وردت كل هذه القصص الغريبة فى سفر التكوين بالفصول (٢٥-٥٠) .

أما النبوءة الشهيرة التى تعتبر نواة لعهد يعقوب فقد وردت فى (سفر التكوين ١٠/٤٩) وهى كما يلى :

(لا يزولُ الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتى شايلوه ويكون له خضوع الأمم) . هذه هى الترجمة الحرفية للنص العبرى بقدر ما أستطيع فهمه وأن كلمة شايلوه فى النص فريدة لا تتكرر فى أى مكان آخر من العهد القديم . وحسبما أعلم فإن جميع تراجم العهد القديم قد احتفظت بكلمة (شايلوه) كما هى دون ترجمة أو شرح لمعناها عدا الترجمة السريانية المسماة البشيتا "peshitta" التى ترجمت الكلمة إلى **(الشخص الذى يخصه)** أى الشخص الذى يخصه الصولجان والتشريع ، وبموجب هذه الترجمة الهامة فإن معنى النبوءة يظهر واضحًا كما يلى :

(أن صفات السلطان والنبوة لن تنقطع من يهوذا (وسلالته) إلى أن يجيء الشخص الذى تخصه هذه الصفات ويكون له خضوع الأمم) .

ويحتمل أن كلمة (شايلوه) مشتقة من الفعل (شَلَهْ Shalah) وفى هذه الحالة فهي تعنى المسالم الهادئ الموثوق ، كما أن هذا الفعل يعنى أيضًا أرسل وفوض من اسم المصدر (شلوه Shaluh) أى المُرسَل أو الرسول . وفى هذه الحال فإن الكلمة سوف تأخذ معنى (شيلواح Shiluah) وتكون عندئذٍ مرادفة تمامًا لـ (رسول ياه Aspostle of Yah) وهو نفس اللقب المعطى لمحمد (رسول الله) والمعروف أيضًا أن كلمة (شيلواح) هى أيضًا تعبير فنى لكلمة (الطلاق) ذلك لأن الزوجة المطلقة (تُرسلُ) بعيدًا . ولا أستطيع أن أجد تفسيرًا آخر لهذا اللقب الهام سوى هذه المعانى الثلاثة .

ومن المعروف أن اليهود والنصارى معًا يعتقدون أن عهد يعقوب هو أحد أبرز التنبؤات المسيحانية عن مجيء المخلص المنتظر . ولا ريب أن المسلمين يؤمنون أن عيسى نبى الناصرة هو المسيح نفسه لأن القرآن يثبت ذلك ، والواضح أيضًا من الكتب المقدسة اليهودية أن لقب (مسيح) كان يطلق على كل من ملوك إسرائيل والكهنة الكبار ممّن كانوا يُمسحون بالزيت المقدس المكون فى معظمه من زيت الزيتون وعطور متنوعة ، حتى أن قورش الزرداشتى ملك فارس كان يُدعى (مسيح الله) حسبما ورد فى سفر أشعيا (٤٥/١–٧) !! أما بالنسبة لعيسى فحتى لو اعترف اليهود ببعثته النبوية ، وهو الشيء الذى لم يحدث ، فإن مهمته المسيحانية كمخلّص منتظر لم تكن مقبولة لديهم لأنه لم توجد فيه أى من صفات المسيح التى توقعوها . فاليهودى ينتظر مسيحًا مقاتلاً ذا سلطة دنيوية ، وفاتحًا يُعيدُ مملكة داود ، مسيحًا يجمع شمل إسرائيل فى أرض كنعان ويُخضعُ الأمم تحت سلطته .

غير أنه يمكن التأكد من تحقق نبوءة يعقوب حرفيًا فى (محمد) من الحجج التالية :

١ – هناك إجماع بين المعلقين أن التعبيرين المجازين : (الصولجان) و (التشريع) معناهما (السلطة الدنيوية) و (النبوءة) على التوالى .

٢ – إن الترجمة السريانية للكتاب المقدس (البشيتا Peshitta) ترجمت كلمة (شايلوه) إلى (الشخص الذى يخصه الصولجان والتشريع) . أى الذى يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الأمم .

فمن يكون هذا السلطان والمشرع العظيم ؟

قطعًا ليس موسى ، لأنه كان أول منظم لقبائل إسرائيل الاثنى عشر ولم يكن قبله أى ملك أو نبى من سبط يهوذا أصلاً . وحتمًا ليس داود لأنه كان أول نبى من نسل يهوذا نفسه . كما أنه ليس عيسى المسيح لأنه أعلن بنفسه أن المسيح الذى تنتظره إسرائيل لن يكون من نسل داود (إنجيل متى ٢٢/٤٤-٤٥ ، مرقص ١٢/٣٥-٣٧ ، لوقا ٢٠/٤١-٤٤) ، أضف إلى ذلك أن عيسى لم يترك تشريعًا مكتوبًا ولم يفكر بسلطان دنيوى قط وعلى العكس فقد نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة ، وفى إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكًا لكنه تنصل منها واختفى ، وكان إنجيله محفوظًا فى قلبه وقد بَلّغَ (البشارة السارة) (الإنجيل) شفاهةً وليس كتابةً . علمًا أنه لم يبطل شريعة موسى بل أعلن صراحة أنه قدم لتحقيقها ، كما أنه لم يكن آخر الآنبياء .

غير أن محمدًا ﷺ جاء بالسلطة الدنيوية وبالقرآن يحلان محل الصولجان اليهودى المهترىء والشريعة القديمة غير العملية . وأعلن أنقى الأديان وتوحيد الإله الحق ، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر ووحّد بالإسلام أممًا كثيرة لاتشرك بالله شيئًا حتى صارت تطيعه وتحبه وتحترمه ولكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلهًا وقد سحق محمد آخر معاقل اليهود فى قريظة وخيبر ووضع نهاية لنفوذهم .

٣ – إن المعنى الثانى لكلمة شايلوه Shiloh ينصبّ أيضًا لصالح محمد ، وهو يعنى هادئ مسالم أمين وديع ومن الحقائق المعروفة جيدًا فى تاريخ نبىّ بلاد العرب أنه كان قبل البعثة كثير الهدوء والمسالمة ومحلاً للثقة مما جعل أهل مكة يسمونه (محمد الأمين) وعندما خلع عليه أهل مكة هذا اللقب لم تكن لديهم أدنى فكرة عن (شايلوه) بهذا المعنى ، ومن الإعجاز أن الرسالة نزلت على العرب الوثنيين الأميين لكى يواجهوا اليهود المتعلمين الذى كان لديهم كتابات مقدسة يعرفون محتوياتها تمامًا .

٤ - أما المعنى الثالث لاسم شايلوه Shiloh الذى قد يكون تحريفًا لـ (شيلِواح Shiluah) فإنه يتطابق مع لقب النبى العربى الذى يتكرر كثيرًا فى القرآن وهو (الرسول) الذى يعنى بالضبط ما تعنيه (شيلِواح) أى رسول وأن (شيلِواح إلوهيم) بالعبرية تعنى بالضبط (رسول الله) وهو ما يتكرر فى نداء المؤذن خمس مرات كل يوم عندما يُنادى للصلاة من جميع مآذن العالم .

وأيًا من المعانى نختار لتفسير نبوءة يعقوب فإننا مضطرون بحكم تحققها جميعًا فى محمد أن نسلم بأن اليهود ينتظرون عبثًا مجىء شايلوه آخر ، وأن النصارى مصرون على خطئهم فى الاعتقاد أن عيسى كان هو المقصود بشايلوه .

وثمة نقاط فى النبوءة تستحق التفكير :

أولا : من الواضح أن السلطة والتشريع سيظلان فى سبط يهوذا طالما أن شايلوه لم يظهر . وبما أن اليهود يدّعون أن شايلوه لم يظهر حتى الآن فيفترض أن تكون كُلٌّ من السلطة الدنيوية والخلافة النبوية موجودتين لدى سبط يهوذا فى حين أنهما انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا .

وثانياً : بما إن قبيلة (سبط) يهوذا انقرضت ومعها السلطة الدنيوية والخلافة النبوية . فاليهود مضطرون أن يقبلوا واحدًا من خيارين : إما التسليم بأن شايلوه قد جاء من قبل دون أن يتعرف عليه أجدادهم أو أن يقروا أن قبيلة يهوذا التى يعتقدون أن شايلوه سينحدر منها لم تعد موجودة .

وثالثاً : إن نبوءة يعقوب تعنى بصورة واضحة (ومعاكسة تمامًا للاعتقاد المسيحى اليهودى) أن شايلوه يجب أن يكون غريبًا تمامًا عن قبيلة يهوذا بل عن جميع القبائل الاثنا عشر . إذ تقول النبوءة بوضوح أنه عندما يجىء (شايلوه) فإن السلطة والتشريع يختفيان من سلالة يهوذا ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان شايلوه غريبًا عن سلالة يهوذا فلو كان شايلوه منحدرًا من يهوذا فكيف يمكن أن ينقطع هذان الأمران من سلالته ؟ كما لا يمكن أن يكون شايلوه منحدرًا من قبيلة أخرى من سلالة يعقوب ، لأن الصولجان والتشريع كانا لصالح إسرائيل كلها وليس لمصلحة قبيلة

واحدة ، وهذه الملاحظة تنسف الادعاء المسيحى أيضًا لأن عيسى منحدر من يهوذا من ناحية أمه كما يقولون .

وإنى لأعجب من سلوك هؤلاء اليهود الضالين إذ طالما أن بنى إسماعيل وبنى إسرائيل هم من سلالة إبراهيم فما الفرق سواء كان شايلوه من يهوذا أو من زبولون ، من عيص أو من يسّاكر[١] ، من إسماعيل أو من إسحاق ، ما دام منحدرًا من أبيهم إبراهيم ؟

ادخلوا الإسلام وأطيعوا شريعته لكى يصبح بإمكانكم أن تعيشوا فى الأرض التى سكنها أجدادكم بسلام وأمان .

---

(١) حسب سفر التكوين فإن يعقوب تزوج بنتى خاله وهما ليئة وراحيل ، وتزوج أيضًا من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل ، وأعقب منهن اثنى عشر ابنًا يطلق عليهم الأسباط وهم :

- من ليئة : رأوبين – شمعون – لاوى (الجد الأكبر لموسى) – يهوذا (منه أخذت كلمة يهود وهو الجد الأكبر لداود وسليمان ومريم) – يسّاكر – زبولون .
- من راحيل : يوسف – بنجامين .
- من زلفة : جاد – أشير .
- من بلهة : دان – نفتالى .

الفصل الخامس

محمد وقسطنطين الكبير

في هذا الفصل نبحث إحدى رؤى النبى دانيال الذى كان فى الأصل أميرًا منحدرًا من أسرة مالكة يهودية ثم أخذ من القدس أثناء السبى البابلى مع ثلاثة آخرين من أمراء اليهود إلى قصر نبوخذ نصّر فى بابل حيث درس علوم الكلدانيين وعاش هناك حتى الفتح الفارسى وسقوط الإمبراطورية البابلية وقد بُعث فى فترة حكم ملك بابل نبوخذ نصّر ، ولا ينسب نقّاد التوراة لدانيال كتابة كامل السفر المسمى باسمه فالفصول الثمانية الأولى من السفر حسبما أعلم كانت مكتوبة بالكلدانية أما القسم الأخير فهو عبرى . وما يهمنا من سفر دانيال هو التحقق الفعلى للنبوءة الواردة فى الترجمة السبعينية من الكتاب المقدس والتى كتبت قبل العهد المسيحى بحوالى ثلاثة قرون .

وردت تلك النبوءة فى الفصل السابع من سفر دانيال ولعلها أروع وأوضح نبوءة عن البعثة النبوية لأعظم البشر وخاتم الرسل وهى تستحق دراسة جادة ومحايدة لأنها تصف بصورة رمزية أحداثًا هامة فى تاريخ البشرية . تصف هذه الرؤيا عواصف أربعة من السماء تصفر بمواجهة بحر عظيم يخرج منه على التوالى أربعة وحوش هائلة ، أولها على شكل أسد مجنح ، والثانى على شكل دب يحمل ثلاثة أضلع بين أسنانه . والثالث على شكل نمر ذى أربعة أجنحة وأربعة رؤوس. ثم الوحش الرابع الذى كان متوحشًا وشرسًا أكثر من الوحوش التى سبقته فهو وحش ذو قرون عشرة وأسنان حديدية ثم يبرز له قرن حادى عشر فتتحطم أمامه ثلاثة قرون وتظهر على القرن الحادى عشر أعين بشرية وفم بشرى يتفوه بعبارات الكفر والإلحاد

وفجأةً تظهر صورة الحي القيوم وسط ضوء متلألئ فى السماء على عرش ذى لهب نورانى ويتدفق أمامه نهر من النور تقف بين يديه ملايين الكائنات السماوية وكما لو كانت محكمة القضاء منعقدة فى جلسة غير عادية حيث تفتح الكتب فيحترق الوحش الرابع بالنار لكن القرن الذى يتفوه بالكفر يظل حيّا حتى يؤتى (بابن الإنسان) محمولاً على السحاب ويمثُل أمام رب العالمين فيتلقى منه سلطانًا ومجدًا وملكوتاً لتخضع له الشعوب والأمم إلى الأبد ، ويقترب النبى المبهور دانيال من أحد الملائكة راجيًا أن يفسّر له مايرى. فيجيبه أن كلاّ من الوحوش الأربعة يمثل إمبراطورية ، فالوحش الذى على شكل أسد مجنح بأجنحة نسر يمثل الإمبراطورية الكلدانية التى كانت قوية كالنسر المنقض على عدوه .

ويمثل الدب الإمبرطورية الفارسية التى امتدت فتوحاتها حتى البحر الأدرياتيكى وأثيوبيا وهكذا تحمل بين أسنانها ضلعًا من جسم كل من القارات الثلاث .

وأما النمر الرهيب ذى الأجنحة والرؤوس الأربعة فيرمز إلى إمبراطورية الإسكندر الكبير التى انقسمت بعد موته إلى أربعة ممالك . ولا يدخل الملاك فى التفاصيل إلا عندما يتحدث عن الوحش الرابع لأنه وحش ضخم وشيطان كبير وهو يرمز إلى الإمبراطورية الرومانية الجبارة ، والقرون العشرة منه تمثل أباطرة روما العشرة الذين اضطهدوا النصارى الأوائل ، ومن المعروف أن تاريخ الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى بعد المسيح وحتى زمن قسطنطين الكبير الذى ادعى النصرانية حافل بأهوال الاضطهادات العشرة الشهيرة .

والخلاصة أن الوحوش الأربعة تمثل قوى الظلام أى مملكة الشيطان . وبهذه المناسبة يجدر الانتباه إلى حقيقة إسلامية هامة وهى : **(إن الخير والشر من الله)** ، فى حين أن قدماء الفرس آمنوا (بثنائية الآلهة) أى مبدأ الخير والنور مقابل الشر والظلام والعداوة الأبدية بينهما ، كما أنه فى جميع الأدبيات اللاهوتية والدينية المسيحية التى قرأتها لم أعثر علي قول واحد يشبه هذا المبدأ الإسلامى بأن الله هو المصدر الحقيقى للخير والشر ، مما يعتبر معارضًا للنصرانية وأحد مصادر الكراهية للدين الإسلامى . رغم

أن الله تعالى قد أعلن هذا المبدأ بجلاء لقورش الذى يقول عنه إنه (مسيحه) ويريد منه أن يؤمن بالإله الواحد فقط فيعلن :

(أنا مكون النور وخالق الظلام وصانع السلام وخالق الشر ، أنا الإله الذى يصنع كل هذا) (سفر إشعيا ٤٥/١-٧) . ولا يوجد تعارض بين هذا المبدأ وبين فكرة أن الله خير ، لأن مجرد إنكار ذلك يتعارض مع وحدانية الله المطلقة .

نعود الآن إلي رؤيا دانيال فنلاحظ أن الوحوش الرمزية الأربعة كانت عدوة (لشعب الله المختار) وهو ماكان يُدعي به شعب إسرائيل القديم والنصارى الأوائل ، لأنهم الوحيدون الذين كانوا يدركون المعرفة الحقيقية والكتب المقدسة ووحى الله وذلك على النقيض من الإمبراطوريات الأربعة التى اضطهدتهم . ولكن طبيعة القرن الصغير الذى برز فى رأس الوحش الرابع كانت تختلف عن طبيعة الوحوش الأخرى بحيث أن الله نزل إلى السماء الدنيا ليقضى على الوحش الرابع بالدمار ، ثم دعا إلى حضرته البرناشا (ابن الإنسان) وأعطاه السلطان والمجد والملكوت كى تخضع له كل الشعوب والأمم والألسنة إلى الأبد (سفر دانيال ١٤/٧) وتكون أمته هى الأمة التى تقدس الله العلى القدير (سفر دانيال ٢٧/٧) .

فمن هو ذلك القرن الصغير ؟ . إنه بدون شك الإمبراطور الرومانى الحادى عشر فالقرن الصغير يبرز بعد حدوث الاضطهادات العشرة تحت حكم الأباطرة الرومان العشرة ، ومن المعروف أنه قبل تولى قسطنطين الكبير الحكم كانت الإمبراطورية ترزخ تحت تنافس أربعة مرشحين لمنصب الإمبراطور كان قسطنطين واحدًا منهم وقد مات الثلاثة الآخرون أو قتلوا فى المعارك فخلا الجو لقسطنطين ليحكم الإمبراطورية الرومانية ، وقد حاول الشارحون والمعلقون النصارى الأوائل - عبثًا - أن يصوروا هذا القرن الصغير البشع على أنه الدجال وعلى أنه بابا روما عند البروتستانت وعلى أنه نبى الإسلام (معاذ الله) كما أن النقاد التوراتيين المتأخرين محتارون فى حل مشكلة الوحش الرابع فيحاولون أن يصوروه على أنه الإمبراطورية اليونانية وأن القرن الصغير هو (أنطيخوس إبيفانس) ، فى حين أن الحيوان الرابع لا يمكن أن يكون إلا العالم الرومانى القديم وللبرهنة على أن القرن الصغير لم يكن سوى قسطنطين الكبير نطرح الحجج التالية :

(ا) تغلب قسطنطين على منافسيه الثلاثة وأصبح إمبراطورًا ويقدم كتاب جيبون Gibbon (إنحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) أفضل تاريخ عن تلك العصور ، ولن يكون باستطاعة أحد اختراع أربعة متنافسين بعد الاضطهادات العشرة للكنيسة إلا قسطنطين ومنافسيه الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة أمام القرن الصغير .

(ب) رمزت الرؤيا إلى الإمبراطوريات الأربع بوحوش عاقلة لكن القرن الصغير كان له فم وعينا بشر ، إنه وحش شنيع يملك المنطق والقدرة على الكلام . لقد أعلن عقيدة التثليث وترك روما للبابا وجعل من بيزنطة التى سماها القسطنطينية مركزًا للإمبراطورية وتظاهر باعتناق النصرانية لكنه لم يتعمد إلا قبيل موته وحتى هذا أمر مختلف عليه ، أما الأسطورة القائلة أن اعتناقه النصرانية كان بسبب رؤياه للصليب فى السماء فقد ثبت أنها أكذوبة .

لقد اتبعت الوحوش الأربعة تجاه المؤمنين أسلوب المجابهة الوحشية، أما القرن العقلانى فقد كان شيطانيًا خبيثًا لأنه حرص على تحريف الديانة من الداخل . لقد دخل قسطنطين إلى حظيرة المسيح على صورة مؤمن وفى ثياب حمل لكنه فى دخيلة نفسه لم يكن مؤمنًا فقد سمّم الأفكار وأفسد العقيدة كما سنرى فيمايلى.

(جـ) يَتَفَوّه القرن الصغير (الإمبراطور الحادى عشر) بكلمات وصلت إلى درجة الكفر بالله وإشراك مخلوقاته معه وتسميته بأسماء وصفات خرقاء (كالوالد) و (المولود) و (انبثاق الشخص الثانى والثالث فى الثالوث) و(الوحدانية ضمن التثليث) و (التجسّد) ، كل ذلك من العقائد الفاسدة التى يعتبر العهد القديم دليلاً حيّا على بطلانها وهى كفر يمقته المسلمون واليهود معًا .

ومنذ نزول الوحى على إبراهيم فى أور كلدان وحتى إعلان عقيدة مجمع نيقة عام ٣٢٥م . وتنفيذ قراراتها بمرسوم إمبراطورى من قسطنطين وسط ارتياع واحتجاج ثلاثة أرباع المشتركين فى مجمع نيقة – لم يسبق قبل ذلك أن حصل – تحد لوحدانية الله على مستوى الدولة وبشكل فاضح من قبل أدعياء الإيمان كما حصل من قِبَل قسطنطين وجماعته من الكهنوت . ولو

جُعل (براهما أو أوزيرس أو جوبتر أو فِسْتا) شركاء الله لاعتبرنا ذلك مجرد عقيدة وثنية ولكن عندما نرى المسيح واحدًا من ملايين الأرواح المقدسة (الروح القدس) من عبّاد الله تعالى يُرفعان إلى مرتبة الألوهية ، لاتجد ما نصف به أصحاب تلك العقيدة سوى الكلمة التى اضطر المسلمون لاستخدامها وهى الكفر . وإذا قال قائل إن المقصود بالقرن ليس قسطنطين فالسؤال : من يكون إذن ؟ لقد سبق أن جاء فعلاً وهو ليس الدجال المفترض أن يظهر مستقبلاً . وإذا لم نعترف أن هذا القرن سبق أن ظهر فكيف يمكن تفسير الوحوش الأربعة التى يمثل أولها دون شك الإمبراطورية الكلدانية وثانيها الإمبراطورية الفارسية ، وثالثها إمبراطورية الإسكندر التى انقسمت إلى أربع ممالك بعد موته وإذا لم يمثل الوحش الرابع الإمبراطورية الرومانية فهل هناك أية دولة أو قوة خلفت إمبراطورية الإسكندر سوى الإمبراطورية الرومانية ذات العشرة حكام المتتالين الذين اضطهدوا المؤمنين ؟ إن القرن الصغير هو قسطنطين حتمًا وليس مهمًا أن يكون كاتب الفصل السابع من سفر دانيال نبيًا أو راهبًا أو مشعوذًا إذ المؤكد أن تنبؤاته ووصفه للحوادث قبل أربعة وعشرين قرنًا ثبتت دقتها وصحتها فى شخص قسطنطين الكبير ذلك الشخص الذى أحجمت كنيسة روما عن رفعه إلى مرتبة القديسيين فى حين فعلت ذلك الكنيسة اليونانية .

(د) لم يكتف القرن الصغير بالافتراء والكفر بل شن حربًا ضد المؤمنين واضطهدهم (سفر دانيال ٢٢/٧) لقد اضطهد النصارى الذين اعتقدوا كاليهود بوحدانية الله المطلقة وأعلنوا أن التثليث فكرة كاذبة وخاطئة ولا أساس لها فى العقيدة ، وعندما دُعى أكثر من ألف من رجال الكهنوت إلى نيقية (أزنيق حاليًا) وافق (٣١٨) منهم فقط على قرارات المجلس وحتى هؤلاء الذين وافقوا كانوا يشكلون ثلاثة أحزاب متعارضة فى تعابيرها الغامضة والملحدة التى لا تليق بأنبياء إسرائيل وتليق فقط (بالقرن المتكلم) .

إن النصارى الذين عانوا الاضطهاد والذبح تحت حكم الأباطرة الرومان الوثنيين لأنهم آمنوا بالله الواحد ويعبده عيسى لم يكونوا أسعد حظًا تحت حكم قسطنطين (المسيحى) فقد حكم عليهم بموجب مرسومه الإمبراطورى

بعذاب أشد لأنهم رفضوا عبادة المسيح عبد الله ورفضوا اعتباره مساويًا ومتحدًا فى الجوهر مع ربه وخالقه ، أما كبار رجال الدين وكهنة المذهب الأريوسى (الموحدون) فقد أبعدوا عن مراكزهم ونفوا وصودرت كتبهم الدينية وأعطيت كنائسهم للأساقفة والقساوسة الثالوثيين ووضعت فرق الجيش القاسية تحت تصرف الثالوثيين، والخلاصة أن قسطنطين أنشأ نظام حكم إرهابى ضد الموحدين استمر ثلاثة قرون ونصف حتى أسّس المسلمون دعائم دين الله وتسلموا السلطان والمجد والملكوت فى الأراضى التى كانت تسيطر عليها الوحوش الأربعة .

(هـ) يُتهم (القرن المتكلم) بأنه غيَّر الشريعة وغيّر الأوقات (أى أيام الأعياد والعطل) ويتضح ذلك فيما يلى :

تغيير الشريعة :

لقد خرق مرسوم قسطنطين بصورة سافرة وصيّتين من شريعة موسى الأولى حول وحدانية الله (لن يكون لك إله غيرى) وقد تمّ خرقها بادعاء وجود ثلاثة أشخاص فى شخص الله وأن الله تعالى مولود من مريم ، أما الوصية الثانية التى تحرم صناعة الأصنام والتماثيل بغرض العبادة فقد تم خرقها ليس فقط بصنع التماثيل بل بجعل المخلوق إلهًا وعبادته ، وإمعانًا فى الكفر فقد تمت تسمية الخبز والنبيذ فى القربان المقدس على أنه (جسد الله ودمه) .

تغيير الأوقات :

بالنسبة لكل يهودى ملتزم ولنبى مثل "دانيال"الذى كان منذ شبابه شديد التقيد بالشريعة الموسوية ، ما الذى يمكن أن يكون أكثر مقتًا من تغيير عيد الفصح اليهودى Passover (الذى يضحى فيه اليهود بحمل صغير) إلى عيد الفصح المسيحى Easter ، الذى اعتبر أن الحمل هو (حمل الرب) الذى تمت التضحية به على الصليب ؟

أضف إلى ذلك إلغاء عطلة السبت وإحلال يوم الأحد مكانها مما يعتبر خرقًا صريحًا للوصية الرابعة من الوصايا العشر . صحيح إن الإسلام بعد ذلك ألغى يوم السبت ولكن السبب أن اليهود أساءوا استعماله بإعلانهم أن الله استراح فى اليوم السابع كأن الله يتعب كما يتعب البشر .

لقد ألغى قسطنطين يوم السبت بمرسوم إمبراطورى وحدد يوم الأحد مكانه لأنهم زعموا أن عيسى خرج من القبر يوم الأحد علمًا أن عيسى نفسه كان شديد التقيد بيوم السبت وقد وبخ زعماء اليهود لأنهم اعترضوا على القيام بأعمال الخير فى ذلك اليوم .

(و) إن الحرب التى أعلنها القرن الصغير (الإمبراطور الحادى عشر) ضد المؤمنين واستمرت لفترة ثلاثة قرون ونصف حتى ظهور الإسلام أدت إلى إضعافهم ولكنها لم تقضِ عليهم.

فقد كان "الأريسيون" المؤمنون بوحدانية الله يقاومون فى سبيل عقيدتهم ويظهرون كلما سنحت لهم فرصة كما حدث فى عهد قسطنطيوس (ابن قسطنطين) وفى عهد (يوليان) وغيرهما ممن كانوا أكثر تسامحًا معهم من قسطنطين .

أما النقطة الهامة الأخرى فى رؤيا دانيال فهى التأكد من شخصية البرناشا (ابن الإنسان) الذى قضى على "القرن" ، وهو ما سنبحثه فى الفصل التالى .

الفصل السادس

محمد هو المقصود بلقب ابن الإنسان

في الفصل السابق درسنا الرؤيا الرائعة للنبى دانيال (سفر دانيال ٧) ، وكيف رمزت وحوش أربعة متتالية لإمبراطوريات الكلدان فالفرس فالإسكندر الكبير فالرومان على التوالي وهى الإمبراطوريات التى اضطهدت اليهود والنصارى الموحدين الأوائل ثم درسنا كذلك كيف أن (القرن الحادى عشر) الذى نطق بالكفر واضطهد المؤمنين وبدّل الشريعة وأيام العُطَل والأعياد لابدّ أن يكون قسطنطين الكبير الذى أعلن فى عام ٣٢٥م مرسومه الإمبراطورى مناديًا بعقيدة التثليث وتأليه المسيح .

وفى هذا الفصل ندرس شخصية الـ (برناشا) (ابن الإنسان) الذى أتى به إلى الله العلى القدير فوق السحاب وأعطى السلطان والمجد والملكوت وكُلّفَ بتدمير القرن الرهيب .

وقبل التأكد من شخصية (ابن الإنسان) يلزم أن نأخذ بالاعتبار الملاحظات التالية :

(١) عندما يتنبأ رسول يهودى بأن **(جميع شعوب وأمم الأرض سوف تخضع للبرناشا)** (سفر دانيال ٧/١٤) ، وأن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطى لشعوب المؤمنين (سفر دانيال ٧/٢٧) ، فمن الواضح أن ذلك يعنى الشعوب التى جاء ذكرها فى (سفر التكوين ١٥/١٨-٢٢) **(فى ذلك اليوم عهد الله إلى إبراهيم : لِنَسْلِكَ أعطى هذه الأرض من نهر مصر الكبير إلى الفرات)** وليس غيرهم من الأمم .

(ب) إن عبارة (شعوب المؤمنين) تعني أولاً أن اليهود في ذلك الوقت ثم النصارى الموحدين الذين عانوا الاضطهاد بسبب إيمانهم الصحيح وصمدوا حتى ظهور الـ (برناشا ابن الإنسان) الذى دمّر القرن .

(جـ) لقد وجب بعد دمار القرآن أن يسيطر المؤمنون على أمم الكلدان والفرس واليونان والرومان وهى الأمم التى رمز لها بالوحوش الأربعة والتى سبق أن غزت وسيطرت على الأراضى المقدسة . وبالفعل فإنه امتدادًا من البحر الأدرياتيكى حتى الصين خضعت جميع الأمم والشعوب للمسلمين الذين كانوا وحدهم أصحاب الإيمان الحقيقى .

(د) كان اليهود شعب الله المختار حتى مجيء عيسى عليه السلام ، أما بعد ذلك فلم يعد اليهود ولا النصارى يستحقون لقب (شعوب المؤمنين) حسب تعبير (سفر دانيال ٢٧/٧) لأن اليهود رفضوا رسالة عيسى ، أما النصارى فقد أهانوه بشركهم ، فضلاً عن أن اليهود والنصارى معًا لم يعترفوا ببعثة خاتم الأنبياء .

وعلى ذلك نستطيع أن نثبت أن الـ (برناشا) ابن الإنسان الذى أرسل لتدمير القرن وسحق الإمبراطورية الرومانية لم يكن غير محمد ومهما يبذلون من محاولات لابتدا ع شخصية أخرى غيره للقيام بدور (البرناشا) فإن ذلك لا يعدو أن يكون تهافتًا للأسباب التالية :

١ – يجب أن يكون واضحًا أن اليهود والنصارى لا يحملون اسمًا صحيحًا لديانتهم ، فالديانة الحقّة لا تُسمى باسم مؤسسها الثانى وهو النبى المرسَل لأن مؤسس الديانة الحقيقى هو الله وليس نبيّه . ولذا فإن الاسم الصحيح للديانة التى أوحى الله بها إلى أنبيائه تدعى (الإسلام) مما يعنى (صنع السلام) أى أن يعيش المسلم فى سلام مع نفسه ومع الآخرين . إن (المحمديّة) ليست اللقب الصحيح للإسلام لأن محمدًا كان مسلمًا ولم يكن (محمديًا) . إن اليهودية تعنى ديانة يهوذا ولكن يهوذا نفسه ؟ إنه لم يكن يهوديًا ولم يتخذ لنفسه تلك الصفة ، كما أن المسيح لم يكن مسيحيًا .

إن موسى عليه السلام لم يسمع فى حياته باسم الديانة اليهودية كما أن عيسى عليه السلام لم يسمع باسم الديانة المسيحية أثناء وجوده على هذه الأرض .

إن لُغة دانيال قريبة جدًا من لُغة القرآن فهو يُكرر لفظ (الدين) و (الدينونة) وبحسب شريعة هذا (الدين) قام الـ (برناشا) بتحطيم ديانة الشيطان ومن المستحيل أن يكون المقصود بلقب (ابن الإنسان) أى شخص آخر غير محمد . إن الإسلام هو سيادة (السلام) الذى يقوم به العدل ويقهر الظلم ويظهر الصدق ويدين البهتان والكذب . والملاحظ فى اللغة الإنكليزية أنه يطلق على قاضى الصُلح اسم قاضى السلام "Justice of Peace" وهذا تقليد للقاضى المسلم الذى يسوى الخصومات بمعاقبة المذنب والتعويض على البرىء وبهذه الطريقة يتحقق السلام فأين ذلك من النصرانية وأناجيلها التى تمنع النصرانى من اللجوء للقضاء مهما كان مظلومًا ومضطهدًا . (متّى ٥/٢٥-٢٦ . ٣٨-٤٨) .

٢ - إن البرناشا (ابن الإنسان) هو محمد دون شك لكونه جاء بعد قسطنطين وليس قبله كالمسيح والأنبياء الآخرين ، وقد تمكن معتنقو عقيدة التثليث ، أتباع (القرن الرهيب) قسطنطين الكبير ، من اضطهاد الموحدين وقهرهم لمدة وصفتها نبوءة دانيال بأنها **(زمان وأزمنة ونصف زمان)** (دانيال ٧/٢٥) أى ثلاثة قرون ونصف القرن ، تُستأصل فى نهايتها على يد البرناشا جميع القوى الوثنية وجميع ممالك الطغيان والشرك بالله (سفر دانيال ٧/٢٦) . ولذا من العبث الادعاء أن (يهودا المكابى) كان هو البرناشا وأن القرن الرهيب كان أنطوخيوس إبيفانس ، إذ يُزعم أن أنطوخيوس عاش فقط ثلاث سنوات ونصف السنة ، أو ثلاثة أيام ونصف اليوم ، بعد تدنيسه معبد القدس .

فنحن نعلم أن أنطوخيوس الذى خلف الإسكندر الكبير على مُلك سوريا لا يمكن أن يكون القرن الرهيب الحادى عشر للوحش الرابع ، لأنه بحسب رؤيا دانيال كان أنطوخيوس واحدًا من الرؤوس الأربعة للوحش الثالث .

ومن جهة ثانية فإن القرن الرهيب الناطق يشير إلى أن الشخص الذى تكلم بالكفر ثم غير الشريعة وأيام الأعياد لم يكن وثنيًا ولكنه كان عارفًا بالله ومع ذلك أشرك به عمدًا وجعله ثالوثًا ، فى حين أن أنطوخيوس لم يفسد العقيدة اليهودية بالدعوة إلى التثليث ولم يغير شريعة موسى ولا أيام الأعياد .

كما أنه من الضحالة إعطاء مثل هذه الأهمية إلى أحداث تافهة جرت بين ملك صغير فى سوريا (أنطوخيوس) وبين زعيم يهودى ضئيل الشأن (يهودا المكابى) لا يمكن مقارنته مع البرناشا العظيم ولا مع المهمّة الكبرى الموكلة إليه . إن الرؤيا النبوية تصف البرناشا بأنه أعظم الرجال وأنبلهم على الإطلاق ولم يرد فى العهد القديم مثل هذا التعظيم والتشريف لأى إنسان يستحق ذلك مثلما استحقه النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

٣ – هناك سببان رئيسيان يجعلان من المستحيل أن يكون عيسى المسيح هو صاحب تلك المهمة الكبرى والمنزلة الرفيعة التى أعطيت لـ (ابن الإنسان) :

(ا) إذا كان المسيح مجرد نبى من الأنبياء وقوّمنا بعثته من حيث نجاحها أو فشلها فهو من المؤكد دون منزلة محمد بقدر كبير . ولكن إذا اعتقد البعض أنه إله وثالث ثلاثة فعندئذ لا يوضع فى صنف البشر ، وتلك معضلة لا يمكن الخروج منها بحل لأنه فى كلا الحالتين لا يمكن للبرناشا أن يكون عيسى .

(ب) لو كان عيس مكلفًا بسحق الوحش الرابع لما وافق علىّ دفع الضريبة لقيصر ولما أمكن للحاكم الرومانى بيلاطس أن يجلده بل على العكس كان عليه أن يهزم الرومان من فلسطين وينقذ بنى إسرائيل منهم .

٤ – لم يظهر فى هذا العالم نبى مثل محمد انتمى إلى سلالة حكمت لزمن يقرب من (٢٥٠٠) عام وحافظت على استقلالها ولم تخضع مطلقًا لأجنبى . كما لم يظهر رجل على وجه الأرض قدم من المبادئ والقيم والأخلاق لأمته خاصة وللعالم عامة أكثر من محمد ومن المستحيل التصور بأن مخلوقًا آخر غيره جدير بالتقدير والإجلال الذى صورته به تلك الرؤيا النبوية ، لقد تطلع إليه النبى الكبير دانيال بتهيّب وإعجاب لأنه تُوّجَ سلطانًا على الأنبياء وقائدًا للإنسانية جمعاء . ولا غرابة أن النبى داود أطلق عليه لقب **(سيدى)** ، (المزمور ١١٠) .

٥ – لقد قوبل محمد عندما أسرى به ليلاً إلى السماء بأعلى مراتب الشرف وخولت له القوة لمحو الوثنية وسحق الكفر وإزالة نفوذه من جميع البلاد التى وهبها الله له ولشعبه ميراثًا أبديًا[١].

---

(١) ليس لشعب و (أمة) محمد جنس أو لون يفضل سائر الأجناس ليستعبدها ، كما هو الحال عند اليهود ومتطرفى النصارى من البيض .

٦ - بحسب قناعتى المتواضعة فإن رؤيا دانيال فيما يتعلق برحلة البرناشا فوق السحاب وحضوره أمام الله تعالى تتفق وتتطابق مع (المعراج) ليلة أسرى بالنبى محمد إلى السماء وهناك عدة إشارات فى كل من كلام دانيال والحديث النبوى الشريف أدت بى إلى هذا الاعتقاد .

وقد ورد فى القرآن الكريم أنه فى ليلة الإسراء والمعراج أسرى الله بعبده من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى فى القدس الذى بارك الله حوله ، ذلك المسجد الذى كان خرابًا فى ذلك الزمن (سورة الإسراء) .

ويروى أن النبى الكريم صلى بالأنبياء إمامًا فى الحرم القدسى كما أنه عرج به من القدس إلى السموات السبع حيث رأى من آيات ربه الكبرى مما أوضح بعضه النبى دانيال الذى روى حكم الله سبحانه وتعالى بحق القرن الكافر .

وقد تكون الروح التى فسّرت الرؤيا للنبى دانيال ملاكًا أو روح نبى فقد دعاها (بالقُدُس) وهى صيغة مذكر أو قدّوس (سفر دانيال ٨/١٢-١٤) . لكم بلغت الغبطة بتلك الأرواح المقدسة للأنبياء والشهداء بعد أن عانت الاضطهاد المرير من الوحوش الأربعة عندما شهدت قرار الحكم بالموت يصدره العلى القدير ضد ثالوث قسطنطين بحضور خاتم الأنبياء الذى كلف بإبادة القرن الكافر .

ونحنُ - كمسلمين - نقر بأن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معًا مما يتوافق مع شهادة دانيال وهو أمرٌ لا يستحيل على قدرة الله سبحانه وتعالى .

وهنالك رؤيا مشابهة للقديس بولس عن رجل كان قد رفع إلى السماء الثالثة ومن ثم إلى الفردوس حيث سمع وشاهد ما لا يمكن وصفه وتعتقد الكنائس وبعض المعلّقين بأن بولس نفسه كان ذلك الرجل لأن النص يوحى بذلك وهم يعتقدون أن بولس لم يَذكر ذلك صراحة من باب التواضع (٢ الكورنثيين ١/٧ - ٤) .

وكون بولس لم يُفصح عن هوية ذلك الرجل الذى ذكره فى رؤياه ، وقوله إن الكلمات التى سمعها فى الفردوس لا يمكن ترديدها ولا يُسمح لأى

إنسان أن ينطق بها يؤكد أن بولس لم يكن ذلك الرجل ، فهو لم يكن ذلك الرجل ، فهو لم يكن متواضعًا بدليل إنه كان يتبجح أنه عنّف بطرس مواجهة كما كانت رسائله "epistles" تتمحور حول ذاته ، كما أننا نعرف من كتاباته إلى (غالاطية) وإلى الرومان كم كان متحيزًا إلى يهوديته ومتحاملاً ضد هاجر وولدها إسماعيل .

إن ذلك الشخص العظيم الذى شاهده فى رؤياه لا يمكن أن يكون غير ذلك الشخص الذى رآه دانيال أيضًا ، وهو محمد ، غير أنه لم يتجرأ أن يذكر الكلمات التى سمعها لأنه كان يخاف اليهود من جهة ، ومن جهة اخرى كان يخشى أن يناقض نفسه . لقد اعترف بولس أن الشيطان كان ينفخ فى رأسه (٢ الكورنثيين ٧/١٢) مما منعه من إظهار الحقيقة وكلما فكر المرء مليًا فى تعاليم بولس تضاءل الشك عنده فى أنه كان نموذجًا مطابقًا لقسطنطين الكبير .

والنتيجة أننى أسمح لنفسى باستخلاص العبرة من هذه الرؤيا الرائعة للنبى دانيال وأهيب بغير المسلمين أن يعتبروا بالمصير الذى انتهت إليه الوحوش الأربعة ، إن الله وحده هو الإله الحق وأن المسلمين وحدهم توصلوا للإيمان بوحدانيته المطلقة واهتدوا بنبوة محمد سيد وخاتم الأنبياء .

الفصل السابع

الملك داود يدعوه (سيدى)

يورد سفر (صموئيل) و (المزامير) من العهد القديم الكثير من قصص داود ومنها أنه قذف في شبابه حجرًا صغيرًا إلى جهة البطل الفلسطينى جالوت (Goliath) فقتله مما أدى إلى انتصار جيش إسرائيل ، وقد كافأة الملك طالوت (شاؤول Saul) أول ملوك بنى إسرائيل على ذلك بأن وافق على تزويجه ابنته ميشال .

وعند وفاة طالوت تولّى داود الحكم وكان النبى صموئيل قد مسحَهُ قبل ذلك بالزيت تمهيدًا لحكمه . وقد امتد حكم داود بضع سنوات فى الخليل ثم استولى على القدس من اليبوسيين وجعلها عاصمة مُلكه وقد سُمى التّلان القائمان هناك باسم (موريا وصيون) وهاتان الكلمتان تؤديان نفس المعنى لكلمتى المروة والصفا فى مكة المكرمة وتعنى كلمة المروة (مكان رؤيا الرب) وكلمة الصفا (الصخرة أو الحجر) ، وقد طالت مدة حكمه أربعين عامًا اتّسمت بالحروب والأحزان وهنالك روايات متضاربة حوله تُعزى إلى مصدرين مختلفين .

لم يرد فى القرآن الكريم (سورة ص) ما يؤيد الخطيئة المنسوبة لداود فى حق جنديّة (أوريا) وزوجته (سفر صموئيل الثانى ، الفصل ٩) . ومن عظمة القرآن أنه ينزه الأنبياء عن الفواحش . فهو لا ينسب إليهم كما فعلت التوراة المحرّفة جرائم وآثامًا كاتهام داود بالزنا مما يُعاقب عليه بالموت حسب شريعة موسى ، تلك التهمة التى يصعب أن نعزوها لشخص عادى ناهيك عن نبى مرسل .

وقد ذكر الرازى فى تفسيره أن معظم العلماء يرفضون هذه التهمة على أنها افتراء وأن كلمات الاستغفار فى نص الآيتين (٢٤-٢٥ من سورة ص)[١] لا تدل على ارتكاب داود للإثم لأن الاستغفار يعنى أيضًا طلب الحماية وإصلاح الأمور .

انقسمت مملكة داوود بعد ابنه سليمان إلى دولتين كثيرًا ما كانتا تتحاربان ، فقد كانت الأسباط العشرة التى كونت مملكة إسرائيل (السامرة) معادية لسلالة داود التى كونت مملكة يهوذا . ولم تقبل الأسباط العشرة أى جزء من العهد القديم سوى الأسفار الخمسة Pentateuch وهذا واضح من النسخة السامرية للأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم إذ لا نجد فيها كلمة واحدة أو نبوءة واحدة عن سلالة داود حتى الأقوال المنسوبة لكبار الأنبياء مثل إلياس واليسع وغيرهما ممن عُرفوا فى السامرة خلال حكم ملوك إسرائيل الطغاة .

إلا أنه بعد سقوط مملكة إسرائيل ونفى الأسباط العشرة إلى بلاد آشور بدأت تظهر النبوءات بقدوم أمير من سلالة داود يعيد جمع شمل الأمة ويخضع أعداءها ، وهنالك العديد من الأقوال المبهمة فى هذا الصدد منسوبة إلى الأنبياء المتأخرين مما زوّد قساوسة الكنيسة فيما بعد بنشوة كبيرة رغم أنه لم يكن لهذه الأقوال أية علاقة بعيسى المسيح ، وسوف أذكر بإيجاز مثالين من هذه النبوءات :

النبوءة الأولى : فى (سفر إشعيا ٧/١٤) عن فتاة (ألماه بالعبرية) حامل سوف تلد ولدًا اسمه عمانوئيل وكلمة (ألماه) العبرية لا تعنى عذراء كما اعتاد اللاهوتيون النصارى تفسيرها لكى يشيروا بها إلى مريم العذراء ولكنها تعنى امرأة أو فتاة فى سن الزواج فى حين أن الكلمة العبرية التى تدل على معنى عذراء هى (بتوله) وأما اسم عمانوئيل فهو يعنى (الله معنا) وثمة مئات من الأسماء العبرية التى تنتهى أو تبدأ بمقطع (إيل) ومن المؤكد

---

(١) ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾

(سورة ص : ٢٤-٢٥)

أنه لم يدر في فكر إشعيا أو الملك آحاز (ملك يهوذا عندئذ) أو أى يهودى إطلاقًا أن الطفل الوليد سيكون هو (الله) بنفسه (معنا) وإنما كانوا يعتقدون أن ذلك سيكون اسم مبارك للطفل الوليد ، إذ كان آحاز في خطر والقدس تحت الحصار فأعطيت له علامة الفرَج وهى الفتاة التى ستلد ولدًا اسمه عمانوئيل وبالطبع لا يمكن أن تكون الفتاة مريم العذراء التى ستظهر بعد أكثر من سبعمائة عام .

إن تلك النبوءة البسيطة بأن طفلاً اسمه عمانوئيل سيولد خلال حكم آحاز قد أساء فهمها كاتب إنجيل متى (متى ١/٢٣) . رغم أن الملاك جبريل أطلق على ابن مريم عليهما السلام اسم عيسى (متى ١/٢١) ولم يطلق عليه اسم عمانوئيل ، وهكذا فإن اعتبار اسم عمانوئيل برهانًا على عقيدة التجسّد المسيحية ليس إلا مغالطة كبرى .

وكمثال آخر إليك النبوءة الواردة في (سفر زكريا ٩/٩) : **(ابتهجي يا بنت صهيون ، واهتفى يا بنت القدس ، هو ذا ملكك قادم إليك ، إنه عادل منتصر وديع يأتى بالخلاص ويمتطى حمارًا ابن أتان)**. في هذه العبارة الشعرية يود الكاتب ببساطة أن يصف الحمار الذى يمتطيه الملك بقوله : إنه كان حمارًا فتيًا مما يوصف أنه ابن الأتان .

لكن إنجيل متى نقل هذه العبارة على النحو التالى (متّى ٢١/٥): **(قولوا لابنة صهيون هو ذا مليكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وعلى جحش ابن أتان)** وليس مهمًا أن يكون الشخص الذى كتب العبارة المذكورة أعلاه قد آمن أم لم يؤمن حقيقة بأن عيسى لدى دخوله الظافر إلى القدس كان يمتطى أتانًا وابنها معًا في وقت واحد ، كمعجزة يحترمها من المعجزات ، إلا أن الغريب أن معظم الآباء النصارى آمنوا بذلك رغم أن وصفًا كهذا هو أقرب إلى الهزل منه إلى جدية الموكب الملكى المهيب . غير أن لوقا كان حذرًا ولم يقع في خطأ متّى ، فهل يعقل أن يكون الكاتبان قد استمدا الإلهام من الروح القدس نفسه ؟ بعد عودة اليهود من السبى البابلى تنبأ زكريا في القدس بمجيء ملك وديع ومتواضع يركب حمارًا يأتى بالخلاص ويعيد بناء بيت الله ، وقد تنبأ زكريا بهذا عندما كان اليهود يأملون إعادة بناء المعبد ومدينة القدس المخربة وكانوا على عداوة مع الشعوب

المجاورة ، غير أنه لم يظهر بعد القرن السادس قبل المسيح أى ملك يهودى مع أن اليهود تمتعوا بحكومات مستقلة ذاتيًا ضمن السيادة الأجنبية . ومن الواضح أن زكريا قصد فى نبوءته خلاصًا ماديًا وفوريًا لليهود وليس خلاصًا مؤجلاً لفترة خمسمائة وعشرين عامًا بانتظار أن يركب عيسى المسيح حماريه فى آن واحد ويدخل القدس التى أصبحت عندئذٍ مدينة كبيرة غنية وبها المعبد الرائع لكى يقبض عليه اليهود أنفسهم ويسلمونه لسادتهم الرومان كما تقول لنا الأناجيل الحالية . إن هذا لم يكن ليمثل أى عزاء لليهود المقهورين الذين كانوا فى القدس المخربة يحيط بهم الأعداء من كل جانب ، ولذلك فإنه يفهم من كلمة ملك أنه قد يكون أحد كبار قادتهم مثل زيروبابل Zerobabel أو عِزرا (عزير) أو نِحِميا .

إننى أقصد من هذين المثالين أن أبين لقرائى كيف قام الأحبار والرهبان بتضليل النصارى بإعطائهم تفسيرات ومعانٍ غبية للنبوءات الموجودة فى الكتب اليهودية المقدسة .

والآن إلى نبوءة داود موضوع هذا الفصل التى يقول فيها **(قال يَهْوه Yahwah) لسيدى (Adon) اجلس على يمينى ، حتى أجعلَ أعداءك مسنداً لقدميك)** .

وردت نبوءة داود هذه فى المزمور (١١٠) واقتبسها كل من متّى (٢٢/٤٤) ومرقص (١٢/٣٦) ولوقا (٢٠/٤٢) . وكتبت فى جميع اللغات على النحو التالى : **(قال الرب لربى)** بدلاً من **(قال يهوه لسيدى)** ومغزى ذلك أنه إذا كانت كلمة الرب الأولى تعنى الله ، فإن كلمة ربى الثانية تعنى الله أيضًا أى أن المتكلم هو الله والمخاطَب هو الله أيضًا ، لذلك فإن داود يعرف ربين اثنين !؟ ورغم غرابة هذا المنطق فقد وجد فيه الآباء النصارى حجة ملائمة لعقيدتهم ! فأى من هذين الربين هو إله داود ؟ لو قال داود فعلاً : قال الرب لربى لجعل من نفسه أضحوكة ليس فقط لأنه اعتقد بإلهين اثنين بل أيضًا لأن رب داود الثانى قد التجأ إلى ربه الأول الذى أمره أن يجلس إلى يمينه حتى يجعل من أعدائه مسند قدم له .

إن هذا الخلط يجعل من المحتم أن يعرف المرء توراته أو إنجيله أو قرآنه باللغة الأصلية التى كتبت بها لكى يتمكن من الفهم الصحيح للدين .

لقد كتبتُ الكلمات العبرية الأصلية وهى (يهوه Yahwah) و (أدون Adon) لتفادى أى غموض وسوء فهم فى معناها . إن مثل هذه الأسماء فى الكتب المقدسة يجب أن تُترك على حالها ما لم نجد كلمة معادلة لها تمامًا فى اللغة التى تترجم إليها . إن الكلمة الرباعية الحروف (ى هـ و ه) التى كانت تلفظ (يهوفا) صارت الآن تُلفظ (يَهْوه) وهى أحد أسماء الأعلام لله تعالى ويقدسها اليهود لدرجة أنهم عندما يقرأون كتبهم المقدسة فإنهم لا يلفظونها بل يقرأون أدونى "Adoni" بدلاً منها أما الاسم الآخر (إلوهيم) فيلفظونه فى حين أن اسم (يهوه) لا يلفظونه قط . أما السبب الذى من أجله يُحدث اليهود هذا التمييز بين هذين الاسمين لنفس الإله فهو مسألة قائمة بذاتها وخارج نطاق بحثنا ، ويذكر بهذه المناسبة أن اسم (يهوه) لا يستعمل مع ضمائر متصلة قط ، ويبدو أنه اسم خاص بالعبرية للذات الإلهية باعتباره الإله القومى لشعب إسرائيل أما (إلوهيم) فهو أقدم اسم معروف لجميع الساميين وكثيرًا ما تستعمل الكلمة الرباعية يهوه جنبًا إلى جانب مع (إلوهيم) . والصيغة العربية (الله ربنا) توازى الصيغة العبرية (يهوه إلوهيم) .

أما الكلمة الأخرى (أدون Adon) فتعنى الآمر أو السيد أو الأمير ولذلك فإن الجزء الأول من النبوءة يجب أن يقرأ هكذا (قال الله لسيدى) .

لقد كان داود بصفته ملكًا هو السيد والآمر على كل يهودى وسيد المملكة كلها فمن هو سيده إذن ؟ لا يُمكننا أن نتصور أنه كان يدعوه بـ (سيدى) أى نبىّ مُتوفّى كإبراهيم أو يعقوب الذين كان يستخدم لهم فى العادة لقب (الأب) ، ومن المفهوم أيضًا أنه لا يمكن لداود أن يدعو أحدًا من سلالته (سيدى) لأن اللقب المعقول سيكون (بُنىّ) ولذا فإنه لا يتفق أن يكون سيدًا لداود بعد الله إلا من هو أشرف الخلق وأنبلهم .

ومن الفطنة أن نفكر بأن الله سبحانه وتعالى قد اختار رجلاً له من الصفات ما يجعله أنبل البشر وأحقهم بالثناء وأولاهم بالاقتداء ولاشك أن الحكماء والأنبياء عرفوا هذه الشخصية الكريمة منذ القدم ودعوها (سيدى) كما دعاها داود.

وقد استنتج أحبار اليهود ومفسرو العهد القديم أن هذا التعبير يعنى المسيح المنتظر المفروض أن ينحدر من نسل داود . ولكن عيسى المسيح

عليه السلام صحّح اعتقادهم وأفادهم بأنه ليس هو المخلص المنتظر إذ أجابهم على أسئلتهم بقوله **(إذا كان داود يدعوه سيدى فكيف يكون ابنه) – متّى ٢٢/٤٤)** و (مرقص ١٢/٣٦) و (لوقا ٢٠/٤٤) ، وقد قطع كتّاب الأناجيل تتمة هذا الحوار فجأة دون مزيد من الإيضاح مما لا يليق بهم ولا بالمعلم ، لأنه من المؤكد أن المعلم قد حلّ الإشكال الذى أثاره عندما وجد أنه لا الحواريون ولا الحضور استطاعوا أن يعرفوا من يكون (السيد) هذا ؟

وعندما قال عيسى إن (السيد) أو (الأدون) لا يمكن أن يكون ابنًا لداود فقد استثنى نفسه من ذلك اللقب . وهذا الإيضاح حاسم ويجب أن ينبه النصارى لكى ينظروا للمسيح نظره واقعية وهى أنه عبد الله ورسوله وأن يرفضوا الطابع الإلهى الذى نُسب إليه والذى لم يدعه لنفسه .

ولا نستطيع أن نتصور معلمًا مخلصًا يرى طلابه عاجزين عن الإجابة على سؤاله ويبقى صامتًا إلا إذا كان مثلهم جاهلاً وعاجزًا عن الإجابة ولكن عيسى عليه السلام لم يكن بالمعلم الجاهل وهو قطعًا لم يترك المسألة دون حل غير أن أناجيل الكنائس لم تورد جواب عيسى على السؤال **(من هو سيد داود)** ؟ فى حين أن إنجيل برنابا قد أورده. وقد رفضت الكنائس هذا الإنجيل لإن لغته أكثر توافقًا مع الكتب المنزلة ولأنه يعبر بوضوح عن طبيعة رسالة عيسى المسيح وأهم من ذلك فإنه يسجل بدقة كلمات عيسى عن محمد . ومن السهل الحصول على نسخة من هذا الإنجيل الذى ستجد فيه جواب عيسى الذى قال : **(إن العهد بين الله وإبراهيم كان موضوعه إسماعيل وإن أكثر الناس مجدًا وحمدًا سيكون من سلالة إسماعيل وليس من سلالة إسحاق وداود)** .

وليس من شك فى أن رؤيا دانيال التى تنبأت بالبرناشا العظيم (محمّد) قد تطابقت مع نبوءة داود كما تطابقت أيضًا مع رؤيا النبى أيوب (أيوب ١٩/٢٥) الذى تنبأ بالمخلص الذى ينقذ الناس من سلطة الشيطان .

يوصف النبى محمد عادة بأنه سيد المرسلين أى (أدون Adon الأنبياء) وأن الحجج التى وردت فى العهد القديم مصداقًا لذلك هى من الوضوح بحيث لا يسع المرء إلا أن يدهش من جهل أو مكابرة أولئك الذين يرفضون أن يفهموا ويذعنوا للحق .

١ - إن أعظم نبى وسيد (أدون) ليس بالفاتح العظيم ولا مكتسح البشرية ولا معتكف يقضى حياته فى كهف أو دير من أجل تخليص نفسه فقط ، ولكنه ذلك الذى يقدم الخير والخدمة للبشر ، فينير لهم طريق المعرفة بالله ويقضى على سلطة الشيطان ومؤسساته ، لقد سحق محمد رأس الأفعى ومن أجل ذلك يطلق القرآن على الشيطان اسم (إبليس) أى (المنكسر أو المسحوق) ، وقد طهّر الكعبة و بلاد العرب من الأصنام وأخرج العرب من ظلام الجاهلية والوثنية وزودهم بالنور والدين والسلطة، وطهّر فلسطين وسائر البلاد التى زارها إبراهيم من الوثنية والشرك وسلطة الشيطان ونشر النور فى أنحاء الدنيا حتى أن أعماله وإنجازاته العظيمة لم يضاهها شىء فى تاريخ البشرية .

٢ - لقد أكد عيسى المسيح نفسه أنه لم يكن سيدًا لداود كما بيَّن أن المخلّص المنتظر لن ينحدر من نسل داود ، وهكذا فإنه لم يبق سوى محمد من بين جميع الأنبياء سيدًا لداود ، وعندما نقارن بين الثورة الدينية التى حققها حفيد إسماعيل العظيم فى العالم وبين ما حققه آلاف الأنبياء مجتمعين نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهى أن محمدا وحده قد استحق لقب (أدون) سيد الأنبياء والمرسلين .

٣ - كيف عرف داود أن (يهوه) قال لسيده (الأدون) : **(اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك مسندًا لقدميك)** ؟ ومتى سمع داود كلام الله هذا ؟ لقد أعطانا المسيح الجواب على ذلك بقوله **(إن روح داود كتبت ذلك)** ذلك أن داود رأى الأدون محمدًا كما رآه دانيال (سفر دانيال ٧) ، وكما رآه بولس (٢ الكورنتيين ١٢) وكما رآه آخرون كثيرون . بالطبع إن لغز **(اجلس عن يمينى)** غامض بالنسبة لنا ومع ذلك نستطيع أن نستنتج باطمئنان أن هذا التكريم الخاص لمحمد أى شرف جلوسه عن يمين عرش الله ورفعه إلى مصاف سيد الأنبياء والخلائق أجمعين قد حدث ليلة الإسراء والمعراج .

٤ - إن اعتراض الكنيسة الرئيسى الوحيد على بعثة محمد وتفوقها هو تنديدها بتعاليم الثالوث ، ولكن العهد القديم لا يعرف إلهًا سوى الله الأحد ، إن سيد داود لم يجلس على يمين إله ثلاثى ولكن على يمين إله واحد .

الفصل الثامن

السيد ورسول العهد

يطلق على آخر أسفار العهد القديم اسم (ملاخى) مما يعنى (ملاكى) أو (رسولى) . والكلمة العبرية (ملاخ) كالعربية (ملاك) وكاليونانية (أنغيلوس anghelos) التى اشتق منها الاسم الإنجليزى (Angel) وتعنى المرسَل المكلّف بإبلاغ رسالة أو خبر .

غير أنه ليس معروفًا من هو (ملاخى) المشار إليه فى السفر كما لا تعرف فترة ظهوره ونبوءته فى التاريخ اليهودى إذ لا يزودنا سفر ملاخى ولا أى جزء آخر من أجزاء العهد القديم بهذه المعلومات. يبدأ سفر ملاخى بالكلمات التالية : **(خطاب يهوه إله إسرائيل على يد ملاخى)** ويحتوى على أربعة فصول قصار .

والخطاب موجّه إلى يهود القدس الذين كانوا يقدمون على المذابح أحقر أنواع الأضاحى والقرابين من الغنم والماشية ، العمياء منها والعرجاء والهزيلة . ويهملون دفع الأعشار وإذا اختاروا دفعها فهى من أسوأ الأصناف ولم يكن الكهنة يكرسون وقتهم لأداء واجبهم لأنه يستحيل عليهم الأكل من شرائح لحم البقر وقطع الضأن المشوية المأخوذة من الأضاحى العجفاء كبيرة السن مشلولة القوائم ولم تكن تكفيهم الأعشار الضئيلة على أية حال . وأما (يهوه) الذى يخاطب هؤلاء القوم المتعذر إصلاحهم فإنه يهدد حينًا ويمتنع عن الوفاء بالوعود حينًا آخر ويتذمر أحيانًا . ويبدو أن النبى ملاخى قد أورد هذه النصوص فى أوائل القرن الرابع قبل المسيح عندما كان شعب إسرائيل يتأفف من يهوه وكان من عادة اليهود قولهم **(إن مائدة الرب يهوه بغيضة ووجبات الأكل التى يقدمها مزرية)** (ملاخي ١/١٢)

كما كانوا يقولون : **(كل من يفعل الشر فهو صالح في نظر يهوه وهو يُسرّ به أو : أين إله القضاء ؟**) (ملاخى ٢/١٧) .

يرجع سفر ملاخى إلى بعد فترة الأسر البابلى وقد كُتبت بأسلوب عبرى جيد .

ولكن يستحيل الادعاء بأن هذا السفر قد وصل إلينا سليمًا دون تحريف وهناك العديد من الجُمَل المشوهة فيه يكاد يستحيل فهم المعنى المراد منها .

وموضوع بحثنا فى هذا الفصل هو النبوءة الشهيرة فى سفر ملاخى التى تقول **(هأنذا أبعث برسولي ، وسوف يمهّد السبيل أمامي ، وسوف يأتي فجأة إلى هيكله السيّد الذي تبحثون عنه ، ورسول العهد الذى ترغبون هو ذا يأتى . هكذا يقول رب الجموع)** (ملاخى ٣/١) .

هذه واحدة من النبوءات الشهيرة عن مجيء المخلّص المنتظر ، غير أن جميع القديسين والآباء والباباوات والبطاركة والقسس والرهبان وحتى أطفال مدارس الأحد سيقولون لنا أن كلمة (رسولى) المذكورة فى النص تشير إلى يحيى المعمدانى وإن عبارة (رسول العهد) التى حرفتها نُسخهم الوطنية إلى (ملاك العهد) تشير إلى عيسى المسيح .

إن معرفة المعنى الصحيح لهذه النبوءة أمر فى غاية الأهمية لأن الكنائس المسيحية اعتقدت أن المقصود بها شخصان مختلفان. وسبب ذلك هو الخطأ الكبير الذى وقع فيه القديس متّى ذلك أن من خصائص إنجيله الحرص على إثبات تحقق نبوءات العهد القديم فيما يتعلق بكل حدث تقريبًا من أحداث حياة عيسى المسيح ، وفى سبيل ذلك لم يهتم أن يقع فى التناقضات ولم يدقق فى اقتباساته من الكتب العبرية المقدسة ومن الواضح أنه لم يكن متمكنًا من قواعد لغته . وفى مقالة سابقة أشرت إلى أحد أخطائه الهامة حول الحمار المفترض أن يمتطيه عيسى .

كل ذلك مما هو فى غاية الخطورة فهو يمس صحّة الأناجيل ومصداقيتها ، فهل يُعقل أن يجهل الحوارى متى حقيقة نبوءة ملاخى (٣/١) مما يضع إنجيله موضع التساؤل ؟ وماذا نقول عن مؤلف الإنجيل الثانى القديس مرقص الذى ينسب العبارة الموجودة فى ملاخى إلى إشعيا؟ (مرقص ١/٢) . كما

أن متّى (١١/١-١٥) قد نسب إلى عيسى قولاً نقله لوقا أيضًا (لوقا ٧/١٨-٢٨) وهو أن عيسى أعلن للجمهور أن يحيى كان أكثر من نبى وأنه هو الذى كُتبَ عنه : **(إننى مُرسل ملاكى أمام وجهك ، وأنه سوف يمهّد طريقك أمامك)** وأنه **(لم يوجد بين من ولدتهم النساء من هو أعظم من يحيى ، لكن أقلّ مَنْ فى ملكوت السموات أعظم منه)** . إن تحريف نص ملاخى واضح ومتعمّد فالنص الأصلى يقول لنا إن يهوه سَبئوث (أى إله الجموع) هو المتكلم وأن المؤمنين هم الشعب المخاطب . وهذا واضح من كلمات **(الذى تبحثون عنه ... والذى ترغبون)** ولكن الأناجيل حرفت النص بأن حذفت ضمير المتكلم واستبدلته بالمخاطب (أمامك) و (وجهك) لكى تبرهن لليهود أنّ الله كان يخاطب عيسى المسيح **(ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيئ طريقك أمامك)** (متى ١١/١٠)، ويرغب متّى أن يبيّن أن هذا الملاك أو الرسول كان يحيى فينقل على لسان عيسى قوله أن يحيى فوق كل نبى وأعظم مَنْ ولدته امرأة ومع هذا فإن أصغر من فى ملكوت السماء **(التى يقصد أن يكون عيسى ملكها)** هو أعظم من يحيى .

إننى لا أصدق ولا لثانية واحدة أنه يمكن لعيسى أو أيًا من حوارييه استخدام عبارات كهذه لتحريف كلام الله . ولكنه أحد الرهبان المتعصبين أو الأساقفة الجهلة الذى زيف هذا النص ووضع على لسانه هذه الكلمات التى لا يمكن أن تصدر عن أى نبى من الأنبياء .

إن الفكرة التقليدية القائلة إن الرسول المكلف بتمهيد الطريق أمام (السيد) و (رسول العهد) هو خادم وتابع له ، والإستنتاج أن هناك نبوءة بشخصين مختلفين ، كل ذلك سببه الجهل بشخصية ذلك الرسول وأهمية رسالته وضخامة العمل المسند إليه . لنمعن النظر إذًا فى هذه النبوءة وحقيقة تفسيرها :

١ - يجب أن نفهم جيدًا أن الرسول بشر مثل غيره وأنه ليس ملاكًا أو كائنًا فوق البشر . كما أنه لم يكن مرسلاً لتمهيد الطريق أمام رسول آخر يسمى (السيد) أو (رسول العهد) ولكنه مكلف بتأسيس وإقامة دين قويم سليم صالح ، ومكلف أيضًا بإزالة كافة العقبات والوسطاء بين الله

ومخلوقاته ، ومن البديهي أن هذا الرسول الرفيع الشأن لم يكن قادمًا لإصلاح الطريق أو الدين من أجل حفنة من اليهود ، ولكن من أجل إقامة دين عام وثابت للناس كافة . ومع أن الديانة اليهودية تقول بوجود إله واحد حق إلا أن مفهوم الله عند اليهود مشوّه فهم يظنون أنه إله قومي لشعب إسرائيل فقط ، كما أن عدم وجود نصوص قاطعة في عقيدتهم عن القيامة ويوم الحساب والحياة الآخرة يدل على نقصانها .

أما النصرانية فإن انحرافها لدرجة اعتقادها بالخطيئة الأصلية وبتجسّد الإله وبثالوث من الآلهة ثم عدم وجود إنجيل حقيقي بين أيدينا، كل ذلك لم ينفع البشرية في شيء بل على العكس سبب الانقسامات بين الطوائف والكراهية والحقد بين بني البشر .

إذن كان الرسول مكلفًا بتقويم هذين الدينين وإقامة دين إبراهيم وإسماعيل القديم ودين الأنبياء الآخرين على أسس وتعاليم تصلح للبشر أجمعين. ذلك هو أقصر الطرق للوصول إلى الله وأسهل الأديان لعبادته ، وأسلم العقائد الباقية على طهارتها ونقائها دون تدخل الوسطاء والأدعياء .

وفوق كل شيء كان على الرسول أن يأتي فجأة إلى مسجده سواء كان في القدس أو في مكة وكان عليه أن يقتلع جذور الوثنية من تلك البلاد ، ليس بتحطيم الأصنام والأنصاب فحسب، بل وبتعليم المشركين عقيدة التوحيد والإيمان بالإله الحق .

إن إنجاز هذا العمل العظيم كان بمثابة بناء طريق جديد وتأسيس دين عالمي شامل يدعو إلى إلغاء الوساطة بين الله والعباد فلا قسيس ولا قديس ولا سر مقدس وقد تحقق ذلك على يد الرسول (محمد المصطفى) .

٢ - إن نبوءة ملاخي لم تتحقق في يحيى ويلاحظ أن القصص التي ترويها الأناجيل الأربعة عن يحيى متضاربة جدًا ولكنها تتفق على نقطة واحدة وهي أنه لم يمهد طريقًا قط إذ لم يوحَ إليه كتاب مقدس ولم يؤسس دينًا جديدًا ولم يصلح الدين القديم، ويروى أنه ترك أبويه عندما كان شابًا وعاش في البرية على العسل والجراد حتى ناهز الثلاثين من عمره عندما ظهر للجماهير على ضفاف الأردن حيث اعتاد أن يُعَمِّدَ التائبين الذين

اعترفوا له بخطاياهم . ومن المدهش أن متّى لم يعرف شيئًا عن علاقة يحيى بعيسى أو أنه عرفها ولم يحفل بنقلها . أما لوقا فقد كتب فى إنجيله عن الطاعة التى قدمها يحيى لعيسى عندما كان كل منهما جنينًا فى رحم أمه (لوقا ١/٣٩-٤٦) كما يذكر أن عيسى تعمّد كغيره فى مياه الأردن على يد يحيى .

ويروى أن يحيى قال (**يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلاً أن أنحنى وأحلّ رباط حذائه**) مرقص (١/٧) وقد استشهد يحيى فى السجن لأنه وبّخ الملك هيردوس على زواجه بزوجة أخيه .

وهناك وصفٌ لموعظة يحيى فى الفصل الثالث من انجيل متّى والتى أعلن فيها اقتراب مملكة السماء وقدوم الرسول العظيم الذى سوف يُعَمِّد المؤمنين ليس بماء ولكن (**بالنار والروح القدس**) .

والعجيب أن اليهود لم يقبلوا يحيى كنبى ، والعجيب أيضًا أن إنجيل برنابا لا يأتى على ذكر يحيى ، أما العبارة التى يقال أن يحيى تحدث بها عن عيسى ، فإن برنابا ينسبها إلى عيسى متحدثًا بها عن محمد رسول الله . وقد ذكر القرآن معجزة ميلاد يحيى لكنه لم يُشر إلى التعميد الذى كان يمارسه .

ولو صحّ أن يحيى المعمدانى هو الرسول الذى بعثه الله لتمهيد الطريق أمام عيسى المسيح ، ولو كان هو المبشّر بعيسى والتابع له، فلا معنى لتعميده الجماهير فى مياه الأردن ولا معنى لأن يشغل نفسه بذلك إذ كان من واجبه أن يتبع عيسى فورًا ويلازمه عندما رآه وعرفه ولكنه لم يفعل شيئًا من هذا وعلى العكس فإنه عندما سُجن أرسل إلى عيسى يسأله : (**هل أنتَ الرسول الموعود الذى سيأتى ، أم علينا أن ننتظر سواك ؟**) (متّى ١١/٣) .

٣ – إن يحيى المعمدانى لم يكن النبى إيليا Elijiah (على النقيض من القول المنسوب إلى المسيح) ذلك أن ملاخى يتكلم عن إيليا يفترض قدومه قبل يوم القيامة ببعض الوقت وليس قبل ظهور رسول العهد (ملاخى ٤/٥-٦) . وحتى لو قال المسيح إن يحيى كان هو إيليا فإن الناس لم يعرفوه ، وقد يكون أن الذى قصده عيسى هو أن الاثنين متشابهان فى

حياتهما الزاهدة وإقبالهما على الله وشجاعتهما فى نصح وتوبيخ الملوك والزعماء المنافقين .

ولن أستطرد فى مناقشة ادعاء الكنائس المتهافت بأن يحيى كان الرسول القادم لتهيئة الطريق ولكن يجب أن أضيف أن يحيى لم يرفض شيئًا ولو يسيرًا من شريعة موسى ولم يضف إليها شيئًا . أما المعمدانية التى مارسها فهى (المعوديثا) اليهودية القديمة أو الوضوء، ولايمكن أن نعتبر الغسل أو الوضوء دينًا جديدًا أو طريقة جديدة .

٤- وأخيرًا إذا قلت إن عيسى المسيح لم يكن المقصود بنبوءة ملاخى ، فإننى أطرح مناقشة بديهية لأن أحدًا لن يناقض كلامى فقد آمنت الكنائس دومًا أن (رسول الطريق) هو يحيى المعمدانى وليس عيسى، غير أن اليهود لا يقبلون أيًا من الاثنين، ولكن بما أن النبوءة تتحدث عن شخص واحد وليس شخصين فإننى أقول أن عيسى لم يكن ذلك الشخص ويستحيل أن يَكُونه. لأنّه لوْ كان عيسى إلهًا كما يدّعون لما أمكَنَ استخدامه لتمهيد الطريق أمام (يهوه سَبَئوث) أى إله الجموع ! ولو كان عيسى هو (يهوه سبئوث) نفسه الذى قال هذه النبوءة فمن هو (يهوه سبئوث) الآخر الذى ستُهيأ له الطريق؟ أما إذا كان بشرًا من لحم ودم وعبدًا لإله الجموع (يهوه سبئوث) فعندئذ لا يمكن أن يكون عيسى مؤسس الكنائس التثليثية التى جعلته إلهًا . وسواء نظرنا إلى الدين المسيحى من وجهة النظر الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو البروتستانتية أو المخَلّصية أو الكويكر أو أيًا من الملل والنحل العديدة فإنه لا يمكن لأى منها أن تكون (الطريق) الذى أشار إليه ملاخى كما أن عيسى لا يمكن أن يكون ممهّدًا أو مؤسسًا لأى منها. وما داموا ينكرون الوحدانية المطلقة لله فهم خاطئون ولا يمكن لعيسى أن يكون صديقًا لهم أو قادرًا على مساعدتهم.

٥ - إن الشخص الذى يشار إليه فى النبوءة، حسبما ورد فى (ملاخى ١/٣) ، ذو صفات ثلاثة ، فهو (رسول الله ، والسيد الآمر ، ورسول العهد)، كما أنه مميّز بشروط ثلاث وهى : **(أنه يأتى فجأة إلى مسجده ، ويبحث عنه الناس ويسعون إليه ، كما أنه موضوع محبة شديدة بينهم)** .

فمن يمكن أن يكون هذا الرسول العظيم الذى تنطبق عليه كل هذه الصفات سوى رسول الإسلام محمد عليه صلوات الله وسلامه. لقد أسرى به فجأة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وبُعث إلى الدنيا بالقرآن المعجزة، وبدين الإسلام الذى هو أكثر الأديان عقلانية وبساطة ونفعًا، وكان وسيلة لهداية الملايين الذين دخلوا فى أخوّة عالمية تكونت منها (مملكة الله) الفعلية في أرضه كما نادى بها كل من عيسى ويحيى .

الفصل التاسع

الأنبياء الحقيقيون يبشرون بالإسلام فقط

لم يعرف التاريخ شعبًا كشعب إسرائيل نشأ فيه خلال فترة تقل عن أربعمائة عام عدد كبير من مدعى النبوة والمشعوذين والعرافين والسحرة ممّن كانوا على نوعين : النوع الأول من المنتسبين لشريعة (يهوه) وادعوا النبوة باسمه .

والنوع الثانى ممن ادعوا النبوة باسم بعل أو إله وثنى آخر وكان ذلك يتم بحماية بعض من ملوك إسرائيل الوثنيين.

وكان من النوع الأول من عاصر الأنبياء الحقيقيين من أمثال (ميخا) وإرميا، ومن النوع الثانى من سبب المتاعب لإيليا Elijah وسبب مذابح الأنبياء والمؤمنين كما حدث خلال حكم آحاب ملك إسرائيل (وزوجته جيزابيل) (٨٩٦-٨٧٤ ق.م) . وكان أخطرهم أدعياء النبوة من النوع الأول ممن تظاهروا أنهم يتلقون الوحى من الله ، وكان النبى إرميا من الذين تعرضوا للكثير من الاضطهاد والمشاق على أيديهم .

بدأ إرميا رسالة النبوة فى شبابه فى الربع الأخير من القرن السادس ق.م ، عندما كانت مملكة يهوذا مهددة بغزو الكلدان وكان اليهود متحالفين مع فرعون مصر ولكن الكلدان بقيادة نبوخذ نصر هزموا فرعون مما جعل سقوط القدس محتومًا وخلال تلك الأيام العصيبة كان إرميا يحث اليهود وزعماءهم على الخضوع لملك بابل نبوخذ نصر آملاً من ذلك إنقاذ القدس من الدمار وإنقاذ اليهود من الأسر والنفى. وقد وجّه مواعظه البليغة للملك والكهنة وكبار القوم دون جدوى، وعندما سقطت القدس (٥٨٦ ق.م) أخذ

نبوخذ نصر معه إلى بابل كنوز الهيكل والعديد من اليهود وأحد الأسرى بالإضافة إلى ملكهم وأمرائهم ثمّ صار يعيّن على القدس أمراء من اليهود واحدًا بعد الآخر ويجعلهم ملوكًا تابعين له، وكثيرًا ما كان هؤلاء يثورون ضده وكان إرميا يحضهم دومًا على البقاء موالين للكلدان، لكن أدعياء النبوة كانوا يخطبون فى الهيكل قائلين :

(هكذا يقول رب الجموع، انظروا لقد حُطّم نيرُ ملك بابل، وخلال عامين سيعود جميع الأسرى وكنوز بيت الله إلى القدس). وهنا وضع إرميا نيرًا خشبيًا حول عنقه وأخبر الناس أن الله سوف يضع نير ملك بابل حول رقاب جميع اليهود. لكن حنانيا وهو أحد خصومه من أدعياء النبوة المنافقين للملك لطمه وألقى به فى سرداب مليء بالوحل حيث كان طعامه اليومى رغيفًا جافًا من خبز الشعير، وكان أن عاد الكلدانيون لحصار القدس حتى سيطرت عليها المجاعة ومات مدعى النبوة حنانيا كما تنبأ بذلك إرميا (إرميا ٢٨). وعندما سقطت المدينة نُهبت وأضرمت فيها النار ووقع الملك المتمرد صدقيا وحاشيته فى الأسر وأخذ مع الكثير من الأهالى أسرى إلى بلاد بابل ولم يُترك فى القدس سوى الفقراء وكان إرميا من جملة الذين سمح لهم بالبقاء وتم تعيين جداليا حاكمًا على القدس من قبل نبوخذ نصّر ولكن اليهود الباقين ثاروا عليه وقتلوه وهربوا إلى مصر حاملين معهم إرميا، وحتى فى مصر كان إرميا يتنبأ ضد الهاربين ويبدو أن حياته انتهت فى مصر .

يعتبر نُقاد التوراة (والكاتب من رأيهم) أن إرميا كان المؤلف (أو على الأقل الجامع) للكتاب الخامس من الأسفار الخمسة والمسمى سفر التثنية Deuteronomy . ولذا فإن هذا السفر يشتمل على الكثير من تعاليمه. ولكنى فى هذا الفصل سأتناول إحدى تعاليم إرميا الواردة فى السفر المنسوب إليه مما أعتبرها من النصوص الهامة جدًا فى العهد القديم .

إن الموضوع الذى طرقه إرميا هو: كيف نميّز النبى الحقيقى من النبى المزيّف؟ ثم زودنا بجواب شافٍ عن علامة النبى الحقيقى، وهو : **(إنه النبى الذى يبشّر بالإسلام)** . (سفر إرميا ٢٨/٩) .

وبالإضافة لذلك يعطى سفر التثنية (١٣/١-٥ ، ١٨/٢٠-٢٢) بعض الأوصاف عن أدعياء النبوة ويحدد أن أفضل طريقة للتعرف على أضاليل

الكذاب توقع تحقق نبوءاته ثم قتله بعد أن يُعرف كذبه ومع ذلك فإن الجهلة يعجزون عن التمييز بين النبى الحقيقىْ وبين مدعى النبوة كعجزهم هذه الأيام عن معرفة أى من الاثنين: الكاهن الكاثوليكى، أو الكاهن الكلفنى هو التابع الحقيقى لعيسى المسيح. وأحياناً يتنبأ الدعىّ بأحداث ويفعل الخوارق ويقوم بأشياء مشابهة (من حيث المظهر على الأقل) لتلك التى يقوم بها النبى الحقيقى. وما التنافس بين النبى موسى وسحرة فرعون إلا من هذا القبيل، ولذا يحدد إرميا طريقة مثلى لاختبار أصالة أى نبى وهى طريقة الإسلام، فهو يقول :

(إن النبي الذى يتنبأ عن الإسلام (الشالوم) عند حصول كلمته، عُرف ذلك النبى أنّ الله قد أرسله حقاً) (إرميا ٢٨/٩). والترجمة حرفية جدًا، ذلك أن كلمة (يتنبأ) تعنى حرفيًا التنبؤ بأحداث غيبية وأن كلمة (نبى) تعنى حرفياً الشخص الذى يتنبأ بالمستقبل أو يعرف أحداثًا مضت بطريق الوحى. غير أن التعريف الصحيح لكلمة نبى هو **(الشخص الذى يتلقى الوحى من الله ويبلغه إلى البشر)** ومن الواضح أنه ليس من الضرورى أن تكون الرسالة تنبؤاً بالغيب أو معرفة أحداث ماضية وبالتالى فإن فعل (يتنبأ) يعنى تلقى الوحى من الله وتبشير الناس به وفي القرآن الكريم يأمر الله رسوله محمدًا أن يقول ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَ إِلَيَّ ..﴾ .

(الآية : ١١٠ من سورة الكهف) .

ومن المهم أن لا ننسب لأى من الأنبياء صفة المعرفة والإحاطة بكل المعارف الدنيوية لأن معارف الأنبياء الدنيوية قد تتضمن بعض الأخطاء فالله تعالى لم يبعث الأنبياء ليعلموا الناس الفيزياء أو الرياضيات أو العلوم ولذا يجب أن لا نلوم أى نبى على خطأ معرفى دنيوى لأنه مجرد بشر.

والآن نعود إلى قول إرميا أنه لا يمكن أن يكون النبى صادقًا إلا إذا بشر بدين الإسلام ومن أجل فهم أفضل لذلك نقرأ كلامه الذى سبق تلك العبارة حيث يقول إرميا لخصمه حنانيا : **(إن الأنبياء الذين جاءوا قبلى وقبلك منذ القدم تنبأوا لكثير من البلدان والممالك العظيمة بالحروب والشرور والوباء)** (إرميا ٢٨/٨). ثمّ يقول : **(إن النبى الذى يتنبأ عن الإسلام، عند حصول كلمته يُعرف ذلك النبى أن الله قد أرسله حقًا)** (٢٨/٩) .

وقد يعترض البعض على ترجمة كلمة الشالوم التى ترجمتُها (عن الإسلام) باعتبار أن حرفىْ (ال) قبل (شالوم) معناها (عن) أو (فيما يتعلق بـ) .

لكن الحقيقة المسلّم بها أن كلمة (شالوم) فى العبرية و (شلاما) فى السريانية و (إسلام) فى العربية كلها من نفس الجذر السامى (شَلَمْ) وتحمل نفس المعنى وهذا أمر معروف لدى جميع علماء اللغات السامية . وفعل (شلم) يدل على الخضوع أو الاستسلام وتحقق السلام، حتى يكون المرء مسالمًا هادئًا مع نفسه ومع الآخرين. ولا يوجد أى نظام دينى فى العالم يحمل اسمًا أو وصفًا أفضل وأشمل وأكثرَ هيبةً وسموّا من الإسلام. فدين الله الحق لا يمكن أن يسمى باسم أى من عباده ولا أن يُدعى باسم شعب معين أو بلدٍ معين. إن هذه القداسة والعصمة لكلمة إسلام هى توقع الرعب والخوف والاحترام فى قلوب أعدائه حتى عندما يكون المسلمون ضعِافًا خانعين[1] . إن اسم الدين يأمر بالخضوع والاستسلام المطلق لله تعالى مما يعطى السلام والهدوء الداخليين للمسلم مهما كانت الاضطرابات والمصائب العابرة التى تهدده .

ولمزيد من الشرح عن عبارة إرميا لنلاحظ النقاط التالية :

١ - إن إرميا هو النبى الوحيد قبل المسيح الذى استخدم كلمة (شالوم) بمعنى الدين وهو النبى الوحيد الذى استخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق النبى الحقيقى. وحسب النص القرآنى فإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وجميع الأنبياء كانوا مسلمين وإن كلمة الإسلام ومرادفاتها (شالوم وشلاما) كانت معروفة لليهود فى المدينة عندما ظهر محمد لإكمال ونشر دين الإسلام بين الناس كافة، ولو كان المقصود بالنبوءة النبى الذى يتنبأ بحدوث السلام (عكس الحرب) لكان هذا مجرد شرط

---

(١) من المهم أن نلاحظ كيف أن تعليقات المؤلف تتطابق مع ملاحظات قيصر ألمانيا السابق الذى خطب عند الاحتفال بعيد ميلاده السبعين فى مدينة (دورن) فى هولندا قائلاً : (اعلموا بأن المسلمين إذا اعتبروا أن أمر الله هو الزحف على الغرب المتداعى وإخضاعه لمشيئته ، فإنهم سوف يزحفون كموجةِ مدٍّ هائلة يعجز أمامها حتى أعتى البلاشفة وأشدهم رغبة فى القتال) . جريدة الإيفننج ستاندار فى ١٩٢٩/١/٢٦م ، لندن .

مؤقت لا يمكن أن يؤيد أن النبى مرسل حقًا من الله ، والواقع أن نقطة الخلاف الحساسة التى اختصم فيها إرميا وحنانيا (إرميا ٢٨) لا يمكن البت فيها بإثبات أو إنكار وقوع كارثة وشيكة، ولو كان تنبؤ إرميا (بالسلام) عندما كان طيلة الوقت يتنبأ بالكارثة القومية العظيمة – سواء باستسلام الملك صدقيا أو بمقاومته للحاكم الكلدانى – فإن ذلك كان سيعنى تناقضًا صارخًا فى منطقه لأن سلامَةَ المزعوم فى كلتا الحالتين لن يكون سلامًا حقيقيًا بل على العكس فلو قاوم اليهود الجيش الكلدانى لتسبب ذلك بالدمار الكامل لهم وإذا استسلموا وقعوا تحت عبودية غير مشروطة، لذلك من الواضح أن إرميا استخدم كلمة شالوم بمعنى نظام ملموس حقيقى يجسده الإسلام .

لقد حمل إرميا فى قلبه دعوة الله ودينه دين السلام، ومن أجل المصالح الحيوية لدين السلام أو الإسلام فقد نصح الملك ورجال حاشيته بالولاء للكلدان لأنه ليس من سبيل آخر مفتوح أمامهم، لقد هجروا رب أجدادهم ودنسوا هيكله وسخروا من أنبيائه وارتكبوا الخطايا والخيانة (٢ سفر الأيام ٣٦ ... إلخ) ولهذا فقد وجبت التضحية حينذاك بالحكومة والأمة من أجل الدين وليس العكس لا سيما بعد أن تخلّت كل من الحكومة والأمة عن الله.

٢ – إن دين السلام (الإسلام) وحده القادر على تحديد خصائص النبى الحقيقى إن الله واحد، ودينه واحد، ولا يوجد دين آخر فى العالم سوى الإسلام يتبنى ويعلّم الوحدانية المطلقة لله ، لذلك فإن من يضحى بكل مصلحة أخرى من أجل قضية هذا الدين يكون هو النبى الحق، وبالمقابل فإنه إذا لم يكن دين الإسلام معيارًا ومقياسًا نقيس به صدق النبى فإنه ليس هناك مقياس آخر يفى بذلك الغرض ، إن عمل المعجزات ليس دومًا بالبرهان الكافى، لأن المشعوذين أيضًا يفعلون العجائب. كما أن تحقق النبوءة عن المستقبل ليس بالبرهان الكافى فى حد ذاته فكما أن الروح القدس قد يكشف أحداث المستقبل للنبى الصادق فإن الروح الشريرة أيضًا قد تكشف ذلك للدجال، ومن هنا يتضح **(أن النبى الذى يتنبأ عن الإسلام باعتباره اسمًا للعقيدة ومنهجًا للحياة فسيعرف بأنه نبى حقيقى فور تلقيه الرسالة من الله)** ، تلك كانت الحجة التى اعتمد عليها إرميا والتى حاول عن طريقها إقناع سامعيه بكذب حنانيا .

٣ – لاحظنا في الفقرة السابقة أنه لا تحقق النبوءة عن المستقبل ولا القيام بعجائب كان كافيًا لإثبات صدق أي نبي وأن (شالوم) استخدمت للتعبير عن دين السلام ذلك أن (شالوم) ليس إلا (الإسلام) ونحن نطالب أولئك الذين يعارضون هذا التفسير أن يأتوا بكلمة عربية إضافة إلى الإسلام والسلام تقابل كلمة شالوم وأن يجدوا كلمة أخرى في العبرية إضافة إلى (شالوم) تعني الإسلام، ولما كان مجرد ذلك مستحيلاً فنحن مضطرون للتسليم بأن شالوم هي السلام بالمعنى المجرد، وهي الإسلام والعقيدة بالمعنى الملموس .

٤ – يذكر القرآن في سورة البقرة بوضوح أن إبراهيم وأبناءه وأحفاده كانوا مسلمين وأنهم لم يكونوا يهودًا أو نصارى وأنهم بشّروا بعبادة الله الواحد إله جميع البشر ولذلك فإن اليهود والأمم الأخرى التي انحدرت من نسل إبراهيم والقبائل العديدة التي اعتنقت دينهم كانوا جميعًا مسلمين أي مؤمنين بالله ومستسلمين لمشيئته ، وكان هناك قوم عيص والأدوميون "Edomites" والمديانيون "Medianites" والكثيرون غيرهم ممن عاشوا في بلاد العرب وعرفوا الله وعبدوه وكان لهم أنبياؤهم مثل أيوب Job وجيثرو Jethro (حمى النبي موسى) وبلعام وهود وكثيرين غيرهم، ولكن هذه الأقوام ارتدّت إلى الوثنية كاليهود إلى أن بُعث أمير الأنبياء .

لقد أنتج اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد معظم كتبهم المقدسة المعترف بها ضمن العهد القديم بعد أن كانت ذكريات فتح أرض كنعان على يد يوشع (١١٣٠ ق.م) وذكريات هيكل سليمان (٩٣٥ ق.م) والقدس قد عفا عليها الزمن وسيطرت على الباقين من بني إسرائيل روح قومية عنصرية وانتشر بينهم الاعتقاد بقدوم المخلّص العظيم الذي سوف يعيد عرش داود في حين نسوا المعنى القديم لشالوم الذي يعني دين إبراهيم ودين الشعوب التي انحدرت من نسله .

ومن وجهة النظر هذه فإنني أعتبر هذه العبارة التي قالها إرميا واحدة من النصوص الذهبية في العهد القديم .

الفصل العاشر

الإسلام مملكة الله في أر ضة

عندما درسنا رؤيا دانيال المدهشة (سفر دانيال، الفصل السابع) رأينا كيف رافقت الحشود السماوية النبى محمدا وهو فى طريقه إلى الحضرة الربانية المجيدة حيث حظى بالتكريم الذى لم يَحْظَ به مخلوق (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، الفصل ١٢) وتوّج سلطانًا على الأنبياء وخُولّ السلطة لتدمير الوحش الرابع والقرن الكافر، كذلك رأينا كيف منُحتْ له السلطة لإقامة مملكة الله على الأرض ولا عجب فإنه من بين كل الأنبياء والرسل يبرز محمد وحده كعملاق فوقهم جميعًا بسبب العمل العظيم الذى أنجزه ، وليس بوسع الإنسان أن يقدر قيمة الإسلام وأهميته فى مناهضة الوثنية والشرك ما لم يسلم بوحدانية الله المطلقة ويدرك أن الله هو الإله الذى عرفه آدم وإبراهيم وموسى وعيسى، عندئذ يتقبل الإسلام على أنه الدين الصحيح الوحيد ويعترف بمحمد على أنه أمير الأنبياء.

ومن العبث تصور الله تعالى (كأب) حينًا و (كابن) حينًا آخر و (كروح قدس) تارة أخرى أو نتصوره ثلاثة أشخاص معًا يخاطب بعضهم بعضًا بضمائر أنا أنت هو، إن ذلك من شأنه ضياع كل مفهوم حقيقى للكائن المطلق . كما إننا لا نضيف شيئًا لقدسية الدين بافتعال بعض الطقوس والأسرار، بل على العكس إن ذلك يشوه الدين الصحيح وينتهى بالكفر .

كما أننا لا نرفع من قدر محمد إذا تصورناه إلهًا أو ابن إله لأننا بذلك نفقد نبى مكة الحقيقى ونسقط فى هوة الشرك. إن عظمة محمد تأتى من كونه أقام الدين البسيط الصحيح بممارسة مبادئه وتعاليمه بصورة عملية ،

مما أكسب المسلم قناعة بدينه ومنعه من قبول أية عقيدة أخرى سوى عقيدة **(لا إله إلا الله، محمد رسول الله)** وهى عقيدة كل مؤمن حقيقى حتى يوم الدين .

إن الرسول العظيم الذى دمر القرن الحادى عشر (قسطنطين وكنيسة التثليث) لم يكن (ابن الله) ولكن (ابن الإنسان) محمد المصطفى الذى أقام فعلاً مملكة الله على الأرض، ونحن نعلم أنه عند مثول سيد الأنبياء بين يدى الله صدر الوعد الإلهى التالى :

(إن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطى لعباد الله تعالى وأوليائه، وسيكون الملكوت أبدياً يخدمه ويطيعه الجميع) (دانيال ٧/ ٢٢، ٢٧) .

وقد دلت هذه النبوءة بوضوح أن الإسلام الذى اكتملت رسالته بخاتم الأنبياء ليس مجرد دين منفصل عن الدولة وإنما هو دين ودولة معاً لأنه مملكة الله فى أرضه ولنقارن ذلك مع ما كان عليه الإسلام قبل أن تكتمل أسسه بصورة نهائية على يد رسول الله محمد !

١ - لقد كان الإسلام منذ الأزل دين الله الحقيقى ولكنه بعد محمد أصبح مملكة الله على الأرض :

إن الذين يعتقدون أن دين الله الحق اقتصر على ما أوحى به إلى إبراهيم فقط وأن بنى إسرائيل وحدهم حفظوه لابد أن يكونوا جهلة فى العهد القديم، ذلك أن أيوب وبلعام وعاداً وهوداً ولقمان وكثيرين غيرهم من الأنبياء لم يكونوا يهوداً، وإن مختلف القبائل والشعوب كالإسماعيليين والمؤابيين والعموتيين والأدوميين وغيرهم ممن انحدروا من سلالة إبراهيم ولوط عرفوا الله تعالى رغم أنهم كاليهود ارتكسوا بعد ذلك إلى الوثنية والجهل، غير أن نور الإسلام لم ينطفئ أبدًا ولم يُفسَح مكانه للوثنية .

لقد عبد اليهود وذوو قرباهم من الشعوب الأخرى الأوثان والأصنام وآلهة المنازل التى كانت تدعى فى العبرية (ترافيم) (سفر التكوين ٣١) وهى فى رأيى المتواضع من نفس طبيعة التماثيل والأصنام التى يقتنيها ويعبدها النصارى الكاثوليك والأرثوذكس فى بيوتهم ومعابدهم. كانت الأصنام فى

تلك الأيام الجاهلية تمثل نوعًا من بطاقات الهوية أو جوازات السفر حتى أن لابان (والد راحيل وهى زوجة يعقوب) كان يقتنى الأوثان وكانت راحيل تسرق أوثان والدها حسبما يذكر سفر التكوين (التكوين ٩/٣١) مع أن لابان ويعقوب كانا مسلمين أقاما (مصفا) مكرسة لعبادة الله .

لقد حفلت هجرة اليهود من مصر إلى فلسطين بالعجائب والخوارق التى كانت تحدث ليل نهار وكان معسكرهم مظلّلاً بغيمة أثناء النهار ومُضاءً بعمود من النار ليلاً، وكانوا يأكلون المن والسلوى ومع ذلك سرعان ما صنعوا عجلاً من الذهب وعبدوه عندما غاب موسى عنهم فى جبل الطور بسيناء أربعين يومًا . وقد حفل تاريخ اليهود بعد ذلك منذ موت يوشع وحتى تتويج طالوت (شاؤول Saul) ملكًا بسلسلة من الانتكاسات المخزية نحو الوثنية. ولم يكف اليهود عن عبادة الأصنام إلا بعد انتهاء الوحى واكتمال شريعتهم فى القرن الثالث قبل الميلاد وبعد ذلك فقط بقوا على التوحيد سوى أنهم لم يستحقوا صفة مسلمين لأنهم رفضوا بعثة كل من عيسى ومحمد، ولا يستطيع المرء أن يصبح مسلمًا إلا إذا استسلم لله وآمن بكافة أنبيائه ورسله، وإلا فإن الإيمان مع العصيان يشبه إيمان الشياطين الذين يؤمنون بوجود الله ولكنهم مزعزعون .

لقد وجد دين الإسلام عند شعب إسرائيل وعند الشعوب العربية القديمة وكان يذبل أحيانًا ويتألق حينًا آخر كالفتيلة التى ترتجف أو الشرارة الخافتة التى تلمعُ فى غرفة مظلمة فبعد أن آمنت به بعض الأقوام ارتكست عنه إلى الوثنية ولكن بقى من الأفراد والجماعات فى كل زمان ومكان من آمن بـ الله الإيمان الصحيح وعَبَدهُ العِبادة الصحيحة .

ومن الواضح أنه لم يكن لدى جمهور اليهود فكرة حقيقية عن الله والدين كما هى فكرة المسلمين، إذ كان اليهود يعترفون بـ (يهوه) ويعبدونه أيام الرخاء، أما أيام البؤس فكانوا يتخلون عنه ويتّبعون إله أمةٍ أقوى وأكثر ازدهارًا ويعبدون أصنامها وأوثانها ويتضح ذلك من دراسة الكتب الدينية العبرية، وإن ارتكاس اليهود المتكرر إلى الوثنية يدل على أن فكرتهم عن إلههم (إل) أو (يهوه) تشبه فكرة الآشوريين عن إلههم (آشور)، والبابليين عن (مردوخ)، والفينيقيين عن (بعل). وباستثناء الأنبياء فإن مسلمى التوراة لم يسموا إلى مستوى الإسلام ولم يصلوا إلى فهم حقيقى له .

ما أكبر التباين إذن بين مسلمى القرآن المؤمنين بالشريعة (المحمدية)[1] وبين مسلمى التوراة المؤمنين بشريعة موسى، لقد ظلّ الدين غير ناضج وغير متكامل فى عقلية اليهود رغم أنه سطع أيام خُدّام (يهوه) الصادقين وخلال عهود القضاة والملوك المتدينين من بنى إسرائيل لكن دين الله لم يتخذ شكل مملكة الله فى الأرض إلا فى ظل النظام القرآنى فقد قضى الله بحكمته غير المحدودة أن دول الظلام الأربع الكبرى يجب أن تتعاقب بعضها وراء بعض قبل تأسيس مملكة الله الحقيقية وكان لابد من ظهور الحضارات والإمبراطوريات العظيمة للآشور والكلدان والفرس واليونان والرومان وازدهارها واضطهاد المؤمنين واقتران ذلك مع جميع الشرور والآثام التى يمكن أن يبتدعها الشيطان قبل أن تتحقق مملكة الله فى الأرض .

٢ - عيسى وتلاميذه بشّروا بملكوت الله :

لا شك أن عيسى المسيح وتلاميذه كانوا الرواد المبشرين بمملكة الله على الأرض، ذلك أن خلاصة إنجيل عيسى تركزت فى العبارة الشهيرة من صلاته **(ليأت ملكوتك)**. ولمدة عشرين قرنًا مازال النصارى من جميع الملل والنحل يصلون ويرددون هذا النداء **(ليأت ملكوتك)** والله وحده يعلم كم سيستمرون فى هذا النداء وينتظرون قدوم الملكوت عبثًا. إن هذا التوقع المسيحى لمجىء مملكة الله، التى جاءت ولم يفطنوا إليها أو لم يعترفوا بها يشابه توقع اليهود لظهور المسيح الذى جاء ولم يعرفوه. ومن عجب أنهم يتمسكون بهذا الأمل العقيم. وإذا سألت قسيسًا نصرانيًا عن ذلك فإنه سوف ينمق الأقوال العديمة المعنى ويؤكد أن مملكة الله سوف تتحقق بتغلب الكنيسة على بقية الكنائس الملحدة .

وسيحدثك قسيس آخر عن الفترة الألفية السعيدة . أما الذى يتبع الكنيسة المُخلصية أو الكويكرية فقد يقول لك إن كنيسة الله سوف تتألف من النصارى الحديثِى المولد والأبرياء من الخطايا الذين غسلهم ونظفهم دمُ الحمَل وما إلى ذلك !!! ...

---

(١) وإن كلمة (محمدية) هنا مستخدمة لتمييزها عن الشريعة الموسوية وكلتاهما من عند الله تعالى . (المؤلف) .

إن مملكة الله لا يمكن أن تكون كنيسة كاثوليكية منتصرة على بقية الكنائس ولا دولة مطهّرة معصومة من الخطأ كما أنها ليست مملكة خيالية (للفترة الألفية السعيدة) ولا مملكة مؤلفة من كائنات سماوية تشتمل أرواح الأنبياء والمؤمنين يحكمهم حَمَل مقدس، شرطتها وقُضاتها من الملائكة وزعماؤها من الباباوات والبطاركة والأساقفة والوعاظ .

إن مملكة الله على الأرض هى دين واقعي قوى يؤمن مجتمعه بالله الواحد وهو مسلح بالإيمان وبالسيف للقتال من أجل وجوده ضد مملكة الظلام وضد الذين لا يؤمنون بوحدانية الله أو الذين يؤمنون بأن له ولدًا أو أبًا أو أمًا أو شركاء .

إن كلمة Evangelion اليونانية التى أصبحت Gospel بالإنجليزية (إنجيل بالعربية) تعنى (**البشارة السارة**) والبشارة هى الإعلان عن مملكة الله القادمة التى سيكون أصغر مواطنيها أعظم من يحيى المعمدان. يحيى الذى قام والمرسلون من بعده بوعظ اليهود وتبشيرهم بمملكة الله طالبين إليهم أن يؤمنوا ويتوبوا لكى يدخلوها، إن عيسى عليه السلام لم يُبْطل شريعة موسى ولم يغيّرها بل فسّرها بمعنى روحى وقد رحل عنها وهى غير نافذة، وعندما أعلن أن الكراهية أساس القتل وأن الشهوة أصل الزنا وأن الجشَع والنفاق من الآثام البغيضة كالزنا وأن الرحمة والإحسان أفضل من تقديم القرابين ومن المراعاة الشديدة ليوم السبت، فإنه عمليًا ألغى المعنى الحرفى لشريعة موسى من أجل معناها الروحى. إن الأناجيل الحالية المحرفة المشكوك فى صحتها تتضمن كثيرًا من حكم المسيح وإشاراته إلى مملكة الله وإلى (ابن الإنسان) ولكنها مشوهة محرفة لدرجة أنها نجحت فى تضليل النصارى المساكين بحيث يعتقدون أن عيسى لم يقصد بمملكة الله سوى الكنيسة وأنه هو نفسه (ابن الإنسان) .

وسوف أبحث هذه النقاط الهامة بالتفصيل فى الفصول التالية وأكتفى الآن بالقول إن ما بشّر به عيسى كان الإسلام لأن الإسلام هو مملكة الله وإن محمدًا كان (ابن الإنسان) الذى بُعث للقضاء على الوحش وتأسيس دولة قوية تقوم على الجماعة المؤمنة بالله الواحد المؤلفة من أولياء الله وعباده الصالحين (دانيال ٧/٢٢ ، ٢٧) .

لقد كان دين الله محصورًا فى بنى إسرائيل بشكل رئيسى حتى مجىء عيسى عليه السلام، وكان متسمًا لدى اليهود بالمادية والقومية. وقد شوه المشرعون والكتّاب والأحبار هذا الدين بأن نسبوا إليه كتابات أسطورية من تأليفهم وتأليف أجدادهم وقد ندد المسيح بذلك وباليهود وزعمائهم ووصفهم بأنهم (منافقون) و(أبناء الشيطان) .

وقد أصلح عيسى المسيح الدين القديم وأعطاه حياة وروحًا جديدين وشرح بمزيد من الوضوح خلود الروح البشرية والقيامة والحياة فى الآخرة وأعلن على الملأ أن المخلّص المنتظر الذى يتوقعه اليهود لن يكون يهوديًا ولا من سلالة داود بل من سلالة إسماعيل واسمُه أحمد وأنهُ سوف يقيم مملكة الله على الأرض بسلطة دين الله وقوة السيف. وهكذا أمَدّ المسيح دين الإسلام بنور وروح جديدين وكان يحث أتباعه على التواضع والتسامح والصبر وأخبرهم سلفًا عن الاضطهادات والاضطرابات والقتل والسجون التى سيتعرضون لها وبالفعل لقى النصارى الأوائل اضطهادات مروعة تحت حكم أباطرة الرومان ثم جاء قسطنطين الكبير وعقد مجمع نيقة عام ٣٢٥م. وأعلن مبدأ التثليث وأعطى الحرية للكنيسة المنحرفة وكان أن تعرض المسلمون الموحدون[١] إلى مزيد من الاضطهاد بصورة أشد من ذى قبل على يد أنصار التثليث حتى جاء محمّد عليه الصلاة والسلام.

٣ - طبيعة وتكوين مملكة الله :

هنالك نداء إسلامى ينادى كل يوم خمس مرات من مآذن المساجد فى كل أنحاء العالم تُقام الصلاة بعده وهذا النداء هو (الأذان)، وبالإضافة لذلك فإن المسلم يبدأ كل عمل مهما كان بسيطًا بعبارة (باسم الله) وينتهى بـ (الحمد لله) مما يعنى الثّناء لله وحده، ذلك أنّ رابطة الإيمان التي تصل المسلم بربه قوية وقريبة قال تعالى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ .... ولا يوجد أى فرد يحمل من المحبة والولاء والاحترام لسيده قدر ما يحمل المسلم لربه . إن الله ملك السماوات والأرض وملك الملوك وسيد

---

(١) لم يفوض عيسى أتباعه بإن يسمّوا أنفسهم مسيحيين ولا يوجد لقب أفضل للموحدين الأوائل من لقب (مسلمين) (المؤلف) .

السادةوهو ملكُ كل مسلم بصورة خاصة لأن المسلم وحده الذى يشكر ويحمد مليكه الله تعالى فى مواجهة كل ما يحدث خيرًا أم شرًا.

ومن هذا يتضح أن الإسلام مكون فى جوهره من مملكة دينية كاملة حقيقية على الأرض، وقد انتفت الحاجة بعده لمرسَلين أو أنبياء جُدد كما كانت عليه الحال بالنسبة لإسرائيل والشعوب الأخرى لأن مشيئته تعالى منزّله فى القرآن الكريم بصورة كاملة .

ولنلاحظ النقاط التالية فيما يتعلق بتكوين ودستور مملكة الله :

(ا) يكوِّن المسلمون بمجملهم أمّة واحدة وأسرة واحدة وأن آيات القرآن الكريم والحديث الشريف حول هذه النقاط كثيرة، ومن الخطأ أن نحكم على المجتمع الإسلامى كما يطرح نفسه الآن بلْ يجب النظر إليه كما كان فى عصر النبى والخلفاء الراشدين بعده .

إن اسم (مسلم) يعنى حرفيًا (صانع السلام) فهو لذلك هادئ ومسالم وكريم وهو فى نفس الوقت خصم عنيد لمن يعتدى على دينه ومقدساته وشرفه وأملاكه. إن الجهاد فى الإسلام ليس حربًا عدوانية ولكنه حرب دفاعية. والقرآن الكريم واضح تمامًا إذ يقول : ﴿ **ولا تَعْتَدُوا** ﴾ ولا يمنع من ذلك أن بعض المسلمين يفتقدون أخلاق الإسلام الحميدة والعمل بموجبها والسبب فى ذلك افتقارهم إلى المعرفة الدينية الصحيحة والتدريب الدينى السليم .

(ب) حسب وصف النبى دانيال فإن مواطنى مملكة الله هم (جماعة القديسين) أى عبّاد الله الصالحين وأولياؤه ، وفى النص الكلدانى أو الآرامى الأصلى يوصفون بأنهم أمة القديسين وهى صفة تليق فقط بأمير الأنبياء وصحابته وتابعيه من المهاجرين والأنصار الذين قضوا على الوحش الرومانى واقتلعوا الوثنية من معظم قارتى آسيا وإفريقيا .

إن المسلمين الذين يومنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبأن الخير والشر كليهما من الله ويؤدون فروضهم الدينية قدر المستطاع يعتبرون أولياء مكرمين ومواطنين مباركين فى هذه المملكة، ومن أشد الجهل الاعتقاد بوجود كيان اسمه الروح القدس يملأ قلوب الذين يتعمدون باسم آلهة ثلاثةٍ كل منهم ثالث الثلاثة .

إن المسلم لا يؤمن بوجود (روح قدس) واحدة متميزة ولكن بأرواح قدس لا حصر لها من مخلوقات الله المسخّرة لطاعته، والمسلم لا يُطَهّر بالتعميد أو الوضوء بل تزكو نفسه بالرغبة والمشاركة فى الدفاع عن الدين والقتال من أجله . قال يحيى المعمدانى : **(إننى أعمدكم بالماء من أجل التوبة ، ولكن الذى يأتى بعدى أقوى منى والذى لستُ جديرًا بحمل حذائه، وسوف يعمّدكم بالروح القدس والنار)** (متّى ٣/١١) (وفى إنجيل برنابا ينسب هذا القول إلى عيسى عليه السلام) وهكذا بالروح القدس والنار طهّر محمد الوثنيين والبدو الرحّل أنصاف البرابرة وحوّلهم إلى جيش من المؤمنين الذين حوّلوا بدورهم الكنيس المتداعى والكنيسة المهترئة إلى مملكة الله الدائمة فى الأرض الموعودة وبقية أنحاء الدنيا .

القسم الثانى



الفصل الحادى عشر

الإسلام والأحمديات التى أعلنتها الملائكة

سجّل اثنان من كتاب الأناجيل حادثين غريبين فيما يتعلق بمولد سيدنا عيسى (عليه صلوات الله وسلامه). الأول سجّله كاتب إنجيل متّى فى روايته عن رحلة حكماء المجوس برئاسة الملك كاسبار وحسب الرواية كان يوجههم نجمٌ من بلاد فارس نحو إسطبل فى بيت لحم كان يرقد فيه سيدنا عيسى عليه السلام وقت ولادته. إن هذه القصة الخيالية المكونة من عدة عجائب اختلقتها الكنيسة تعتبر أسطورة مستساغة لديها. والمفترض أن هؤلاء المجوس كانوا ملهمين حتى عرفوا أن الطفل الصغير فى بيت لحم كان (إلهًا وحَمَلاً وملِكًا) ولذلك قدموا له البخور كما يقدمونه للآلهة ، وقدموا المُرّ ليدفن معه قربانًا ، وقدموا الذهب من أجل خزينته الملكية .

والمفترض أن هذه الرحلة الطويلة من فارس إلى فلسطين قد تمت بسرعة خارقة بينما الطفل لم يزل فى الإسطبل وأن المسافرين كانوا يهتدون بالنجم الذى كان يظهر ويختفى ثم يظهر أخيرًا فوق بيت لحم ليقودهم إلى البقعة التى ولد فيها المسيح ومن الأعاجيب أيضًا ارتجاف سكان القدس وملكها اليهودى هيرودس لدى سماع خبر مولد الملك الجديد الذى لم تُعرف مكان ولادته مما أدى بهيردوس أن يذبح مئات الأطفال حديثى الولادة فى بيت لحم وضواحيها على أمل التخلّص منه ، وأن الوحى نزل على المجوس بعدم العودة إلى هيردوس، إلى آخر ذلك من الخرافات التى ابتدعتها الكنيسة .

إن القديس متّى وهو الوحيد بين الحواريين والمؤرخين الذى روى هذا الحادث لم يذكر شيئًا عن عقيدة الملك كاسبار ومنجّميه بعد زيارتهم

للإسطبل في بيت لحم ، وهل آمنوا برسالة عيسى أم لا؟ فلو آمنوا بها فلا معنى أن تضطهد فارس النصرانية لمدة ستة قرون أخرى حتى يجيء الإسلام وتتحول إليه فى القرن السابع الميلادى !

إننى لا أقصد الإنكار التام لقصة زيارة بعض المجوس لمهد عيسى عليه السلام ولكنى أقصد إظهار رغبة الكنيسة الشديدة فى المبالغة بالحوادث البسيطة فى حياة عيسى المسيح وإضافة التفاصيل الخارقة لها .

أما الحدث الثانى الذى لا يقل عجبًا وهو يتعلق بموضوعنا الحالى ، فقد ورد فى الإنجيل الثالث الذى تعتقد الكنائس أن مؤلفه هو الطبيب لوقا (كولوسى ٤/١٤) الذى رافَق القديس بولس فى رحلاته التبشيرية وكان أسيرًا معه فى روما (٢ تيموتى ٤/١١ – فيلمون ٢٤ .. إلخ) وليس هذا مجال مناقشة تأليف الكتاب ولكن نكتفى بالقول أن المؤلف سجل الكثير من حِكَم وتعاليم المسيح . وقد روى أيضًا قصة الرعاة الذين كانوا يرعون أغنامهم قرب بيت لحم فى الليلة التى ولد فيها سيدنا عيسى إذْ ظهر أمامهم ملاك لكى يعلن مولد (السيد المخلّص) ثمّ ظهر حشد من الملائكة فى السماء ينشدون بأصوات عالية الترنيمة التالية (لوقا ٢/١–٢٠)

المجدُ لله فى الأعالى
وعلى الأرض السّلام
وفى الناس المسـرة (good will)

(لوقا ٢/١٤)

هذه الترنيمة الملائكية المعروفة بـ "Gloria in Excelsis Deo" والتى تُرتل فى الكنائس خلال احتفالها بالمراسم المقدسة ، ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة عن النص اليونانى الذى لا يمكن الاعتماد عليه أصلاً لأنه لا يتضمن الكلمات الأصلية باللغة التى رتل بها الملائكة والتى فهمها الرعاة العبرانيون. ومن البديهى أن الملائكة رتّلت أنشودتها المفرحة بلغة الرعاة وأن تلك اللغة لم تكن اليونانية بل العبرية العامية أو الآرامية ، لأن تخيل الملائكة ترتل باليونانية أمام الرعاة اليهود الذين يجهلون تلك اللغة هو مثل تخيل الملائكة فوق جبال كردستان مثلاً تنشد باليابانية أمام بعض الرعاة الأكراد الذين لا يعرفون سوى اللغة الكردية .

إن ظهور الملائكة إلى الرعاة البسطاء فى بيت لحم وإعلان مولد النبى العظيم فى تلك الليلة حيث سمع الرعاة وحدهم التهليلة الملائكية (هللويا) دون أن يسمعها الأحبار والكتبة scribes المتعجرفون ، كل ذلك يعتبر من المعجزات الكثيرة المسجلة في تاريخ شعب إسرائيل. وقد نقول أن القصة ليست مستغربة إذ يمكن أن يظهر ملاك لأحد الأنبياء ويبلغه رسالةً من الله بحضور آخرين دون أن يفهم الآخرون ذلك . والرعاة الطيبون ذو قلوب سليمة وإيمان صادق فكانوا أهلاً للتكريم الإلهى بسماعهم تلك الترانيم ومن وجهة نظر دينية ليس هناك ما يدعو للاستغراب أو عدم التصديق لهذا الحدث المدهش علمًا أن كاتب الرواية حريص ودقيق فى عباراته وقد استخدم فى إنجيله أسلوبًا يونانيّا جيدًا جدّا وبما أنّه كتب كتابه بعد فترة طويلة من موت جميع الحواريين فمن المفترض أنه اطّلع على الأناجيل المنسوبة إليهم وراجعها كما اطّلع على أسطورة المجوس ومع ذلك لم يذكر شيئًا فى كتابه ، وقد ذكر فى النصوص الأربعة الأولى التى بدأ بها إنجيله(١) أن الحواريين الذين دعاهم (شهود العيان وكهنة الكلمة) لم يتركوا شيئًا مكتوبًا عن المسيح وتعاليمه إنما اكتفوا بنقل رسالته وتعاليمه شفهيّا إلى أتباعهم كما ذكر بوضوح أن إنجيله استند على القصص التى سمعها من الأشخاص الذين سمعوها من الحواريين وغيرهم ممن كانوا شهود عيان لتلك الأحداث ، وأنه تفحص مصادره بعناية واختار منها فقط ما اعتبره جديرًا بالثقة والواضح من هذا الكلام أن لوقا لم يدع نزول أى وحى عليه ولم ينسب لإنجيله أى علاقة بالوحى كلّ ذلك مما يقنع أى قارئ محايد أن ما يسمى بالأناجيل الأربعة المعتمدة Canonical gospels لا تتسم بالخصائص الضرورية التى لابد منها فى أى كتاب مقدس يزعم بأنه وحى أو تنزيل إلهى فأين هو الإنجيل الحقيقى إذن ؟ وهل من الممكن أن عيسى ورسله لم يتركوا لنا الإنجيل الحقيقى باللغة التى أنزل بها؟ وإذا كان هنالك إنجيل صحيح كهذا فما الذى حصل له ومن الذى أضاعه أو أتلفه ولماذا لم تحتفظ الكنيسة لنا بالنسخة الأصلية منه؟ وهل ترجم أصلاً إلى اليونانية أو إلى لغة أخرى ؟ وإذا كان الجواب على ذلك بالنفى فإننا نسأل لماذا لم يكتب هؤلاء

---

(١) يُنصح القراء بأن يقرأوا مقدمة إنجيل لوقا بكل عناية . (المؤلف)

الحواريون اليهود أناجيلهم بلغتهم الأم ولماذا كتبوا جميعًا باليونانية ؟ وأين تعلّم الصياد شمعون كيفا (سمعان الصفا أى بطرس) ويوحنا ويعقوب (جيمس) والجابى متّى أين تعلم كل هؤلاء اللغة اليونانية من أجل كتابة سلسلة من الكتب المقدسة؟ وإذا ما قال أحدهم أن الروح القدس علمهم فإنه يعرض نفسه للسخرية وكيف يمكن تفسير الحكمة من نزول الروح القدس بالوحى باللغة العبرية أو الآرامية على يهودى فى الناصرة (عيسى عليه السلام) ثم ضياع ذلك الوحى ثم تعليم بعض الحواريين وغيرهم من اليهود اللغة اليونانية لكى يكتب كل منهم باليونانية ماسمعه عن المسيح ؟!.

وإذا قيل لنا أن الأناجيل والرسائل الإنجيلية كتبت من أجل فائدة اليهود المشردين الذين كانوا يعرفون اليونانية فإننا نسأل : ما الفائدة التى جناها اليهود المشردون من العهد الجديد، ولماذا لم تُعدّ نسخ لأجل يهود فلسطين بلغتهم الخاصة علمًا أن القدس كانت مركزًا للدين الجديد وإن جيمس (يعقوب) (الأخ المزعوم لعيسى) (سفر غلاطية ١٩/١) كان رئيس الكنيسة ومُقيمًا فى القدس (أعمال الرسل ١٥) ، (سفر غلاطية ١١/٢-١٥) .

إنه من المستحيل العثور على نص واحد من الوحى المنزل على عيسى المسيح بلغته الأصلية . ولذا فإن مجمع نيقة يتحمل إلى الأبد مسؤولية جريمة ضياع الإنجيل الأصلى باللغة الآرامية وهى خسارة لا تعوض . فالترجمة مهما كانت أمينة لايمكن أن تحتفظ بالدقة والمعنى الذى تحتويه الكلمات والتعابير الأصلية ، فكل نسخة مترجمة عرضة للمناقشة والنقد .

أضف إلى ذلك أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تصل حتى إلى درجة الترجمة عن الأصل إذ إن أقدم ما لدينا النسخة اليونانية التى تعرضت فى الأصل إلى تحريف وتشويه شديدين .

والآن نعود إلى كتاب لوقا وبالذات إلى الأنشودة الملائكية التى لاشك أن الملائكة أنشدتها بلغة سامية (عبرية أو آرامية) لكنها كتبت بترجمة يونانية .

ومن الطبيعى أن نحاول كشف الكلمات الأصلية التى أنشدت بها مثلاً ما هى الكلمة السامية الأصلية التى جعلوها باليونانية (Eudokia) وبالإنجليزية (Good will) أى النية الحسنة) وبالعربية (المسرة) .

إن الترنيمة مؤلفة من ثلاث فقرات : ١- موضوع الفقرة الأولى هو (الله) Allaha بالآرامية وقد ترجم إلى "Theos" باليونانية. ٢- وموضوع الفقرة الثانية هو (السلام) شلاما بالآرامية وترجمت إلى اليونانية بكلمة "Eiriny" ٣- وموضوع الفقرة الثالثة (المسرة) "eudokia" باليونانية وترجمت إلى اللاتينية "Vona Voluntas" فى ترجمة الـ "Volgate" اللاتينية المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية، وإلى الآرامية "Sobhra Tabha" (والتى تلفظ أحيانا "Sovra Tava") فى الترجمة الآرامية (باللهجة السريانية) المسماة بشيتا "Peshitta" .

وقد عجزت الترجمتان اللاتينية والآرامية وجميع التراجم الأخرى التى تلتها عن نقل المعنى الدقيق لكلمتى أيرينى ويودوكيا وبالتالى ظلت الفقرتان الثانية والثالثة من الأنشودة دون معنى .

واستنادًا على تفسير الكنائس المسيحية لهذه الأنشودة فإن إيمان الفرد بألوهية عيسى المسيح والتصديق بافتدائه الناس من الخطيئة وبالتالى من نار جهنم بموته على الصليب واستمرار اتصال المرء بالروح القدس يجلب (السلام) للقلب ويجعل المؤمنين يحملون (النية الحسنة) تجاه بعضهم البعض بالإضافة إلى الإحسان والمحبة المتبادلة بينهم لكن الكنائس عن حكمة متعمدة لا تتوقف عند هذا التفسير لأنه لا يوجد بينها ولا بين أتباعها سلام ولا اتفاق ولا وفاق ولا نية حسنة ولا حب متبادل. ولذلك تختلف الكنائس عن بعضها البعض فى استكمال التفسير وتحاول افتعال وسائل أخرى للتوصل إلى هذا (السلام) و (النية الحسنة) فمثلاً يُصِرّ الطقوسيون Sacramentarians على الاعتقاد بالطقوس السبعة وبتعاليم عديدة لا يمكن فهمها وليس لها علاقة من قريب أو من بعيد بعقيدة عيسى فيقولون أن الكنيسة بعد أن تطهّرت بدم الفادى من خلال مياه المعمودية، التى تقدست بصورة غامضة ، أصبحت عروس الحَمَل وجسده أى أن الكنيسة نفسها تحولت إلى لحم العريس ودمه الحقيقيين وأصبحت جسم الحَمَل ، وهى أيضًا تتغذى من جسده بخبزٍ ونبيذ مقدسين بطريقة غير مفهومة. والعروس - الكنيسة - متفانية بشكلٍ خاص تجاه (القلوب المقدسة) لعيسى ومريم والقديس يوسف والمراحل الأربع عشرة للصلب وتجاه تماثيل مئات عديدة

من القديسين والشهداء وآلاف العظام والبقايا الحقيقية أو المزيّفة لهؤلاء ناهيك عن عبادة الفطيرة المقدسة كما يُعبد الله تعالى ، كل هذا التعقيد والطقوس التى لا يمكن أن يحتملها المنطق ومازال السلام بعيدًا . وفوق كل ذلك يجب الاعتراف بجميع الخطايا صغيرها وكبيرها أمام الكاهن ذلك أن الغفران الذى يحصل عليه الخاطئ من «الأب الروحى» هو الذى يأتى بـ (السلام) والطمأنينة إلى القلب ويملأه بـ (النية الحسنة) (المسرة)!! كما يحاول النصارى أيضًا الحصول على (السلام) الداخلى عن طريق الصلاة لثلاثة آلهة كل على حدة أحيانًا لعيسى وأحيانًا للروح القدس وأحيانا للأب ثم يعتقدون بعد ذلك أنهم مملؤون بالروح القدس وأنهم فى حالة سلام ولكننى أؤكد للقارئ أن هؤلاء النصارى «التائبين» الذين يتظاهرون بأنهم حصلوا على (السلام) وعلى (النية الحسنة) (المسرة) تجاه جيرانهم هم فى الحقيقة شديدوا التعصب عديموا التسامح وسواء كان المسيحى ملتزمًا أو غير ملتزم فإنه عندما يخرج من الكنيسة بعد أن «يشارك» فى «العشاء الربانى» الذى يسمونه «القربان المقدس»(١) يصبح متعصبًا ضيق الأفق حتى أنه يفضل لقاء كلب على لقاء مسلم أو يهودى لأنهما لا يؤمنان بالثالوث وبالعشاء الربانى وقد عرفت ذلك لأننى كنت أحمل نفس المشاعر عندما كنت قسيسًا كاثوليكيًا حيث كنت أعتقد بأننى روحانى منزه عن الأخطاء وكانت كراهيتى تزداد للهراطقة المزعومين من غير المؤمنين بالثالوث .

وعندما يتحمس النصارى ولا سيما قساوستهم فى صلواتهم وطقوسهم وممارستهم فإنهم يصبحون عدوانيين تجاه خصومهم الدينيين . حتى أن جميع القديسين النصارى بعد مجمع نيقية كانوا طغاة فى كتاباتهم ومواعظهم وأفعالهم ضد مخالفيهم. وإن محاكم التفتيش الرومانية هى الشاهد الخالد على هذا الطغيان وعلى عدم تحقق ترنيمة **(على الأرض السلام وفى الناس المسرة)** .

---

(٤) إن إنجيل لوقا حسب الترجمة الآرامية القدمية المسماة Peshitta لا يحتوى على الجمل (١٧-١٩) من الفصل (٢٢) وكذلك لا يوجد ما يسمى بـ (الكلمات الأساسية) الموجودة فى طقس القربان المقدس الخاص بالنساطرة . (المؤلف) .

ومن الواضح **إن السلام الحقيقى لا يتحقق بالطقوس المصطنعة ولكن بثلاث وسائل فقط الأولى** : الاعتقاد الجازم بوحدانية الله المطلقة ، و**الثانية** : الخضوع الكامل والاستسلام لمشيئته المقدسة ، و**الثالثة** : أن تكون آيات الله وإبداعه هى محور التأمل والتفكير باستمرار. فمن يحقق هذه الوسائل الثلاث فهو مسلم حقيقى وعملى، والسلام الذى يحرزه عن طريقها يكون سلامًا حقيقيًا غير مصطنع فيصبح متسامحًا أمينًا عادلاً رحيمًا ولكن فى نفس الوقت يكون مستعدًا للدفاع عن دين الله .

على أن الملائكة بكل تأكيد لم تنشد تكريمًا للسلام الفردى الذى يحصل عليه عدد محدود من عباد الله ، كما أنها لم تقصد سلاماً وهميًا بمعنى نزع السلاح من الدول وإيقاف الحروب والأعمال العدائية بين الشعوب ، ولم تقصد سلامًا مقتصرًا على شعب إسرائيل فقط لأن تاريخ العشرين قرنًا الأخيرة يدل على العكس تماماً ، فالملائكة لا يمكن أن تنشد وتعلن سلامًا وهميًا لا يمكن أن يتحقق لذلك فنحن مضطرون تجاه الحقائق التاريخية من جهة ، وأهمية المناسبة والمصدر الذى جاء منه هذا الإعلان من جهة أخرى إلى الاستنتاج أن هذا السلام على الأرض لم يكن سوى تأسيس مملكة الله على الأرض وهو أمر قد تحقق ألا وهو الإسلام. ذلك أن كلمة "Eiriny" اليونانية مرادفة للكلمات السامية (شالوم) فى العبرية و (شلاما) فى الآرامية و (إسلام) فى العربية ، هذا كل ما فى الأمر .

وإن مجرد ذكر (الحشود السماوية الكثيرة) يعطى للأنشودة طابع الانتصار والتبشير بقرب مملكة الله على الأرض، تلك المملكة التى كان أعظم روادها الطفل الحديث الولادة فى بيت لحم .

وقد سبق أن شرحنا أن السلام بمعناه العملى الحسى يدل على دين سليم ونافع عكس الدين الشرير السيئ المؤذى المدمّر المؤدى إلى البؤس والهلاك . وبهذا المعنى فإن الله تعالى فى رسالته إلى قورش من خلال نبوءة إشعيا استعمل كلمة (شالوم) كمرادف للخير (عكس شر) (سفر إشعيا ٤٥/٧). هذا هو بالضبط التفسير الحرفى واللغوى والعملى لكلمة إسلام كدين صحيح كفيل بإقامة مملكة ربانية قوية على الأرض لها شرائعها وتوجيهاتها الدائمة الصالحة التى يتضمنها القرآن الكريم .

إن الإسلام يعنى حرفيًا (صنع السلام) وأن أى تفسير آخر أو سلام خيالى أمر غير وارد بالمعنى الذى وردت كلمة "Eiriny" فى تلك الأنشودة الملائكية . وقد قصد سيدنا عيسى المسيح هذا المعنى الإسلامى بالضبط عندما ألقى موعظته البليغة على الجبل: **(طوبى للمسلمين (أى صانعى السلام) لأنهم يُدعون أبناء الله)**[1] (متّى ٥/٩) .

وإن السلام الوهمى هو ما رفضه المسيح عندما قال **(لا تظنوا أننى قادم لإقامة السلام على الأرض ، إذْ لم آتِ لوضع السلام بل لاستخدام السيف)** (متّى ١٠/٣٤) أو كما قال **(جئت لأشعل النار فى الأرض أتظنون أنى جئت لأعطى سلامًا على الأرض ؟ أقول لكم لا، بل انقسامًا ...)** (لوقا ١٢/٥١).

وما لم تفهم كلمة "Eiriny" على أنها دين الإسلام ، فإن هذه الأقوال الخطيرة لسيدنا عيسى تبدو لُغزًا يحمل فى ثناياه التناقض والتشويه لرسالته الصحيحة .

---

١) سنعالج فيما بعد تعبير أبناء الله . (المؤلف) .

الفصل الثانى عشر

« يودكيا » "Eudokia" تعنى أحمد
(لوقا ٢/ ١٤)

لو كان هناك مخطوطة أو مخطوطتان على الأقل للقديس لوقا باللغة العبرية فإنه قد يمكن إعادة ترجمة إنجيله إلى اللغة العبرية بصعوبة أقل نسبيّا مما لو لم يكن لدينا أيّا من مخطوطات لوقا العبرية ، ولكن هذا الافتراض غير متحقق فقد ضاعت جميع الكتابات القديمة (بلغة المسيح) التى تُرجم منها النشيد الملائكى إلى اليونانية كما أنه لم يصلنا عن لوقا أى كتاب بلغة سامية، عبرية أو آرامية. ولمزيد من الإيضاح ولتمكين القارئ من تقدير أهمية هذه النقطة فإنى على سبيل المثال أتحدى أعظم علماء الأدب الإنجليزى أو الفرنسى أن يعيدوا ترجمة النص الفرنسى لمسرحيات شكسبير إلى الأصل الإنجليزى دون الرجوع إلى النص الإنجليزى الأصلى وبحيث يعيدوا جمال وتناسق ودقة النص الأصلى .

لقد كتب الفيلسوف المسلم الكبير ابن سينا مؤلفاته باللغة العربية وأعيدت بعد ذلك ترجمة بعض كتاباته من اللاتينية إلى العربية لأن الأصول العربية فقدت، فهل كانت النصوص العربية المترجمة مطابقة لتلك التى كتبها ابن سينا بنفسه والجواب بالنفى طبعًا .

تحدثنا فى الفصل السابق عن معنى كلمة "Eiriny" اليونانية ووجدنا أن الكلمة التى يقابلها فى العبرية هى كلمة (شالوم) علمًا أن الكلمتين متطابقتان تمامًا فى نصوص الترجمة السبعينية[1] "Septugint" (اليونانية)

---

(١) السبعينية هى الترجمة اليونانية للعهد القديم وسميت كذلك نسبة إلى اثنى وسبعين عالمًا يهوديًا (يفترض أن يكونوا ستة من كل سبط من الأسباط الاثنى عشر) قاموا بترجمته إلى اليونانية فى الإسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد .

والترجمة العبرية للعهد القديم. ولكن الكلمة اليونانية المركبة (يودوكيا) على ما أعلم لم ترد فى الترجمة السبعينية ومن الصعب جدًا إيجاد تعبير يماثلها أو يرادفها فى الأصل السامى أضف إلى ذلك أن أناجيل متّى ومرقص ويوحنا وبرنابا لم تذكر هذه الأنشودة الملائكية ولم يرد ذكرها أيضًا فى أى من رسالات epistles العهد الجديد .

ومن أجل اكتشاف الكلمة السامية الأصلية التى سمعها الرعاة والتى صاغها النص اليونانى لإنجيل لوقا فى كلمة (يودوكيا) فإنه يجب متابعة جذورها اليونانية. ولكن قبل ذلك سوف نستعرض تراجم الكتاب المقدس المليئة بالأخطاء التى حجبت المعنى الصحيح لكلمة (يودوكيا) وأخفت منحاها التنبؤى عن أحمد أو محمد .

هناك نصان رئيسيان قديمان للعهد الجديد منقولان عن النسخة اليونانية. الأول باللغة السريانية (الآرامية)[1] ويسمى البشيتا "Peshitta" والثانى باللغة اللاتينية ويسمى فالجيت "Vulgate" وكلاهما يحملان عنوان "Simplex" بمعنى البسيط وهو معنى كلمتى بشيتا وفالجيت. وقد ظهرت الكثير من المعلومات الحديثة حول هذين النصين الرئيسين مما يسبب حرجًا لأعظم اللاهوتيين والمؤرخين النصارى. ويكفى أن نذكر الآن أن النسخة الآرامية المسماة بشيتا "Peshitta" هى أقدم من الترجمة اللاتينية "Vulgate" للكتاب المقدس. ومن المعروف أنه خلال القرون الأربعة الأولى بعد المسيح لم يكن لدى كنيسة روما كتب مقدسة ولا طقوس دينية باللغة اللاتينية وإنما باللغة اليونانية فقط كما أنه قبل المجمع المسكونى المنعقد سنة ٣٢٥م لم يكن قد تم تجميع الأسفار المؤلفة لكتاب العهد الجديد وبالأحرى لم يكن هنالك وجود للعهد الجديد بل كان هناك الكثير من الأناجيل gospels والرسائل epistles التى تحمل أسماء مختلفة لتلامذة وصحابة عيسى والتى اعتبرت كتبًا مقدسة من قبل العديد من المجتمعات المسيحية لكن المجمع المسكونى فى نيقية رفضها معتبرًا إياها غير شرعية .

---

(١) إن ترجمة البشتيا «Peshitta» لم تستعمل مطلقًا كلمات Syria وسريانى Syriac بل كانت تستعمل كلمتى آرام Aram وآرامى Aramaic ذلك أن اللغة السريانية تعتبر لهجة من اللهجات الآرامية التى كانت منتشرة فى منطقة الرها .

ولما كانت الرها "Edessa" (الواقعة فى جنوب شرق آسيا الصغرى) هى عاصمة اللغة السريانية ومقرها التعليمى ، فقد كانت كتب العهد الجديد تترجم من اليونانية إلى السريانية فى الرها بعد انعقاد المجمع الكنسى المشؤوم فى نيقية .

ومن الواضح من دراسة الأدب والتاريخ المسيحى القديم أن الحواريين وأوائل المبشرين بالإنجيل كانوا من اليهود الذين تكلموا الآرامية أو السريانية ومن المؤكد أن النصارى الأوائل كانوا يؤدون صلواتهم وطقوسهم باللغة الآرامية لأنها كانت اللغة الدارجة التى تحدث بها اليهود والسريان والفينيقيون والكلدان والآشور. وأن الأناجيل المتعددة والرسائل وكتب الصلاة والطقوس الدينية كانت فى الأصل مكتوبة باللغة الآرامية (السريانية)(١) حتى أن الأرمن - قبل اختراع الألفباء الأرمنية فى القرن الخامس - كانوا يستعملون الحروف السريانية .

غير أن الذين دخلوا النصرانية فى وقت متأخر من غير الساميين وغير اليهود، كانوا يقرأون العهد القديم باليونانية (الترجمة السبعينية). كما أن الفلاسفة وكهنة الأساطير اليونانية (بعد تحولهم إلى النصرانية) لم يجدوا صعوبة فى إنتاج (عهد جديد) باليونانية يستكمل العهد القديم خاصة أن النسخة السبعينية من العهد القديم كانت أمامهم .

والنتيجة أن إنجيل المسيح قد تحوّل ليصبح مصدرًا لاتجاهين فكريين أحدهما سامي والآخر إغريقى، ثم استطاع الفكر المُشرك الإغريقى أن يتغلب على العقيدة التوحيدية الساميّة بمساعدة قسطنطين الكبير أعتى وأطغى الأباطرة الإغريق - اللاتين وبمساعدة أشد القساوسة تعصبًا وتعسّفًا من ذوى عقيدة التثليث فى بيزنطة وروما.

يضاف إلى ذلك مشاكل وحدة العقيدة والمذهب والنص المنزل ذلك أنه لمدة أكثر من ثلاثة قرون لم يكن لدى الكنيسة أى (عهد جديد) كالذى نراه فى صورته وشكله الحاليين. ولم تكن أى كنيسة من الكنائس السامية أو

---

(١) انبثقت اللغة السريانية عن الآرامية وكلاهما مكونتان من نفس الأبجدية وهى عبارة عن ٢٢ حرف وعادة ما يطلق اسم اللغة السريانية على اللهجة الآرامية التى كانت دارجة فى الرها وما حولها .

الإغريقية أو كنائس أنطاكية أو الرها أو بيزنطة أو روما تملك جميع أسفار العهد الجديد بل لم تكن تملك حتى الأناجيل الأربعة قبل انعقاد مجمع نيقية. وإني لأستغرب كيف كانت عقيدة أولئك النصارى الذين لم يكن في حوزتهم غير إنجيل لوقا أو إنجيل مرقس أو إنجيل يوحنا فيما يتعلق بتعاليم القربان المقدس ، أو المعمدانية، أو التثليث أو الولادة المعجزة لسيدنا المسيح، وغير ذلك من المعتقدات والمبادئ .

إن نسخة (البشيتا) السريانية لا تحتوي على ما يسمى (بالكلمات الأساسية أو التنظيمية) الموجودة الآن في إنجيل لوقا (٢٢/١٧-١٩)، كما أن الجمل الاثنى عشر الأخيرة من الفصل السادس عشر من إنجيل مرقس لم توجد في المخطوطات اليونانية القديمة، وأن ما يدعى (بصلاة الرب) (متّى ٦/٩ ، لوقا ١١/٢) ليست معروفة لدى مؤلفي الإنجيل الثاني (مرقس) والرابع (يوحنا) ، وفي الحقيقة إن الكثير من التعاليم الهامة التي قد توجد في أحد الأناجيل لم تكن معروفة لدى الكنيسة التي لم تكن تملك ذلك الإنجيل وبالتالي لم تتحقق الوحدة في طرق العبادة وفي الانضباط والسلطة والعقيدة وفي الوصايا والقوانين لدى الكنيسة الأولى ناهيك عن أن الوحدة في هذه الأمور لم تتحقق حتى أيامنا هذه .

والخلاصة أن الكتب اليهودية المقدسة كانت بمثابة الإنجيل للنصارى في عهد الحواريين بالإضافة إلى الإنجيل المتضمن الوحي الحقيقي الذي أنزل على سيدنا عيسى والذي كان جوهره مطابقًا لأنشودة الملائكة عن الإسلام والرسول الملقّب بأحمد (محمد) ﷺ .

إن الرسالة المحددة التي بعث بها المسيح كانت هداية اليهود وإعادتهم عن ضلالهم وانحرافهم وتصحيح اعتقادهم الخاطئ عن مسيح منحدر من سلالة داود ولإقناعهم بأن ملكوت الله على الأرض الذي كانوا ينتظرونه لم يكن ليأتي بوساطة مخلّص من سلالة داود ولكن من نسل إسماعيل واسمه أحمد وهو الاسم الصحيح المطابق للاسم الذي نصّت عليه الأناجيل اليونانية بصيغة يودوكسُوس "Eudoxox" وبركليتوس "Periqlytos" (وليس باراكليت "Paraclete" كما شوهته الكنائس) .

غير أن موضوع الـ بيريكليتوس "Periqlytos" سوف يكون واحدًا من أكثر الأبحاث أهمية فى سلسلة هذه المقالات (الفصل ١٨). ومهما تكن أهمية الـ باراكليت "Paraclete" الذى ابتكرته الكنائس (انظر يوحنا ١٤/١٦، ٢٦) (١٥/٢٦) ، (١٦/٧) والأصل الصحيح لتلك الكلمة فإن الحقيقة تشهد أن عيسى خلّف بعده ديانة ناقصة من المفترض أن تكتمل بعده بواسطة من أطلق عليه يوحنا (أوبى سوبرا) ووصفه (لوقا ٢٤/٤٩) (بالروح). هذه (الروح) ليست ولم تكن إلهًا ولا ثالث ثلاثة لكنها روح (أحمد) الطاهرة التى وجدت مع أرواح الأنبياء الآخرين فى الجنة (إنجيل برنابا) ، فإذا كانت روح المسيح بشهادة الحوارى يوحنا (يوحنا ١٧/٥) قد وجدت قبل أن يُخلق رجلاً فإن روح محمد قد وجدت أيضًا قبل خلقه رجلاً بشهادة حوارى آخر هو برنابا وسوف أبحث هذه النقطة فى الحلقة التالية . غير أنى الآن أوجه السؤال التالى إلى جميع الكنائس المسيحية : هل كان الإنجيل الرابع (يوحنا) موجودًا لدى جميع الكنائس المسيحية فى آسيا وإفريقيا وأوربا قبل انعقاد المجمع المسكونى فى نيقية بآسيا الصغرى عام ٣٢٥م؟ فإذا كان الجواب نعم فالرجاء إبراز براهينكم، وإذا كان الجواب بالنفى عندئذ يجب الاعتراف أن قسمًا كبيرًا من النصارى لم يكن يعرف شيئاً عن الباركليت "Paraclete" المذكور فى الإنجيل الرابع، فالباراكليت كلمة مبهمة لا تعنى (المعزّى) ولا (الوسيط) ولا أى شىء آخر كل ذلك يشكل اتهامات خطيرة جدًا ضد الكنيسة .

ونعود إلى الموضوع. إن (البشيتا) ترجمة الكلمة اليونانية (يودوكيا) (التى يلفظها اليونانيون أو إيفدوكيا) إلى (سوبرا تابا) (وتلفظ سوفرا تافا)، وهى تعنى (الأمل الطيب) أو (التوقع الطيب) فى حين أن الترجمة اللاتينية Vulgate ترجمت (يودوكيا) إلى (بونافولانتاس) Bona Voluntas أى (النية الحسنة) .

ومع أن الترجمتين لهما أساس بسيط جدًا من الصحة إلا أن ذلك لا يبرر ترجمتهما إلى كل من السريانية واللاتينية على هذا النحو وإنى أتحدى جميع علماء اليونان أن ينقضوا قولى بأن مترجمى النصين السريانى واللاتينى قد ارتكبوا غلطة هائلة فى تفسير (يودوكيا) ، وأنا لا أتهم

المترجمين بأنهم حرفوا هذا التعبير اليوناني عمداً فمن المحتمل أنهم لم يدركوا المعنى التنبؤى الصحيح للكلمة السامية الأصلية التى اشتقت منها كلمة (يودوكيا) اليونانية .

إن المعنى الصحيح والحرفى المطابق لعبارة (الأمل الطيب) باللغة اليونانية ليس (يودوكيا) بل هو euelpis أو euelpistia وهى تلفظ (إيفلبستيا) ، أما التعبير الدقيق والصحيح المطابق للتعبير اللاتيني (بونا فولانتاس) أو (النية الحسنة أو الطيبة) باللسان اليونانى فهو بالتأكيد ليس (يودوكيا) ولكن (يوثيليما) euthelyma .

١ - الأصل اللغوى لكلمة يودوكيا Eudokia :

وعندمت نبحث عن المعنى الحقيقى لكلمة يودوكيا Eudokia نرى أن مقطع (Eu) الذى يسبقها يعنى : (جيد ، حسن، أكثر، والأكثر) كما هو فى يودوكيميو Eudokimeo أى المحترم، المقبول، المحبوب، وكذلك صاحب المجد ، وفى كلمة يودوكيميوس Eudokimos التى تعنى عظيم الاحترام ، ذائع الصيت والمجد ، وكلمة يودوكسوس Eudoxos التى تعنى ذا الشهرة الواسعة والمجد وكلمة يودوكسيا Eudoxia ومعناها: مشهور ومعروف . أما مقطع دوكسا doxa المستعمل فى الأسماء المركبة مثل : (doxology, or-thodox) فهو مشتق من الفعل دوكيو Dokeo . وإن كل من يدرس الأدب الإنجليزى يعرف أن كلمة دوكسا doxa تعنى المجد ، الشرف ، الشهرة، كما أن هناك تعابير عديدة فى الأدب الكلاسيكى الإغريقى تستعمل كلمة دوكسا doxa لتشير إلى المجد ، مثلا : (Peridoxis makheshai) تعنى (أن يحارب من أجل المجد). ومع أننى على علم بأن كلمة (doxa – دوكسا) تستخدم فى أحيان نادرة للتعبير عن : (ا) الرأى أو المعتقد. (ب) المبدأ والمذهب. (ج) التوقع أو الأمل. لكن معناها العام هو (المجد) وفى الحقيقة أن القسم الأول من أنشودة الملائكة يبدأ بـ«دوكسا (المجد) لله فى الأعالى » .

إن القاموس اليونانى – فرنسى (الذى نشر فى باريس (R. C. Alex-andre) عام ١٨٤٦ م يعطى كلما يودوكيا Edokia معنى (لطيف، محسن ، ودمث) كما يقدم المؤلف كلمة دوكيو Dokeo على أنها أصل كلمة doxa دوكسا بمختلف معانيها التى ذكرت أعلاه . وبينما أجمع يونانيو

القسطنطينية الذين تعرفت إلى عدد كبير من الأساتذة منهم علمًا أنهم يفهمون من يودوكيا Edokia معنى (السرور، المحبة، الرضى، والرغبة) إلا أنهم يقولون أيضًا معناها الأصلي هو (الشهرة، المعرفة، والشرف) .

٢ – الأصل اللغوى للكلمات اليهودية (مَحْمَدْ) و (حِمْدَه) ومعانيهما :

إن السبيل الوحيد لفهم الكتاب المقدس هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية، عندئذٍ فقط يمكن فهم الوحى الإلهى وعندئذٍ فقط يمكن الكشف عن الزيف والخداع والتحريف فى أوضح مظاهرها. ومن وجهة النظر هذه فإننى أرى فى الكلمة اليونانية يودوكيا Edokia اتفاقًا عجيبًا فى معناها الصحيح والحرفى مع الكلمات العبرية (مَحْمَدْ ، مَحَمُد ، حِمْدَه ، حِمِدْ) التى تستعمل بصورة متكررة فى العهد القديم .

(ا) (حَمَدْ) : يتألف هذا الفعل من الحروف الساكنة السامية (ح م د) وحيثما جاءت هذه الحروف فى الكتابات المقدسة اليهودية فإنها تعنى (يحب ، يشتاق ، ويرغب) هذا هو بالضبط معنى الفعل حَمَدْ فى المخطوطات العبرية ، وقد ورد فى إحدى الوصايا العشر من التوراة ما يلى : (لو تحمُد إش رايخه) أى **(لا تشته زوجة جارك)** (سفر الخروج ٢٠/١٧).

(ب) حِمِدْ بالمذكر ، وحِمْدَه بالمؤنث يدلان على الرغبة ، الرضى ، البهجة ، التلهف ، والجمال) (حجى ٢/٧ وإرميا ٢٥/٣٤ إلخ) .

(جـ) محْمَدْ ، مَحَمُدْ (مراثى إرميا ١/٧، ١٠–٢/٤) :

هاتان الصيغتان مشتقتان من الفعل حَمَدْ ومعناها : (المرغوب فيه جدًا، البهيج، الرائع، اللطيف، الجذاب، القيّم، المحبوب) . وليس هناك ذرة من الشك بأن الصيغة العربية (مُحَمّدْ) والعبرية (مَحْمَدْ) و (مَحَمُدْ) كلها مشتقة من ذات الأصل والجذر رغم الفروق البسيطة فى التشكيل وقد أوردت معانى الصيغ العبرية كما فهمها اليهود ومؤلفوا المعاجم .

(د) نلاحظ إذًا أن الكلمة اليونانية يودوكيا تعطى حرفيًا معنى الاسم العبرى حِمْدَه وبالمقابل فإن الكلمة المماثلة فى اليونانية لكلمة (مَحَمُدْ) لا يمكن إلا أن تكون يودوكسوس Eudoxox وهى بمعنى : الشىء الذى يتاق إليه والمتطلّع إليه، واللّطيف والبهيج ، والنفيس والمحبوب ، والمحترم .

٣ - إنها معجزة فريدة فى تاريخ الأديان أن يُطلق اسم مُحَمّد لأول مرة من بين جميع البشر على نجل عبد الله وآمنة .

ولا يمكن أن تكون هناك حيلة أو زيف أو تزوير فى ذلك لأن والديه وأقرباءه كانوا وثنيين لم يعلموا شيئًا عن التنبوءات فى الكتب العبرية والمسيحية عن النبى العظيم المقدّر له أن يأتى لكى يعيد ويقيم دين الإسلام. وإن اختيار عبد الله وآمنة لاسم (محمد) أو (أحمد) لا يمكن تفسيره بأنه كان مصادفة أو حدثًا عارضًا. لقد كان الأمر بلا ريب إعجازاً يتعلق بالإلهام الإلهى .

إن الاسم المبنى للمجهول للفعل (حُمّدَ) فى العربية هو (مُحَمّد) ويقابل ذلك فى العبرية (مَحْمَدْ) أو (مَحَمُدْ) ، وليس هنالك أدنى شك فى التطابق والتشابه بين الصيغتين .

لقد عرضت بكل أمانة معنى الصيغ العبرية كما قدمها كتّاب المعجم والمترجمون وتبين أن المعنى الجوهرى والروحى لكلمتى حِمْدَه ومَحَمُدْ هو : الثناء والمستحق للثناء ، المجد والمجيد . فمن بين كل المخلوقات من يمكن أن يكون الأكثر مجدًا وحسن ثناء غير ذلك الذى يحبه ويتطلع إليه الناس؟ ومن منطلق هذا المعنى الواقعى استعمل القرآن كلمة (الحمدُ) والتى يشتق منها (أحمد ومحمد)، وكلمة حَمْدَ هى نفس الكلمة العبرية حِمِدْ . وقد أوضح دانيال (سفر دانيال الفصل ٧) أن مجد (مُحَمّد) يتفوق على مجد كل مخلوق آخر لأن الشرف والمجد الأكبر قد منحه الله إلى أعظم أنبيائه بتكليفه إقامة دين الله وتصحيح مفاهيمه تحت اسم (الإسلام) الذى يعنى : السلام والأمان والسلامة والاطمئنان والخلاص، وكذلك الخير فى مقابل الشر، ناهيك عن الخضوع والإذعان لمشيئة الله تعالى .

لقد كانت الرؤيا التى شاهدها الرعاة بمناسبة ميلاد سيدنا المسيح ذات توقيت رائع لأنه ولد فى تلك الليلة رسول عظيم من رسل الله المبشرين بالإسلام . لقد كان المسيح هو المبشر بملكوت الله على الأرض كما كان إنجيله تمهيدًا للقرآن وبداية لعصر جديد فى تاريخ الأديان والأخلاق .

إن عيسى نفسه لم يكن (مَحْمَدْ) المقدر له أن يأتى فيما بعد لتحطيم مملكة الشر والوثنية فى الأراضى الموعودة. إذ كانت القوة الرومانية الجبارة فى عهده ما تزال تنمو وتتوسع وكان مقدرًا للقدس مع هيكلها الرائع أن تُدمّر على يديها بعد مجىء المسيح، لقد جاء عيسى المسيح إلى قومه ولكنهم رفضوه وأعرضوا عنه، وأما الذين آمنوا به فقد جُعلوا (أبناء المملكة) وتشتّت الباقون فى الأرض ، وتبع ذلك الاضطهادات العشرة الرهيبة تحت حكم أباطرة الرومان العشرة الأوائل ثم جاء الإمبراطور قسطنطين الكبير فثّبت عقيدة الثالوث وقضى على النصارى الموحدين، ثم كانت بعثة محمد عليه السلام الذى لم يكن إلهًا أو ابن إله ولكنه كان النبى الموعود الذى تحققت فيه فعليًا كل الصفات التى يعنيها اسمه فقد كان محمد ابن الإنسان المنتظر (البارناشا) الأحمد الجدير بالثناء الذى جاء وقضى على الوحش الكبير .

وهكذا تكون الأنشودة الملائكية فى معناها الحقيقى كما يلى :

المجد والحمد لله فى الأعالى

أوشك أن يجىء الإسلام للأرض

يقدمه للناس أحمد .

الفصل الثالث عشر

يحيى المعمدانى يعلن عن نبى قوى

كان يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) ، حسب روايات الحواريين الأربعة، ابن خالة عيسى وكان معاصرًا له إذ ولد قبله بستة أشهر. ولا يذكر القرآن شيئًا عن حياة هذا النبي سوى أن الله أوحى لزكريا أنه سيُنجب ولدًا اسمه يحيى : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾

(سورة مريم ٧)،

وسيكون شريفًا طاهرًا مصدقًا لكلمة الله ومن الأنبياء الصالحين :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

(سورة آل عمران ٣٩) .

كان يحيى من الناصرة عاش فى البرية يأكل الجراد والعسل البرى ويرتدى كساء من وبر الجمال ويُعتقد أنه كان من طائفة دينية يهودية تسمى الأسينيين (Essenes) الذين ظهر منهم النصارى الأوائل (الإبيونيون Ebionites) وكانوا يمتازون بالانصراف عن الملذات الدنيوية ، والواقع أن الوصف القرآنى لهذا النبى بكونه ﴿ **حَصُورًا** ﴾ تدل على أنه عاش حياته عازبًا . ولم يكن معروفًا فى باكورة شبابه حتى بلغ نحو الثلاثين من عمره حين بدأت بعثته وأخذ يدعو الناس للتوبة وصار يعمّد اليهود التائبين فى نهر الأردن، وانطلقت الجماهير إلى برية يهودا لسماع مواعظه البليغة وصار يوبّخ الفريسيين Pharisees والقُسُس المتعصبين وأنذر الصدوقيين Saducees المتعلمين الفلاسفة بالكارثة المقبلة وأعلن أنه كان يعمّدهم بالماء كرمز لتطهير القلوب

بالتوبة ولكن نبيًا آخر قادمًا بعده سوف يعمّدهم بالروح القدس والنار وسوف يجمع القمح إلى مخزنه ويحرق القش بنار لا تخمد . كما أعلن أن القادم بعده سيكون أعلى منه مكانةً من حيث السلطة والكرامة لدرجة أن يحيى قال عن نفسه أنه : **(لا يستحق شرفَ الانحناء وحلّ رباط حذاء ذلك النبى)** (متّى ٣/١١) .

وحسب رواية مرقص ولوقا فإن عيسى كان من جملة الذين تعمّدوا فى ماء الأردن على يد يحيى كأىّ شخص آخر (مرقص ١/٩) و (لوقا ٣/٢١) ، أما متى فإنه يُضيف إلى روايتىْ مرقص ولوقا أن يحيى قال لعيسى **(إننى بحاجة لأن أعَمّد على يديك فهل جئت أنت إلى ؟)** (متّى ٣/١٤) ويقال أن عيسى أجاب بقوله : **(دعنا نحقق الاستقامة)** ثم تعمد على يد يحيى .

أما كاتب الإنجيل الرابع فهو لا يعرف شيئًا عن تعميد عيسى على يد يحيى ولكنه يقول لنا : إن يحيى عندما رأى عيسى صاح قائلاً : **(انظروا هذا حَمَلُ الله .... الخ)** (يوحنا ١/٢٩). ويدّعى هذا الإنجيل أن (أندراوس) كان تلميذاً ليحيى ثم بعد ذلك هجر معلمه يحيى وأحضر أخاه سمعان بطرس (الصفا) إلى عيسى (يوحنا ١) وهى قصة تناقض بشكل فاضح أقوال الإنجيلين الآخرين (متّى ٤/١٨-١٩) و (مرقص ١/١٦-١٨) . أما القديس لوقا فيذكر أن عيسى كان يعرف (سمعان بطرس) قبل أن يصبح حواريًا (لوقا ٤/٣٨-٣٩) . ويضيف لوقا أن عيسى أضاف أولاد يونس وزبدى إلى مجموعة تلاميذه (لوقا ٦/١-١١) الأمر الذى لم يرد فى كتابات بقية الحواريين .

كما يذكر الإنجيل الرابع أن يحيى لم يتعرف على شخصية عيسى إلا بعد أن نزلت عليه روح كالحمامة بعد أن تعمّد (يوحنا ١) بينما يقول لنا لوقا إن يحيى عندما كان جنينًا فى رحم أمه كان يعرف عيسى ويعبده **(وذلك عندما كان عيسى بدوره جنينًا أصغر فى رحم مريم)** (لوقا ١/٤٤) ، ثم يقال لنا ثانيةً أن يحيى عندما أودع فى السجن حيث استشهد لم يكن على علم بالطبيعة الحقيقية لرسالة عيسى (متّى ١١/٢-٣) .

وهكذا فإن الأناجيل الأربعة للكنائس التثليثية تحتوى على العديد من الأقوال المتضاربة حول عيسى ويحيى عليهما السلام .

وقد وردت إشارة مبهمة فى الأسئلة التى وجّهت إلى النبى يحيى من قبل الكهنة واللاويين ، فقد سألوه ثلاثة أسئلة على التوالى **(هل أنت المسيح ؟ هل أنت إيليا؟ هل أنت ذلك النبى؟)** وعندما أجابهم على كل سؤال بالنفى قالوا له : **(إذا لم تكن المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبى ، إذن فلماذا تُعَمِّد؟)** (يوحنا ١/١٩-٢٥) وهكذا فإنه حسب الإنجيل الرابع لم يكن يحيى المعمدان هو المسيح ولا إيليا ولا ذلك النبى ، وإننى أسأل الكنائس المسيحية التى تؤمن أن مُلهم جميع هذه الأقوال المتضاربة هو الروح القدس ، أى ثالث الآلهة الثلاثة ، مَن يعنى أولئك الأحبار اليهود واللاويون بقولهم (وذلك النبى ؟) فإذا كانت الكنائس تدعى عدم معرفتهم (بذلك النبى) فما هى الفائدة من هذه الأناجيل المحرفة المشكوك فيها ؟ أما إذا كانت الكنائس تعرف من هو (ذلك النبى) فلماذا تبقى صامتة ؟ .

لقد ذكر النص أعلاه صراحة أن يحيى قال أنّهُ لم يكن ذلك النبى ، بينما يُروى أن عيسى قال **(لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى)** (متّى ١١/١١) فهل قال عيسى ذلك حقيقة ؟ هل كان يحيى أعظم من إبراهيم وموسى وداود وعيسى نفسه؟ وإذا كانت هذه الشهادة من عيسى عن يحيى بن زكريا صحيحة فإن عظمة **(آكل الجراد فى البريّة)** اقتصرت على نكرانه المطلق لذاته وعزوفه عن الدنيا بكافة ملذاتها ومباهجها ورغبته الشديدة فى دعوة الناس إلى التوبة وبشارته السارة عن (ذلك النبى) .

أم أن عظمته نتجت عن كونه ابن خالة عيسى وشاهداً عليه ؟ إن قيمة وعظمة أى رجل أو نبى تقدر بأعماله وإنجازاته ولم يصل إلى علمنا عدد الأشخاص الذين اهتدوا من خلال مواعظ يحيى وتعميده، كما أن أثر تلك الهداية على موقف وسلوك اليهود التائبين (على فرض وجودهم) تجاه عيسى المسيح لم يكن ذى بال .

وفى مكان آخر يروى أن المسيح أعلن أن يحيى المعمدان كان النبى إيليا نفسه (متّى ١١/١٤ ، و ١٧/١٢) أو أنه تجسداً جديداً للنبى إيليا (لوقا ١/١٧) فى حين صرح يحيى للوفد اليهودى إنه لم يكن إيليا ولا المسيح ولا ذلك النبى (يوحنا ١/١٩-٢٥) .

فماذا يستنتج المرء من هذه الأناجيل الحافلة بالمتناقضات؟ وهل يستطيع معرفة الحقيقة منها؟ إن التهمة خطيرة جدّا لأن الأشخاص المعنيين اثنان من الأنبياء خُلقا فى رحميْ أميهما على يد الروح وكانت ولادة كل منهما معجزة ، أحدهما ميلاد بدون أب والثانى ولد من أبوين عقيمين عجوزين فى التسعينات من عمريْهما والأخطر من ذلك أن رواة هذه القصص هم الحواريون الذين يُزعم أنه يُوحى إليهم من الروح القدس وأن ما دوّنوه هو الوحى ! ومع ذلك فهنالك أكذوبة أو تزييف فى مكان ما ، فالمفروض أن إيليا (أو إلياس) يجىء قبل (ذلك النبى) (ملاخى ٤/٥-٦) ويقول عيسى **(يحيى هو إيليا)** ، ويقول يحيى **(أنا لست إيليا)** . كل هذه المتناقضات وردت فى الكتاب المقدس عند النصارى ! .

فمن المستحيل إذاً الوصول إلى الحقيقة والدين الحق من هذه الأناجيل إلا إذا قرئت من وجهة نظر إسلامية عندئذٍ فقط يمكن استخلاص الصدق من الكذب وتمييز الحقيقى عن الزائف. ولا يمكن غربلة الأناجيل وتمييز الغث من الثمين فيها إلا بمقياس الإسلام وعقيدته. وقبل أن أثبت أن النبى الذى تنبأ عنه يحيى (متّى ٣/١١) لا يمكن أن يكون سوى محمد فإننى ألفت انتباه قرائى إلى نقطتين هامتين أخريين :

١- يكنّ المسلمون أعظم الاحترام لجميع الأنبياء ولا سيما أولئك الذين وردت أسماؤهم فى القرآن مثل يحيى وعيسى، ويؤمنون أن الحواريين كانوا رجالاً أبرارًا مطهّرين. ورغم أن كتاباتهم الأصلية ليست موجودة فإن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا أن أيّا منهم يمكن أن يناقض الآخر. وهناك أمر آخر جدير بالملاحظة وهو الصمت الغريب من قبل إنجيل برنابا عن يحيى المعمدان ، هذا الإنجيل لا يذكر اسم يحيى قط وينسب النبوءة عن (النبى الأقوى) إلى عيسى المسيح ، كما يذكر أن عيسى قال عن روح محمد أنها خلقت قبل أرواح الأنبياء الآخرين وأخبر أنها على درجة من المجد والرفعة بحيث أنه عندما يأتى (ذلك النبى) فإن عيسى سوف يعتبر نفسه غير جدير بالانحناء وحَل رباط حذائه .

٢ - اعتاد يحيى فى البرية أثناء مواعظه للجماهير أن يصرخ بصوت عالٍ ويقول : **(أنا أعمّدكم بالماء للتوبة وغفران الخطايا ، ولكن هناك**

شخص قادم بعدى أقوى منى لدرجة أننى لا أستحق حل رباط حذائه ، وهو سيعمدكم بالروح والنار) (متّى ٣/١١) هذه الكلمات رويت بصور مختلفة فى الأناجيل ولكن بنفس المعنى، مما يدلّ على أكبر قدر من الاحترام والتقدير للشخصية القوية ذات الكرامة الرفيعة التى يتمتع بها النبى القوى المتنبأ عنه . وهذه الكلمات الصادرة عن يحيى المعمدان تصف الأسلوب الشرقى فى استضافة وتكريم الضيف عند دخوله منزل مضيفه حيث يسارع المضيف أو أحد أفراد عائلته لخلع حذاء ضيفه ومرافقته إلى مجلس مريح. وعندما يغادر الضيف يتكرر التكريم حيث ينحنى المضيف ثانية لعقد رباط الحذاء .

والذى قصده يحيى المعمدان من قوله أنه لو قدر له أن يقابل ذلك النبى العظيم فإنه سوف يعتبر نفسه غير جدير بشرف الانحناء وحل رباط حذائه، ومن هذا الولاء الذى قدمه يحيى سلفًا يبدو أن النبى الذى بشر بقدومه كان معروفًا لدى كافة الأنبياء بأنه سيدهم وسلطانهم وكبيرهم وإلا لما قال نبى من أنبياء الله - مثل سيدنا يحيى - هذا القول المتواضع .

والآن لتحديد هوية (ذلك النبى) نقسّم البحث إلى جزئين :

(ا) النبى الذى جرى التنبؤ عنه لم يكن عيسى المسيح .

(ب) النبى الذى جرى التنبؤ عنه هو محمد بالذات .

اعتبرت الكنائس النصرانية يحيى المعمدان تابعًا لعيسى ومبعوثًا له وهكذا فإن المفسّرين والمعلّقين النصارى يظهرون عيسى وكأنه المقصود بنبوءة يحيى . ومع أن المزيفين شوهوا نصوص الأناجيل فى ذلك الاتجاه إلا أن الزيف لا يمكن أن يخفى عن فكر القارئ المحايد، إن عيسى لا يمكن أن يكون موضوع نبوءة يحيى للأسباب التالية :

١ - إن كلمة (بعدى) تستبعد عيسى أصلاً لأن عيسى ويحيى ولدا فى سنة واحدة وعاصر أحدهما الآخر، يقول يحيى **(إن ذلك الآتى بعدى أقوى منى)** وكلمة (بعدى) هذه تدل على مستقبل غير محدد وبلغة النبوءة فهى تعبّر عن دورة أو أكثر من دورات الزمن. ومن المعروف جيدًا لدى المتصوفة أنه فى كل دورة زمنية تقدر بنحو خمسة أو ستة قرون يظهر نبى لامع يمتد

أثره في أنحاء العالم وتدوم إصلاحاته عدة أجيال إلى أن يحين ظهور نبى آخر . وهكذا فقد ترصّع تاريخ الدين الحق من إبراهيم إلى محمد بأسماء بارزة منها إبراهيم وموسى وداود وزوربابل وعيسى ومحمد. وجد يحيى أمته تعانى من حكم الإمبراطورية الرومانية وملوك* اليهود الأشرار ، وشاهد رجال الدين الفاسدين يضللون الشعب اليهودى ويفسدون الكتب المقدسة ويروجون الأساطير الخرافية حتى فقد اليهود كل أمل إلا أملهم بأن أباهم الأكبر إبراهيم سيخلصهم ، فقال لهم يحيى إنهم لا يستحقون أبًا مثل إبراهيم وإن الله قادر على إنهاض سلالة لإبراهيم من الحجارة (متّى ٣/٩) . وكان اليهود آنئذٍ (كما هم اليوم) ينتظرون مسيحًا من سلالة داود ليأتى ويعيد لهم مملكة داود فى القدس. وعندما وجه الوفد اليهودى السؤال إلى يحيى : **(هل أنت المسيح ؟)** أجاب يحيى بالنفى على هذا السؤال وما تلاه من أسئلتهم (يوحنا ١/٢٠-٢١) .

وإذا أهملنا المبالغات الواضحة التى أضيفت إلى الأناجيل فمن المؤكد أن يحيى قدم عيسى إلى الجماهير على أنه المسيح الحقيقى ونصح الناس بطاعته واتباع تعليماته وإنجيله، كما أخبرهم أن هنالك نجمًا أخيرًا ، من العظمة عند الله وفى الدنيا ، بحيث أن يحيى لا يستحق حل رباط حذائه.

٢ - لو كان عيسى المسيح هو المقصود بعبارة يحيى فالمفروض أن يلتحق يحيى بعيسى ويخضع له كتلميذٍ وتابعٍ، ولكنه لم يفعل ذلك بل على العكس نجده يعظ ويعَمّد ويستقبل التلاميذ ويوبّخ الملك هيردوس ويقرع الطبقات الحاكمة اليهودية ويتنبأ بمجيء نبى آخر أقوى منه دون أن يعير أدنى التفات لوجود ابن خالته عيسى فى يهودا أو الجليل .

٣ - لقد جعلت الكنائس النصرانية من عيسى المسيح إلهًا أو ابن إله رغم كونه مختونًا مثل كل الإسرائيليين ومعمّدًا على يد النبى يحيى مثل اليهود العاديين مما يثبت عكس ذلك، والكلمات التى قيل أنه جرى تبادلها بين يحيى وعيسى فى نهر الأردن تبدو تحريفًا وابتذالاً واضحًا فلو كان عيسى حقيقة هو الشخص الذى تنبأ به يحيى على أنه (أقوى) منه لدرجة أنه لم يكن أهلاً للانحناء وحل رباط حذائه وأنه (سوف يعمدُ بالروح والنار) لو كان الأمر كذلك لما كان هناك أى معنى لتعميد عيسى فى النهر كأى

يهودى آخر على يد شخص أقل منه ، أما التعبير المنسوب لعيسى **(يجدر بنا أن نحقق كل العدالة)** فهو غير مفهوم بتاتًا فلماذا تتحقق كل العدالة لمجرد تعميد عيسى؟ هذا التعبير تحريف وتشويه واضح ومتعمد . ومن وجهة نظر إسلامية فإن المعنى الوحيد لهذا التعبير أن يحيى أدرك الطابع التنبؤى لعيسى واعْتقد لأول وهلة أنه النبى العظيم خاتم رسل الله وبالتالى أحجم عن تعميده ولكن حينما أخبره عيسى بهويته الحقيقية وافق يحيى على تعميده .

٤ – عندما كان يحيى فى السجن أرسل تلاميذه إلى عيسى يسألونه : **(هل أنت النبى الموعود؟ أم ننتظر واحدًا غيرك ؟)** (متّى ١١/٣) مما يظهر بجلاء أن يحيى لم يكتشف نبوءة عيسى إلا بعد أن سمع عن معجزاته وهو فى السجن، وهذه الشهادة من متّى تناقض الإنجيل الرابع (يوحنا ١/٢٩) الذى يدّعى أن يحيى عندما رأى عيسى قال : **(انظروا حَمَل الله الذى يمسح (أو يتحمل) خطيئة العالم)** ، كما يبدو أن كاتب الإنجيل الرابع لم يعرف شيئاً عن استشهاد يحيى.(متّى ١٤/١٠–١٢ ، مرقص ٦/١٤–٢٩) .

ومن وجهة نظر إسلامية بجتة فإنه يستحيل على نبى كيحيى أو أى نبى آخر أن يستخدم تعبيرًا إلحاديًا كهذا عن عيسى المسيح. لقد كان لب رسالة يحيى الحضّ على التوبة بمعنى إن كل شخص مسؤول عن خطيئته وعليه أن يتحمل وزرها أو أن يمحوها بالتوبة. فالمعمودية كانت عبارة عن وضوء يرمز إلى طرح الخطايا بالإضافة إلى الإقرار بالذنوب وتعويض من تضرر بها أو طلب السماح منه والعزم على عدم ارتكاب الذنوب ثانية. ولو كان عيسى (حَمَل الله) الذى يمسح خطايا العالم لكان وعظ يحيى بالتالى سخيفًا وعديم الجدوى. إن الخطأ الذى شوه دين الكنائس هو نظرية التضحية التى تتم نيابة عن الآخرين وهى نظرية سخيفة، فهل مسح (حَمَل الله) خطايا العالم ؟ إن صفحات التاريخ الكنسى المظلمة ستجيب على ذلك السؤال بالنفى القاطع و (الحُمْلان) فى مقصورات الاعتراف يخبرون أن النصارى – رغم علمهم وحضارتهم – يرتكبون من الخطايا وأعمال القتل والسرقة والانغماس فى الشهوات والزنا والحروب والمظالم وحب المال ما هو أشد هولاً مما ترتكبه بقية البشرية جمعاء .

٥ - إن يحيى المعمدان لا يمكن أن يكون السلف المبشر بعيسى على النحو الذى تفسره الكنائس فالأناجيل تقدمه لنا على أنه **(صوتٌ يصرخ فى البريّة)** كتحقيق لعبارة جاءت فى (سفر إشعيا ٤٠/٣) ، وكممهد لبعثة عيسى المسيح استنادًا إلى قول النبى ملاخى (ملاخى ٣/١) ولو كانت مهمة يحيى إعداد الطريق لعيسى الذى سيجىء فجأة إلى هيكله فاتحًا منتصرًا حيث يقيم دين (السلام) ويجعل القدس بهيكلها أكثر مجدًا من ذى قبل (حجّى ٢/٧-٩) فإن تلك المهمة قد لاقت الفشل الذريع والإحباط الكامل فبدلاً من أن يستقبل يحيى أميره مظفرًا فى القدس عند بوابة الهيكل بين جموع اليهود فإن يحيى يستقبله عاريًا مثله فى نهر الأردن ثم يقدم سيده بعد تغطيسه فى الماء إلى الجماهير بقوله : **(هذا هو ابن الله)** أو فى مكان آخر **(انظروا حَمَل الله)** مما يعنى تحقيرًا لشعب إسرائيل أو الكفر أو السخرية من عيسى، أو يعنى كل هذه الأمور معًا ، او أنه يجعل من نفسه أضحوكة .

لقد أساءت الكنائس فهم الطبيعة الحقيقية لرسالة يحيى والمعنى الحقيقى لمواعظه وسوف أبين فى الفصل التالى أن طبيعة رسالة يحيى من جهة ، وهدف بعثة المسيح إلى اليهود من جهة ثانية، أمران مختلفان تمامًا عمّا تحاول الكنائس اعتقاده .

الفصل الرابع عشر

محمد هو النبى الذى تنبأ به يحيى

هنالك ملاحظتان مهمتان جدًا أبداهما سيدنا عيسى المسيح عن يحيى المعمدان ولكنهما مسجلتان بطريقة غامضة .

أولها : هى التى يقول فيها أن يحيى هو تجسيد لإيليا المذكور فى العهد القديم ، ثم صَمْت عيسى الواضح عن هوية الشخص الذى كان يتوقع أن يعلن عنه إيليا ويقدمه للعالم على أنه آخر الأنبياء. كما أن كلام عيسى فى هذا الصدد غامض ومبهم جدًا فلو كان يحيى هو إيليا كما هو مذكور بوضوح فلماذا لا يذكر اسم الشخص المفترض أن يكون إيليا مبشرًا به ؟ وإذا كان عيسى هو ذلك الشخص أى (رسول العهد) و (الآمر) كما تترجم الترجمة اللاتينية Vulgate للكتاب المقدس كلمة (أودن) (ملاخى ٣/١) ، فلماذا لا يقول عيسى بصراحة **(إن يحيى هو إيليا الذى أرسل ليمهد لى الطريق)** وإذا لم يكن الأمر كذلك فالمفروض أنه قال بصراحة : **(إن يحيى هو إيليا الذى أرسل ليمهّد السبيل أمام محمّد)** ولكن هناك أيدٍ شيطانية تلاعبت بالنص وأزالت كلمات عيسى من الإنجيل الأصلى، والأناجيل الحالية هى المسؤولة عن هذا الغموض وعن تضليل بلايين النصارى لقرون عديدة، لأن أقل ما نتوقعه من سيدنا عيسى عليه السلام أن يذكر بوضوح من هو النبى الذى جاء يحيى ليبشّر به ونحن قطعًا لا يمكن أن ندعى أن عيسى كان غامضًا فى تعاليمه أو ننسب إليه حب الغموض ورغم ذلك هناك عدة أمثلة فى الأناجيل تضع على لسان عيسى أجوبة أو أقوالاً غير مفهومة البتة .

أما الملاحظة الثانية فهى مبطّنة بغموض أشد إذ يقول عيسى **(لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى المعمدان ، ولكن أقل من فى مملكة السماء أعظم**

شأنا من يحيى) (متّى ١١/١١) فهل قصد عيسى المسيح أن يحيى وجميع الأنبياء كانوا خارج مملكة السماء؟ ومن هو ذلك الأقل الذى كان أعظم من يحيى وبالتالى أعظم من كافة البشر الذى يعتبر يحيى أعظمهم ؟ فهل قصد عيسى نفسه بكلمة الأقل ؟ أمْ هو الأقل بين النصارى المعمّدين ؟ لايمكن أن يكون قَصَد نفسه لأن تلك المملكة لم تكن قد نشأت على الأرض فى زمنه وحتى لو كانت نشأت في عهده (وهو الشيء الذى لم يحدث) فإنه لا يمكن أن يكون هو الأقل فيها لأنه يُفترض أنه كان مؤسسها، ولذا فقد اكتشفت الكنائس حلاً سخيفًا جدًا لهذه المشكلة وذلك الحل هو أن أقل مسيحى مغسول بدم عيسى من خلال طقس المعمودية يصبح أعظم من يحيى ومن كل البشر بمن فيهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وإيليا ودانيال ! وسبب هذا الادعاء العجيب أن المسيحى مهما كان خاطئًا أو مجرمًا أو منحطًا فله حق التمتع بامتيازات لا حصر لها شريطة أن يؤمن بأن عيسى هو مخلّصه، ومن هذه الامتيازات التطهّر من الخطيئة الأصلية من خلال المعمودية ومعرفة الثالوث والأكل من لحم عيسى ودمه فى طقوس القربان المقدس ورسم إشارة الصليب ، وامتياز مفاتيح الجنة وجهنم الموضوعة تحت تصرف الكاهن الكبير ، والنشوة العارمة لطوائف البيوريتان والكويكرز والإخوان وبقية النِّحَل الأخرى التى تدعى هذه الامتيازات كل منها بطريقتها كما تدعى أن كل مسيحى جيد سوف يصبح يوم القيامة كعذراء طاهرة تقدم نفسها (لِحَمَل الله). هل يعقل أن يصدق النصارى أن (أقل) واحد منهم هو (أعظم) من كافة الأنبياء ؟ كيف يمكن الاعتقاد أنهم أعظم مكانة من آدم وحواء اللذين عاشوا مع الله فى الجنة قبل إخراجهما منها؟ ، أليس هذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الحصافة فى هذه الأيام المتميزة بالرقى وتقدم العلوم والعقول ؟

ومع ذلك فإن جميع هذه المعتقدات والمتناقضات منبثقة من العهد الجديد ومن الكلمات المنسوبة إلى سيدنا عيسى عليه السلام وحوارييه. ولكن ثمة شرارات متلألئة موجودة فى الأناجيل تكفينا – نحن المسلمين – لاكتشاف الحقيقة عن عيسى الحقيقي وابن خالته يحيى .

يحيى المعمدان تنبأ بمحمّد

١ – حسب شهادة عيسى لا يوجد ابن أنثى أعظم من يحيى ولكن (أقل) مَنْ في مملكة السماء أعظم من يحيى، إن المقارنة هى بين يحيى وجميع الأنبياء في مملكة السماء، وحسب الترتيب الزمنى فإن آخر الأنبياء هو أصغرهم جميعًا وكلمة (زعَيْرا) الآرامية مثل كلمة (صغير) العربية تعنى الصغير أو اليافع، وتستخدم نسخة الكتاب المقدس الآرامية (البشيتا) كلمة (زعيرا) مقابل كلمة (ربّا) التى تعنى الكبير أو كبير السن. إن كل نصرانى يعرف أن عيسى ليس آخر الأنبياء ولذلك لايمكن أن يكون أصغرهم إذ أنه بحسب سفر أعمال الرسل لم تقتصر هبة النبوة على الحواريين فقط ولكن كان هناك رجال صالحون كثيرون فى عصرهم تمتعوا بها أيضًا (سفر أعمال الرسل ١١/٢٧–٢٨، ١٣/١، ١٥/٣٢، ٢١/٩–١٠) . وبما أننا لا نستطيع أن نحدد الرسول الأخير من بين رسل الكنيسة الكثيرين فإننا مضطرون لأن نبحث عن نبى يكون الأخير قطعًا ويكون خاتم الأنبياء. هل نستطيع أن نتصور ما هو أقوى وأبلغ فى الدلالة على نبوءة محمد من تحقق بشارة المسيح المدهشة فى شخص محمد وحده دون غيره من الأنبياء ؟

إن محمدًا بلا شك هو الأصغر سنًا فى سلسلة الأنبياء ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم. وإن إنكار نبوة محمد هو إنكار لكل الوحى الإلهى وكافة الرسل الذين بشروا به لأن جميع الأنبياء معًا لم ينجزوا العمل الهائل الذى قام به نبى مكة وحده فى فترة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عامًا من بعثته النبوية .

إن لغز الوجود المسبق لأرواح الأنبياء لم يكشف لنا ولكن المسلم يؤمن به ، ويَروى إنجيل برنابا على لسان عيسى أن روح محمد خلقت قبل كل شئ .ومن هنا يقول يحيى عن النبى الذى بشر به : **(إن من يجيء بعدى قد خلِقَ قبلى لأنه كان قبلى)** . (يوحنا ١/١٥). ومن العبث تفسير هذه الكلمات المدهشة ليحيى عن محمد على أنها تشير إلى عيسى كما يحاول أن يفعل مؤلف الإنجيل الرابع .

٢ – إن ذلك التصريح الهام الذى أعلنه يحيى على الجماهير اليهودية والذى مفاده **(ذلك الذى يجيء بعدى)** يُذكّر اليهود بما فيهم النسّاخ

والفريسيين والقانونيين بالنبوءة القديمة التى قالها جدهم الأكبر يعقوب ، والذى استعمل صفة (شيلوه) بمعنى (رسول الله) وهى صفة كثيرًا ما وصف عيسى بها محمّدًا كما ورد فى إنجيل برنابا. وعند كتابة حلقتى السابقة عن (شايلوه) قلتُ: إن الكلمة قد تعنى تحريفًا لـ (شيلواح) والتى تعنى (رسول الله) وأضيف الآن أن القديس جيروم قد فهم الصيغة العبرية بذلك المعنى أيضًا لأنه ترجمها بعبارة (ذلك الذى أرسل). عندما أتخيّل النبى يحيى وهو يوجه مواعظه بصوت عال فى البرية أو على ضفاف الأردن إلى جماهير اليهود الذين وراءهم حوالى أربعة آلاف عام من التاريخ الدينى، ثم أستعرض الأسلوب الهادئ المنظم الرزين الذى كان يعلن فيه محمد الآيات السماوية من القرآن على العرب الجاهليين، ثم عندما أتفحص تأثير كل من هاتين الدعوتين فى ضوء النتيجة النهائية لكل منهما حينئذ أتفهّم ضخامة البعد الشاسع بينهما وأدرك أهمية الكلمات القائلة (إنه أقوى منى) .

وعندما أتخيّل قصة القبض على يحيى المعمدان الأعزل من قبل هيردوس أنتيباس[١] ثمّ قطع رأسه بصورة وحشية وعندما أتابع الروايات المضطربة والمأساوية لجلد عيسى (أو يهوذا الإسخريوطى) من قبل بيلاطس وتتويجه بتاج من الشوك على يد هيرودس وما تَبع ذلك فى كالفارى، وبالمقابل أتأمل الدخول المظفّر لسلطان الأنبياء إلى مكة وتدميره جميع الأصنام وتطهير الكعبة، ومنظر أعدائه المدحورين بقيادة أبى سفيان وهم على قدمى (الشيلواح) رسول الله المظفر يطلبون منه العفو والرحمة ويعلنون إيمانهم بالدين الجديد، وعندما أتأمل خطبة الوداع لخاتم الأنبياء ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ... ﴾ الآية ، عندئذٍ أفهم تمامًا معنى كلام يحيى حين قال : **(إنه أقوى منى)** .

٣ – (الغضب القادم) : من يستطيع أن يجد تفسيرًا معقولاً أو مقنعًا لهذه العبارة فى أى من الشروح العديدة للأناجيل ؟ ماذا يقصد يحيى أو

---

(١) ثمة خلط فى الأناجيل فى رواية استشهاد يحيى وفيما يتعلق بعائلة هيرودوس الكبير (متى ١٤ وغيره) وبإمكان القارئ الرجوع إلى (جوزيف فلافيوس) فى كتابه (An- tiquities) حول الموضوع . (المؤلف) .

ماذا يريد من مستمعيه أن يفهموا من تعبيره (**انظروا لقد وقعت البلطة على جذور الشجرة ؟**) أو عندما قال (**إنه يمسك المروحة بيده ليطهّر بيدره**) أو عندما مسخ لقب (**أبناء إبراهيم**) إلى لا شيء !

لن أثقل عليكم طويلاً فى عرض أوهام المفسرين لأنها أوهام خيالية لم يحلم بها يحيي ولا مستمعوه ، ولكن هل كان بإمكان يحيي أن يقنع الفريسيين المتغطرسين والصدوقيين العلمانيين الذين أنكروا القيامة الجسدية بغضب الله القادم وبنار جهنم التى سوف تحرقهم كالأشجار اليابسة ؟ إن نبى التوبة والبشارة لم يتحدث عن الغضب البعيد الذى لاشك أنه ينتظر الكفرة والفاسقين فى الآخرة ولكنه تحدث عن الكارثة الوشيكة للأمة اليهودية وقد هدد بغضب الله الذى ينتظر اليهود إذا ما استمروا فى خطاياهم ورفضهم لرسالته ورسالة عيسى المسيح. كانت الكارثة القادمة التى أشار إليها هى دمار القدس وتشتت بنى إسرائيل نهائيّا ، وهو ما حدث تمامًا بعد ذلك بثلاثين سنة خلال حياة كثير من الذين حضروا موعظة يحيى . لقد أعلن كل من يحيى وعيسى عن قدوم رسول الله العظيم الذى تنبأ به يعقوب وأنه عند قدومه سوف تُنزع السلطة والنبوءة من اليهود الأمر الذى تحقق بعد ستة قرون عندما قام محمد بتدمير آخر معاقلهم وأخرجهم من جزيرة العرب .

٤ – دأب اليهود والمسيحيون على اتهام النبى محمّد أنه أقام دين الإسلام بالقوة والإكراه ، ويحاول المسلمون دومًا دحض ذلك ولكن هذا لا يعنى أن محمدًا لم يستخدم القوة ولكنه اضطر لا ستخدامها للدفاع عن دين الله ذلك أن الفرصة التى تكرم الله بإعطائها لليهود وللعرب ولغير اليهود دامت أكثر من أربعة آلاف سنة ثم أرسل الله رسوله بعد هذه المدة ومعه السلطة والسيف والنار والروح لمجابهة الكفرة الأشرار وأبناء إبراهيم الجاحدين سواء كانوا من بنى إسماعيل أو بنى إسرائيل .

إن العهد القديم بكامله ليس سوى قصصًا عن الحكم الدينى مع قصص الارتداد إلى الوثنية وبين الحين والآخر كانت تلمع شرارة صغيرة للإسلام (أى دين الله) فى القدس ومكة . ولكنها كانت دومًا موضع اضطهاد قوى الشيطان فقد تعاقبت الوحوش الشيطانية الأربعة فى اضطهاد القلة المؤمنة

ثم جاء محمد ليسحق الأفعى السامّة ويعطيها اللقب الكريه وهو (إبليس) أى **(الشيطان المقهور)** ومن المؤكد أن محمدًا كان نبيّا محاربًا ولكن الهدف من حربه كان النصر لا الانتقام، وهزيمة العدو لا إبادته، وباختصار : إقامة دين الإسلام كمملكة الله على الأرض. والحقيقة أنه عندما نادى المنادى : **(مهدوا الطريق للسيد واجعلوا طرقه مستقيمة)** كان يشير إلى دين الله الذى سيتحقق على صورة مملكة يقترب موعدها.

لقد زال الزيف والأوثان أمام هدى محمد وانهارت الإمبراطوريات أمام سيفه وأصبح أبناء مملكة الله متساوين وشكلوا الجماعة المؤمنة التي تمثل «أولياء الله تعالى» ذلك أن المساواة بين البشر لا تتحقق إلا فى الإسلام حيث لا كهنوت ولا طقوس ولا طبقات والمؤمنون سواسية لا يتفاوتون إلا بالفضيلة والتقوى وفى ذلك فقط يمكن أن يتفوق بعضهم على بعض ، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى لا يعترف بأى وسيط بين الله والإنسان .

الفصل الخامس عشر

معمدانية يحيى وعيسى
ليست إلا نوعا من (صبغة الله)[1]

من المحزن أن الحواريين لم يتركوا لنا تفصيلاً من موعظة يحيى وعلى فرض أنهم فعلوا فإن الكنيسة قد أغفلتها إذن من المستحيل على أكثر المستمعين علمًا أن يفهموا العبارات الغامضة المنسوبة إلى يحيى والمحاطة بالألغاز فى شكلها الحالى، لقد طلب منه الكهنة والقضاة اليهود أن يشرح لهم أقواله فى عدة نقاط (يوحنا ١/١٩-٢٣ و ٥/٣٣) ولا شك أنه قد أوضح هذه النقاط الهامة لسامعيه ولم يتركهم ضحية للغموض لأنه كان **(الشمعة المحترقة المضيئة التى تشهد بالحق)** (يوحنا ٥/٣٣-٣٥) فماذا كانت من شهادته بالحق وماذا كانت الحقيقة التى شهد لها ؟ إن ما يزيد الأمر غموضًا هو اختلاف نصوص الأناجيل فيما يتعلق بهذا الموضوع ، فهل كانت شهادته عن شخص المسيح ؟ أم كانت عن رسول الله الذى تنبأ عنه يعقوب ؟ (سفر التكوين ٤٩/١٠) وماذا كانت النصوص الدقيقة لشهادته عن عيسى وعن نبى المستقبل الذى كان أعلى منه قدرًا ؟

فى فصل سابق برهنت بشكل حاسم أن النبى الذى تنبأ عنه يحيى لم يكن عيسى المسيح وأنا أعتقد دون تردد أن الحقيقة التى شهد بها يحيى كانت تتعلق بمحمد . فقد أعطى يحيى شهادتين : واحدة عن (شلّيها دا لله) ، وكان معناها باللهجة الفلسطينية الدارجة عندئذٍ (رسول الله) والأخرى كانت

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٨ : ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

عن عيسى الذى أعلن أنه ولد من الروح القدس وليس من أب بشرى وإنه المسيح الحقيقى الذى أرسله الله كآخر الأنبياء العظام من اليهود كى يمد شريعة موسى بروح جديدة وليبلغ اليهود أن خلاصهم متوقف على الخضوع لابن إسماعيل العظيم. ولكن كما فعل أجدادهم الذين أفسدوا كتابهم المقدس بالتحريف كذلك فعل يهود الكنيسة النصرانية فقد أفسدوا وحرفوا الإنجيل ولكن حتى هذا التحريف لم يستطع طمس الحقيقة .

إن قوة أمير رسل الله تنبثق من المعمودية بالروح القدس وبالنار، وقد اعترف مؤلف الإنجيل الرابع أن عيسى وتلامذته اعتادوا أنْ يتعمّدوا بالماء مع يحيى المعمدان (يوحنا ٣/٢٢-٢٣) مما يناقض النص الذى ورد فى نفس الإنجيل : **(إن عيسى لم يعمد نفسه ولكن عمّدَ تلاميذه فقط)** (يوحنا ٤/٢) ، لقد مارس عيسى المعمودية تمامًا كما كان يفعل يحيى فى جداول المياه وأمر تلاميذه أن يفعلوا الشىء نفسه مما يبين تمامًا أنه لم يكن الشخص المقصود بنبوءة يحيى عن النبى القوى الذى يعمّد بالروح وبالنار (متّى ٣/١١) . ولا يحتاج الأمر إلى ذكاء خارق لفهم هذه الحجة. وإذا كانت الكلمات والمواعظ والنبوءات تحمل أى معنى أو هدف أو مغزى فإن كلمات يحيى تعنى أن التعميد سوف يستمر بالماء حتى ظهور الـ (الشايلوه) أى رسول الله وعندئذٍ يصبح التعميد بالروح والنار. هذا هو الاستنتاج المنطقى الوحيد والمفهوم الذى يمكن استخلاصه من موعظة يحيى كما هى مدونة فى الفصل الثالث من إنجيل متّى. إن التعميد بالماء يختلف تمامًا عن التعميد بالروح والنار. فالأول يتم عن طريق التغطيس أو غسيل الجسم بالماء كعلامة على التوبة أما الثانى فلم يعد يتم بالماء ولكن بالروح القدس والنار وتأثيره يتجلى فى تغير كامل للقلب والإيمان والمشاعر. الأول يطهّر الجسم والثانى ينير العقل ويثبّت الإيمان ، الأول يغسل السطح والثانى يغسل اللب. وقد حل الغسل والوضوء فى الإسلام محل المعمودية اليهودية النصرانية وهو أمر لا يحتاج لنبى أو لكاهن كى يؤديه للآخرين ولكنْ يقوم به المؤمن نفسه، ولذا لم يعد لدى النصارى أى مبرر للتمسك بمعموديتهم بالماء إلى ما لا نهاية طالما أن أناجيلهم تنبأت بأن هذه المعمودية سوف تُلغيها معمودية أخرى غير الغسل بالماء، ولمزيد من الإيضاح أطرح الملاحظات التالية :

(ا) لقد وصفت الأناجيل معمودية كل من يحيى وعيسى بوضوح وهى منافية تمامًا لمعمودية الكنائس. إن الأصل العبرى أو الآرامى لكلمة -bap tismos اليونانية ليس معروفًا على وجه التأكيد ، علمًا أن نسخة (البشيتا) الآرامية تستخدم مقابلها كلمة (معموديثا) من الفعل (عمَد) و (عَمَد) الذى يعنى الوقوف كالعمود، وفى صيغة السببية (عامد) معناها : (يَنصُب ، يُقيم ، يؤسس أو يثبّت) وهكذا مما ليس فيه أية دلالة على التغطيس أو الرش أو الاستحمام ولكن الأفعال العبرية : (رحصْ) بمعنى يستحم (وتُفِل) بمعنى يغمس أو يغطس قد تعطى معنى الكلمة اليونانية "Baptismos" رغم أن الفعل (عَمَد) فى جميع اللغات السامية بما فيها العربية يعنى (الوقوف منتصبًا كالعمود) ولا يحوى معنى الغسل أو الغطس، ولذلك فإن كلمة (معمودية) لا يمكن أن تكون هى الكلمة الآرامية الأصلية التى ترجمت إلى baptismos اليونانية، كما أنه لا داعى لإيضاح أن كلاًّ من يحيى وعيسى لم يسمعا قط كلمة baptismos بصيغتها اليونانية وأنهما لم يستعملا كلمة (تعميد) لأنها لا تؤدي المعنى .

(ب) إن الدلالة الكلاسيكية لكلمة "Baptismos" اليونانية تحمل معنى (صبغة، وتلوين، وتغطيس) وأن الكلمة المقابلة بالآرامية لا يمكن أن تكون سوى (صبأ) وبالعربية (صَبَغَ) ومن الحقائق المعروفة جيدًا أن الصابئين الذين ورد ذكرهم فى القرآن وعند آباء الكنيسة النصرانية القدامى (مثل أبيفانوس وسواه) كانوا من أتباع يحيى ، كما أن اسم الصابئة نفسه الذى جاء فى الفصل السادس من كتاب (حياة يسوع) لمؤلفه الشهير (أرنست رينان) يدل على المعمدانيين الذين مارسوا المعمودية وكانوا يعيشون حياة تقشف كالهسائيين Essenians أو Al-Chassaites والأبيونيين Ebionites وإذا ما تذكرنا أن مؤسس جماعتهم (بوداسب Budasp) كان أحد حكماء الكلدان فإن التهجئة الصحيحة لاسمهم تكون (صباغى) بمعنى الصباغين (أى المعمدانيين)، وكان مار شمعون من رجال الدين الكلدان الآشوريين المشهورين فى القرن الرابع يدعى (بارصباغى) أى ابن الصباغين ويحتمل أن أسرته كانت تنتمى إلى الصابئة ، ولأن القرآن يورد جميع الأسماء الأجنبية كما كان يلفظها العرب فقد ورد اسم (الصابئين) مع همزة بدل الغين وهى فى الآرامية الأصلية (الصابغين). وهناك بعض التفسيرات

الأخرى لكلمة (صابئى) فمثلاً يفترض بعض المؤلفين أنها مشتقة من (صابىء بن شيت) ومع أنه لم يكن لدى الصابئة أية أمور مشتركة مع الكنائس النصرانية سوى معموديتهم التى كانوا يسمونها (السبعوثا) إلا أنهم كانوا يدعون خطأ: نصارى يحيى المعمدان .

لقد كانت هناك ثلاث صيغ للمعمودية : واحدة لليهود والثانية للصابئة والثالثة للنصارى . أما المعمودية اليهودية التى لم يكن لها أصل فى كتب اليهود المقدسة فقد اخترعت بشكل رئيسى من أجل المعتنقين الجدد لليهودية وكان الكاهن اليهودى يعمّد الذى يحوله إلى الدين اليهودى باسم الله، أما الصابئة فكانوا يعمدون باسم الله ويحيى، ولكن القسيس كان يعمد باسم : الأب والابن والروح القدس ولا يذكر اسم الله وعيسى صراحة ، ومن ذلك يظهر التباين بوضوح بين الأنظمة المعمدانية الثلاثة. فاليهودى كموحد حقيقى لم يكن ليحتمل اقتران اسم يحيى مع اسم (الإلوهيم) أما الصيغة النصرانية فكانت منافية لعقيدة اليهود والصابئة معًا ، إن هذه الأشكال المختلفة للمعمودية كانت عبارة عن عملية رمزية وقد استعملت الماء كمادة لمعموديتها وبأسلوب متشابه وقد أطلق كل من الأديان الثلاثة عليه اسمًا مختلفًا عن الآخر، فالصابئة استخدموا كلمة (سبعوثا) الآرامية التى تعنى "baptismos" باليونانية. ويحتمل أن النصارى من الساميين اتخذوا اسم (معموديثا) الذى لا توجد له أدنى علاقة من ناحية لغوية مع الغسل أو التغطيس أو التطهير لمجرد تمييز معموديتهم عن معمودية الصابئة. وهكذا حلّت كلمة معموديثا محل (سبعوثا)، والملاحظ أن ترجمة (البشيتا) الآرامية استخدمت كلمة معموديثا بمعنى بِركة أو حوض الغسل (يوحنا ٥/٢) وهناك تفسير آخر قد يؤدى إلى حل المشكلة وهو أن يحيى وأتباعه وعيسى وتلاميذه كانوا يجعلون التائب أو المعتنق الجديد للدين يقف فى النهر مستقيمًا كالعمود أثناء غسله ومن هنا جاء لفظ (عَمَد) و (معموديثا) .

(ج) لقد لعن (مجمع ترنْتَ Council of Trent) كل شخص يقول إن المعمودية النصرانية تشابه معمودية يحيى وأتجرأ فأقول إن المعمودية النصرانية ليست خالية من الأثر الروحى وحسب بل هى أيضًا دون مستوى معمودية يحيى وإن مزاعم القساوسة النصارى عن المعمودية أنها تطهر الروح من الخطيئة الأصلية هو ضرب من الدجل والشعوذة ، فالمعمودية

بالماء كانت مجرد رمز للمعمودية بالروح القدس والنار وبعد قيام الإسلام كمملكة الله الرسمية لم يعد لوجودها أى مبرر إذ حلت محلها معمودية الله أى صبغة الله .

(د) لقد اتضح لنا أن الكلمة اليونانية "Baptismos" هى المرادف الدقيق لكلمة (سبعوثا) الآرامية أى المعمودية ليست غسيلاً أو تغطيسًا أو حمّامًا ولكنها (سبعوثا) أى صبغ وتلوين وكما يُعطى (الصبّاغ) لونًا جديدًا للثوب بغمسه فى غلاية الصبغ فإن يحيى المعمدان كان يعطى التائب أو المعتنق الجديد للدين لونًا روحيًا جديدًا ، وهكذا فإن كلمة (صبغة) فى القرآن (سورة البقرة الآية ١٣٨) قد كشفت الغموض عن نبوءة يحيى كما أثبتتْ أن القرآن تنزيل مباشر من الله وأن الرسول الذى أنزل إليه القرآن هو الذى تنبأ به يحيى .

لقد كانت معمودية يحيى وعيسى رمزًا لدخول التائبين فى المجتمع الذى تعهد بالولاء لرسول الله الذى تنبأ كل من يحيى وعيسى بقدومه ، وكما كان الختان علامة على دين إبراهيم ومن تبعه كذلك كانت المعمودية (السبعوثا) علامة على دين يحيى وعيسى، وكان ذلك تمهيدًا لكى يتوقع الجميع النبى الموعود ويدخلوا دين الإسلام .

(هـ) حسب شهادة القديس مرقص (١/٤-٨) فإن معمودية يحيى كانت تمحو الخطايا إذ يذكر مرقص أن سكان يهودا والقدس ذهبوا إلى يحيى فعمّدهم فى نهر الأردن وهم يعترفون بخطاياهم أى أن المعمودية محت خطاياهم ، ومن المسلَّم به عمومًا أن إنجيل مرقص هو أقدم الأناجيل الأربعة، ومن المعروف أيضًا أى العبارات الاثنتى عشرة الأخيرة التى أضيفتْ إلى الفصل السادس عشر من هذا الإنجيل (مرقص ١٦/٩-٢٠) لم تكن موجودة فى أى من المخطوطات اليونانية القديمة وحتى فى هذه العبارات المضافة لم ترد عبارة (**باسم الأب والابن والروح القدس**) إذ يقول عيسى ببساطة : (**اذهبوا وعظوا العالم بإنجيلى ، فمن يؤمن ويعمّد ينجو ، ومن لا يؤمن سوف يُلعن**) (مرقص ١٦/١٥-١٦) .

وطالما أن معمودية عيسى كانت نفس معمودية يحيى وطالما أن معمودية يحيي كانت كافية لغفران الخطايا فلا معنى للقول بأن حَمَلَ الله يتحمل خطايا العالم (يوحنا ١/٢٩). وإذا كانت مياه الأردن فعّالة لدرجة غفران

خطايا الجماهير الكثيرة نتيجة تعميدها فلا مبرر لسفك دم «إله» لأجل نفس الغرض .

وقد ظل أتباع عيسى يمارسون معمدانية يحيى حتى ظهور القديس بولس على مسرح الأحداث . والمعروف أن بولس كان فريسيًّا من أتباع الطائفة اليهودية المعروفة بالفريسيين الذين ندد بهم كل من يحيى وعيسى وسمّياهم **(أبناء الأفاعى)** ، والملاحظ أيضًا أن مؤلف الكتاب الخامس فى العهد الجديد المسمى (أعمال الرسل) كان من رفاق بولس وهو يدعى بأن هؤلاء الذين عمدهم يحيى لم يتلقوا الروح القدس ولذلك **«تم إعادة تعميدهم ثم ملئهم بالروح القدس»** (أعمال الرسل ٨/١٦-١٧ . ١٩/٢-٧) ليس عن طريق التعميد باسم عيسى ولكن بواسطة (وضع الأيدى) ! وقد ذكر بوضوح أن معموديتىْ عيسى ويحيى كانتا متماثلتين فى طبيعتهما وفعاليتهما وأنهما لم تُنزلا الروح القدس على الشخص الذى جرى تعميده من قِبَل عيسى أو يحيى أوباسم أى منهما . ولكن بوضع أيدى الحواريين على الشخص المعمّد يمسّ الروح القدس قلبه فيملأه بالإيمان ومحبة الله، وحتى لو كان ذلك صحيحًا فإن هذه الهبة الإلهية التى يحتمل أن تكون أعطيت للحواريين فقط لا يمكن أن يدعيها خلفاؤهم المزعومون فى الكنيسة .

(و) وإذا كانت الأناجيل فى حديثها عن المعمودية تعنى أى شىء فإنها تعطى الانطباع أنه لم يكن هنالك فرق بين المعموديتين سوى أنهما كانتا تُمارسان باسم يحيى أو عيسى، ولكن الفريسى الكبير بولس (شاؤول) لم يذكر كلمة واحدة عن يحيى المعمدان الذى وصم طائفة الفريسيين بالوصف الكريه (أبناء الأفاعى) وتلاحظ لمسة من الحقد ضد يحيى ومعموديته فى الملاحظات التى أبداها لوقا فى (أعمال الرسل) لأن لوقا كان تلميذًا ومرافقًا لبولس ، غير أن إقرار لوقا بأن المعمودية باسم عيسى لم تكن تتم بالروح القدس يعتبر برهانًا حاسمًا ضد الكنيسة التى حولته اعتباطًا إلى ألغاز وطقوس سرية. إن معمودية عيسى كانت استمرارًا لمعمودية يحيى لا أكثر أما المعمودية بالروح القدس وبالنار فقد اختص بها الإسلام. وأن ما كتبه لوقا فى أعمال الرسل عن اثنى عشر شخصًا من السامرة لم يتلقوا الروح القدس لأنهم عُمّدوا فقط باسم عيسى (أعمال الرسل ٨/١٦-١٧) دليل حاسم على بُطلان مزاعم الكنيسة .

الفصل السادس عشر

(صبغة الله) أو المعمودية « بالروح القدس وبالنار »

كثيرًا ما كنت أعجب من الصابئة الذين انتشر مذهبهم فى شبه جزيرة العرب وما بين النهرين. كيف أنهم لم يعتنقوا النصرانية مع أن المفروض أن يحيى أعلن على الملأ أن عيسى كان النبى الأقوى منه وأن عيسى كان المسيح الذى لم يصل يحيى إلى درجة تسمح له بحل رباط حذائه؟ (متّى ٣/١١) .

فلو كان عيسى هو رسول الله الذى تنبأ به يحيى والذى جاء ليعمّد بالروح والنار فى الوقت الذى كان عيسى يعمّد الجموع بماء الأردن لو كان ذلك صحيحًا لنشأ التساؤل : لماذا لم يُعمّد بالروح والنار. ولماذا لم يتغلب على الوثنية فى الأراضى التى وعدها الله لسلالة إبراهيم ثم يؤسس مملكة الله بالقوة والنار ؟ وكيف يمكن تفسير أن أتباع يحيى لم يتّبعوا عيسى مع أن المفروض أن يحيى قدم عيسى للجمهور على أنه سيده والأعلى منه مرتبة. وقد يُعفى أتباع يحيى من الدخول فى الكنيسة النصرانية فيما لو جاء عيسى المسيح بعد قرن مثلاً من مجيء يحيى. ولكن الأمر لم يكن هكذا فقد عاصرا بعضهما البعض حتى أنهما ولدا فى نفس العام وتعمّدا بالماء وبشّرا أتباعهما بمملكة الله الوشيكة والتى لم تظهر فى عهدهما.

لقد كان الصابئة أو (الصباغون) أو (المعمدانيون) أتباع يحيى المخلصين ومن المحتمل أنهم وقعوا ضحية للخطأ والأساطير ولكنهم كانوا يعلمون تمامًا أن عيسى لم يكن الشخص المقصود بنبوءة يحيى وهكذا دخلوا الإسلام عندما جاء محمّد . أما أهل حرّان فى سوريا فلم يكونوا من بقايا الصابئة كما يظن البعض، ولكن بما أن المسلمين تسامحوا مع ثلاثة

أديان وهى اليهودية والنصرانية والصابئة فقد ادعى الحرانيون أنهم من بقايا الصابئة ولذلك سمح لهم العثمانيون ممارسة دينهم الغريب دون مضايقة .

يختلف المفهوم الإسلامى واليهودى للروح القدس جذريًا عن المفهوم النصرانى . فالروح القدس ليس شخصًا مؤلهًا فى إله ثلاثى ، والاعتقاد النصرانى إن الروح القدس أى ثالث الثالوث ينزل من عرشه السماوى رهن إشارة قسيس من أجل تقديس بعض العناصر وتغيير جوهرها وخصائصها إلى عناصر أخرى فوق الطبيعة كتغيير ماء المعمودية إلى دم إله مصلوب ومحو ما يسمى بالخطيئة الأصلية أو تحويل العناصر المادية للقربان المقدس إلى دم وجسد إله، إن ذلك مناف لعقيدة كل موحّد يهوديًا كان أو مسلمًا ، كما أن هذه الاعتقادات معاكسة تمامًا لتعاليم العهد القديم وهى تزوير للعقيدة الحقيقية ليحيى وعيسى. فالاعتقاد بأن بعض القسس يستطيعون تعويذ الأفراد بحيث يحل فيهم الروح القدس ولكنه لا يضمن عصمتهم ، خال من أى معنى. وفى سفر أعمال الرسل يقال لنا أن حنانيا وزوجته سفيرة عُمّدا وبالتالى امتلئا بالروح القدس وهو الشخص الإلهى الثالث الذى ألهمهما أن يبيعا حقلهما ويضعا ثمنه من النقود تحت قدمىْ الحوارى بطرس ولكن الشيطان أغراهما بالاحتفاظ بجزء من النقود فكانت النتيجة أن أصابهما الموت المفاجئ (سفر أعمال الرسل ٥/١-١١). كيف يمكن لـ (ثالث الآلهة) أن ينزل على البشر ويقدسهم ثم يسمح لهم بعدئذ بالخطأ والكفر والزندقة ويتركهم يقترفوا الحروب والمذابح؟ هلْ يستطيع الشيطان إغراء الإنسان المملوء بالروح القدس فعلاً فيحوله إلى شيطان؟ إن القرآن الكريم واضح جدًا فى هذه النقطة إذ يقول الله تعالى مخاطبًا الشيطان :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾
(سورة الحجر الآية ٤٢)

إن الشخص المستقيم يكافح ضد الخطيئة والشر ما دام فى هذا العالم المادى وإذا وقع فى الزلل نهض ثانية لأن الندم والتوبة هى عمل الروح الطيبة التى تعيش فينا. أما الكنائس فتقول أنه إذا عُمّد نصرانى بالروح القدس والنار وفق المعنى االذى يتضمنه (سفر أعمال الرسل) وسواء كان

المعمّد لا تينيّا أو يونانيًا أو حبشيًا أو غير ذلك فإنه يصبح ليس فقط قديسًا طاهرًا بل أيضًا عالم لغات ونبيًا موهوبًا.

والحقيقة أنه ليس لدى النصارى مفهومًا محددًا أو دقيقًا عن الروح القدس التى تملأ النصرانى المعمّد. فلو كان إلهًا لما جرأ الشيطان على الاقتراب من هذا الرجل المقدس أو المؤلّه نوعًا ما وإغرائه وغوايته وأكثر من ذلك : كيف يمكن للشيطان أن يطرد الروح القدس ويحل محله فى قلب المعمّد فيحوله إلى مجرم وزنديق؟ ولو كان الروح القدس يعنى جبريل أو ملاكاً آخر، فإن الكنائس تمعن فى الخرافات لأن الملاك ليس دائم الحضور فى كل مكان . ولو كانت هذه الروح التى تطهّر النصارى المعمّدين وتملؤهم هى الله نفسه كما هو اعتقادهم فى الشخص الثالث من الثالوث فمن حق جميع النصارى أن يدعوا أنهم مقدسون أو مؤلّهون.

وهنالك أيضًا مفهوم البروتستانت عن الروح القدس الذى يملأ قلوب الذين يعتقدون أنهم ولدوا من جديد ، ثم يتدهور الكثير منهم بعد ذلك ويعودون كما كانوا من قبل .

والواقع أن الروح القدس مع (الـ) التعريف تعنى شخصية ملائكية معينة قد تكون جبريل أو غيره من الأرواح النقية التى أوكل لها أداء عمل معين، وإن نزول الروح القدس على كائن بشرى معناه أنه يلقى إليه الوحى بأمر من الله فيكون بذلك نبيًا . وإن نبيًا هذا شأنه لا يمكن أن يغويه شيطانٌ أبدًا.

إن التعميد (الصبغ) بالروح القدس والنار الذى جاء به محمد ، يفسره لنا التنزيل الإلهى فى آية واحدة : ﴿ **صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٨) .

وقد فهم المفسرون المسلمون وهم محقّون فى ذلك ، كلمة صبغة بمعناها الروحى أو المجازى وهو (الدين) وهذه الآية القرآنية تنسخ وتبطل أديان (السبعوثا) و (المعموديثا) أى أديان الصابئة والنصارى معًا . إن ﴿**صِبْغَةَ اللهِ**﴾ هى معمودية دين الله ليس بالماء ولكن بالروح القدس والنار. إن الدين الذى آمن به كل من صحابة الرسول هو نفسه الدين الذى يعتنقه اليوم كل مسلم ، فى حين لا يمكن أن يقال هذا عن الدين التعميدى . لقد انعقد حتى الآن أكثر من

ستة عشر مجمعًا كنسيًا مسكونيًا لتحديد وتعريف دين المسيحية وفى النهاية يكتشف مجمع الفاتيكان عام ١٨٥٤م أن السيده العذراء قد حملت بلا خطيئة ويكتشف أيضًا فى العام ١٨٧٠ م أن البابا (معصوم عن الخطأ) كل ذلك مما لم يكن معروفًا للحوارى بطرس ولاللسيدة مريم العذراء. إن أى دين يعتمد على مداولات وقرارات المجامع العامة المؤمنة أو الملحدة هو دين مصطنع .

ونعود إلى موضوع المعمودية :

إن المعمودية الروحية هى الهداية الإلهية فكما يصبغ الصباغ الصوف أو القطن بصبغة تعطيه لونًا جديدًا وكما يمحو المعمدان الخطايا السابقة للمؤمن الحقيقى التائب فإن الله تعالى لا يصبغ الجسم بل يصبغ روح الشخص الذى يتولاه برحمته فيهديه للدخول فى دين الإسلام .

هذه هى صبغة (معمودية) الله التى تجعل المسلمين الحقيقيين جادين ومواظبين على واجباتهم تجاه الله وتجاه رفاقهم من البشر وتجاه أسرهم ولا يدفعهم ذلك إلى حماقة الاعتقاد بأنهم أكثر صلاحًا من معتنقى الديانات الأخرى ليستأثروا عليهم أو يتخذوا لأنفسهم مركز السيادة على الآخرين، فالتعصب والغرور الدينى ليسا من صفات الإسلام ، كما أن المسلم ليس بحاجة إلى وساطة من رجل دين ؛ فكل مؤمن متعلم يمكن أن يصبح إمامًا أو داعية أو واعظًا حسب تعليمه وحماسه الدينى، وباختصار فإن كل مسلم سواء ولد على الإسلام أو اعتنقه بعد ذلك يُطَهّر روحيًا ويصبح فى مملكة الله .

لقد نَسب يحيى هذه المعمودية بالروح والنار لرسول الله العظيم ليس باعتباره كائنًا إلهيًا أو إلهًا أو ابن إله، ولكن باعتباره رسولاً من الله ووسيلة يتم عن طريقها ذلك الصبغ الإلهى. لقد بَلّغَ محمد رسالة الله وكان يؤم الصلوات ويؤدى الشعائر الدينية، ويخوض الحروب ضد الكفرة والوثنيين للدفاع عن قضيته، ولكن النجاح والنصر اللذين تحققا كانا من عند الله . وبنفس الطريقة وعظ يحيى وعَمّدَ، ولكن قبول التوبة والكفارة وطرح الخطايا لم تكن من عنده ولكن من الله، وإن نبوءة يحيى : **(إن الذى يأتى بعدى أقوى منى ، وسوف يعمدكم بالروح وبالنار)** (متّى ٣/١١) قد تحققت ونفذت عن طريق محمد فقط .

ومن الواضح أن شكل ومضمون هذه المعمودية غير حسّى لأنه يتعلق بالمغيبيات فنحن نشعر بالآثار المترتبة على مسبب حقيقى لكنه غير

محسوس فالماء لم يعد هو المادة الظاهرية المسببة كما أنه لم يعد هنالك حاجة إلى معمدان ولكن الله هو الذى يهدى من يشاء وحسب نبوءة يحيى فإن وسائل ﴿ صبغة الله ﴾ هى الروح القدس والنار أما طريقة الصبغ فهى خاصة بالله وحده ولا نستطيع أن نعزو لله تعالى عملاً ما سوى قوله للشيء ﴿ كُنْ ﴾ فيكون ، ولكننا نستطيع أن ندرس النتائج المترتبة على صبغة الله:

١ – إن الروح القدس سواء كان جبريل أم غيره من المخلوقات العليا يبارك روح المسلم عند مولده أو عند دخوله فى الإسلام وهذه المباركة تعنى :

(ا) تثبيت الإيمان بإله حقيقى واحد : إن صبغة الله تجعل روح المسلم الحقيقى تؤمن بوحدانية الله المطلقة وتعتمد على الله وتعترف به وحده كسيد ومالك ورب .

(ب) صبغة الله تطبع روح المسلم بالحب والخضوع لله وحده. إن الله تعالى لا يغفر أن يُشرك به شيئًا أو كائنًا ما من الكائنات، وحبّ المسلم لله ليس نظريّا أو مثاليًا بلْ واقعىُ يترجم إلى أعمال.

(جـ) الاستسلام الكامل لمشيئة الله النابع من الإيمان والمحبة والتقوى .

٢ – إن المعرفة الحقيقية بالله وبمشيئته بالقدر الذى يمكن للبشر أن يحيطوا بها لا تشاهَد إلا عند المسلمين.

إن جوهر الذات الإلهية أمر لايمكن الإحاطة به ولكن كما أن الرضيع يعجز عن فهم طبيعة والديه وشخصيتهما فإنه مع ذلك يعرف أمه من بين جميع النساء الأخريات وهذا التشبيه دون الحقيقة بكثير . إن كل مسلم يرى فى كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة آية تدل على الله. فالله حاضر فى ذهنه دائماً وشهادة أن (لا إله إلا الله) هى إنكار إبدى لأى معبود آخر غير الله واجتماع ضد الذين يشركون بالله شيئًا أو أشياء لأن كل مسلم يقرّ ويشهد أن الله وحده هو المستحق للعبادة .

٣ – إن المعمودية بالنار هى صبغة الله التى تحصّن المسلم ضد الباطل والخرافة والوثنية من كافة الأنواع. وهى التى تذيب نفس المسلم وروحه وتفصل عنصرها الذهبى الخالص عن الشوائب ، وهى قوة الله التى توطّد العلاقة بين العبد وخالقه وتعده لنشر رسالته .

الفصل السابع عشر

البرقليط ليس الروح القدس

نناقش الآن موضوع (البرقليط) الذى ورد فى الإنجيل الرابع (يوحنا ١٤/٦، ٢٦) (١٥/٢٦) (١٦/٧) (١ يوحنا ٢/١). لقد أعلن عيسى المسيح (كما أعلن يحيى) قدوم مملكة الله ودعا الناس إلى التوبة وعمّدهم لتكفير الخطايا وبلّغ الرسالة إلى بنى إسرائيل ولم يكن هو مؤسسًا لمملكة الله ولكنه كان مبشرًا بها وقد بلّغ قومه الإنجيل الذى يعنى (الأخبار السارة) فيما يتعلق بمملكة الله و (البرقليطوس Periqlytos) ليس عن طريق الكتابة ولكن شفاهة بالمواعظ العامة التى انتشرت بين الناس خلال وجوده على الأرض ، وبعد حياته الدنيوية أخذت تنتقل أقواله وتعاليمه بوساطة الكتابة. وتحول عيسى فى هذه الكتابات من السيد والمعلم فصار الكلمة الإلهية ثم ابن إله ، وتحول من سلف البرقليطوس إلى سيده ورئيسه، وهكذا أخذت كلماته النقية الصادقة تتشوه وتختلط تدريجيًا بالأساطير والخرافات وكانوا يتوقعون منه أن ينزل فى أية لحظة من السحاب ومعه الجيوش من الملائكة لتحقيق مملكة الله على الأرض ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث وتوفى الحواريون وتأخر المجىء الثانى لعيسى الذى كانوا يتوقعونه فنشأت عن شخصه وتعاليمه آراء دينية فلسفية جديدة وظهرت الملل والنحل والأناجيل المتعددة والرسائل وتخاصم المدافعون عن النصرانية وانتقدوا نظريات بعضهم بعضًا. ولو كان هناك إنجيل مكتوب أثناء وجود عيسى أو حتى كتاب مجاز من قبل مجموعة الحواريين بعده لاحتفظت تعاليم المسيح بنقائها وصحتها حتى ظهور البرقليطوس (أحمد) ولكن الأمر كان على النقيض من ذلك إذ تفرق الكتاب والحواريون بعد المسيح واتخذ كل منهم

منهجًا خاصًا به فيما يتعلق بعيسى ورسالته ووصفه كل منهم فى كتابه الخاص الذى سماه (الإنجيل Gospel) أو (الرسالة Espistle) وفق أفكاره الخاصة وتصوراته ، حتى أننا نلاحظ الخيال البعيد فى الإنجيل الرابع حول ما تعنيه (الكلمة) والنبوءة عن (البرقليط)، والحديث الغامض المنسوب إلى عيسى عن (لحمه ودمه) وسلسلة من المعجزات والأحداث والأقوال مما لم يكن مسجلاً ولا معروفًا لدى كتاب الأناجيل الأخرى، ناهيك عن الغالبية العظمى من النصارى الذين لم يروا الإنجيل الرابع ولم يقرؤوه لنحو قرنين من الزمان بعد المسيح.

والآنجيل الرابع مثل بقية الكتب والأسفار في العهد الجديد، كُتب باليونانية وليس بالآرامية التى كانت اللغة الأم للمسيح والحواريين. وبالتالى نجابه مشكلة كالتى لقيناها عندما كنا نبحث فى كلمة (يودوكيا Eudokia) الخاصة بـ (لوقا) وهى تتلخص فى السؤال التالى : ماهى الكلمة الحرفية التى استخدمها المسيح بلغته الأصلية والتى نقلها الإنجيل الرابع بلفظ (البرقليط) ثم ترجمت خطأ إلى (المعزّى) فى جميع تراجم ذلك الإنجيل ؟!

قبل مناقشة اشتقاق كلمة (البرقليط) المحرفة من الضرورى إلقاء الضوء على أحد الملامح الخاصة بالإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) . إن مناقشة تأليف وصحّة هذا الإنجيل هى من المسائل التى تخص علوم نقد الكتاب المقدس ، غير أنه يستحيل التصديق أن الحوارى يوحنا كتب هذا الإنجيل كما هو بين أيدينا الآن من حيث شكله ومحتواه ، فالمؤلف سواء كان يوحنا ابن زبدى أو غيره يبدو مُلمًا بتعاليم الفيلسوف اليهودى فليون Philon فيما يتعلق بـ (الكلمة Logos).

ومن المعروف أن فتح الإسكندر الكبير لفلسطين وتأسيسه الإسكندرية (٣٣٢ ق.م) بدأ عصرًا جديدًا فى الثقافة والحضارة عندما بدأ تلاميذ النبى موسى يجتمعون مع تلاميذ الفيلسوف إبيقور Epicurus ونتج التفاعل الهائل بين التعاليم الروحية التوراتية وبين المادية الوثنية اليونانية وأصبحت الفسلفة اليونانية موضع إعجاب ودراسة كبار علماء الشريعة اليهودية فى فلسطين ومصر مما أدى إلى هلع أحبار اليهود فاللغة العبرية أصبحت مهملة لدرجة أن كتب العهد القديم صارت تُقرأ بالترجمة السبعينية

(اليونانية) مما دفع أحبار اليهود لإعادة دراسة شريعتهم والدفاع عنهاضد الروح الجديدة الغازية وحاولوا أن يجدوا طريقة جديدة لتفسير العهد القديم تحقق التقارب والتوفيق بين الشريعة اليهودية والفكر الهلنستى اليونانى لأن أسلوبهم فى التفسير الحرفى للشريعة صار يعتبر جامدًا ولم يصمد أمام المنطق الجذاب لأفلاطون وأرسطو غير أن نشاط اليهود وتعصبهم أثار ضدهم حسد وكراهية اليونان وقد تجلى ذلك مثلاً فى كتابات الراهب المصرى مانيثو Manetho وافتراءاته ضد اليهودية فى زمن الإسكندر الكبير ، كما تم إحياء تلك الافتراءات وزيادة حدتها من قبل الخطيب الشهير أبيون Apion فى زمن الإمبراطور طيباريوس Tiberuis . وهكذا سممّت الكتابات والخطب عقول الناس مما سبب فيما بعد الاضطهاد الوحشى لكل من آمن بإلهٍ واحد حق .

وكانت الطريقة الجديدة التى ابتكرها اليهود فى تفسير كتبهم مجازية اشتملت على أفكار ورموز سريّة سرعان ما تحولت إلى فلسفة يهودية جديدة ادّعت لنفسها مكانة العهد القديم. وكان أبرز رجل جسّد هذه الفلسفة الجديدة هو فليون Philon الذى ولد من أسرة يهودية ثريّة فى الإسكندرية سنة ٢٥ ق.م. كتب مؤلفاته المجازية بأسلوب يونانى أنيق وكان ضليعًا بفلسفة أفلاطون كما كان يؤمن أن تعاليم الوحى تتفق مع أسمى أنواع المعرفة والحكمة البشرية. وكان أكثر ما يشغل فكره موضوع التعامل الإلهى مع البشر والكائنات الأرضية . وعلى غرار نظرية (الأفكار) لأفلاطون اخترع فليون سلسلة من الأفكار الوسيطة سماها (الفيض الإلهى) واعتبرها حلقات تصل بين الله والعالم وجعل العنصر الأساسى فى هذه الأفكار (الكلمة Logos) التى تشكّل فى نظره الحكمة العليا المخلوقة فى الكون وهى أسمى تعبير عن عمل العناية الإلهية .

وهكذا كانت المدرسة الإسكندرانية نتيجة لانتصار اليهودية على الوثنية اليونانية ولكن كما يقول كبير الأحبار (بول هاجناور) فى كتابه الصغير الممتع (دليل الأدب اليهودى)[1] (ص ٢٤) **(لقد انبثق عنها فيما بعد أنظمة مؤذية لليهودية)** وفى الواقع أنها مؤذية وهدامة لليهودية والنصرانية معًا .

---

(1) Pual Haguenauer, Munuel de Litterature Juive, Nancy 1927 .

وهكذا نرى أن أصل نظرية الكلمة Logos يعود إلى فلسفة فليون. وبعده بحوالى قرنين من الزمن قام الحوارى يوحنا (أو مؤلف الإنجيل الرابع كائنًا من كان) بتأكيد فلسفة فليون التى انبثقت فى الأصل من الفكر العبقرى لأفلاطون.

والآن سوف أكتشف الخطأ المسيحى حول (البرقليط) وسوف أبرهن أن البرقليط ليس الروح القدس كما تعتقد الكنائس المسيحية وأن كلمة (البرقليط) لا تعنى المعزى أو الشفيع ثم فى الفصل التالى سوف أبين أن المعنى الحقيقى لها هو (أحمد) بمعنى أكثر حمدًا وشهرة، وتُكتب Periqlyte وليس برقليطParaclete :

١ - الروح القدس المذكور فى العهد الجديد ليس شخصًا قائمًا بذاته :

عندما ندرس العبارات التى وردت فى العهد الجديد عن الروح القدس يتبين أنه ليس الشخص الثالث فى الثالوث ، والأهم من ذلك أنه ليس شخصًا قائمًا بذاته فى حين أن البرقليطوس الذى تنبأ به عيسى هو شخص قائم بذاته ، وهذه نقطة أساسية جدًا لأنها تنفى بصورة نهائية فرضية الكنيسة بأن البرقليطوس هو الروح القدس .

(ا) يقول إنجيل لوقا (١٣/١١) على لسان عيسى أن الروح القدس (هبة) من الله، وعلى سبيل المقارنة يذكر أنه حتى الآباء الأشرار يعطون أولادهم هبات طيبة فبالأحرى أن الله تعالى يعطى الروح القدس للذين يسألونه من المؤمنين .

إن هذه المقارنة تستبعد نهائيًا وجود أية شخصية للروح ، فهل يعقل أن عيسى المسيح كان يقصد إفهام سامعيه أن (الله الأب) يقدم (الله الروح القدس) هبة (لأبنائه) فى الأرض؟ هل قال عيسى أو لمح قط بأن الشخص الثالث فى الثالوث هو هبة الشخص الأول ؟ وهل يمكن أن يكون الحواريون قد آمنوا أن هذه الهبة كانت هى الله تعالى نفسه الذى قدمه الله تعالى للبشر ؟ إن مجرد التفكير بذلك يسبب الرجفة لدى المسلم .

(ب) يصف سفر الكورنثيين الأول (٢/١١-١٢) (الروح القدس) بصيغة المحايد (الروح من الله) أى أنه ليس مؤنثًا ولا مذكرًا. ويذكر بولس بوضوح

(حيث أن روح المرء هى التى تمكنه من معرفة ذاته كذلك فإن روح الله تمكن المرء من معرفة الأمور الإلهية) وهكذا فإن الروح القدس ليس الله ، ولكنه وسيلة ينزّل الله بوساطتها على من يشاء من عباده العلم والنور والإلهام وهو مجرد تأثير من الله على نفس الإنسان وعقله ، لقد حدد بولس فى هذه العبارة أن الروح الإنسانية لا يمكن أن تدرك الحقائق الإلهية إلا بواسطة روح الله أى بواسطة الإلهام والتوجيه الإلهى .

(ج) مرة أخرى فى سفر الكورنثيين الأول (١٩/٦) يقول بولس (**ألا تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم والذى تلقيتموه من الله**) وهذا دليل آخر على أن الروح القدس ليس شخصًا أ. ملاكًا فهو يقارن جسد الإنسان وروحه بالمعبد المخصص لعبادة الله تعالى .

(د) فى رسالة بولس إلى رومية (٩/٨) يطلق على هذه الروح التى (تعيش) داخل المؤمنين اسم (روح الله) وأحيانًا (روح المسيح) مما يعنى ببساطة العقيدة ودين الله الصحيح الذى أعلنه عيسى المسيح ، ومن المؤكد أن هذه الروح لا يمكن أن تعنى الفكرة المسيحية للروح القدس أى : (ثالث الثلاثة) ومثال ذلك قول المسلمين أنهم يحاولون تنظيم حياتهم وفق (تعاليم محمد) أى الإخلاص لدين الله بنفس الطريقة التى كان عليها خاتم الأنبياء لأن الروح الطاهرة فى محمد وفى عيسى وفى كل نبى آخر ليست سوى روح من الله تبارك وتعالى وهى على النقيض من روح القدس . وهذه الروح ليست إلهًا ولا شخصًا مقدسًا وإنما شعاعًا إلهيًا يهدى الله به من يشاء من عباده .

(هـ) حتى لو كانت الصيغة الإنجيلية (باسم الأب والابن والروح القدس) صحيحة ومقبولة من المسيح فإن قبولها كصيغة للإيمان يفترض أن يتوقف مع نزول الإسلام الذى هو مملكة الله الحقيقية على الأرض . والله تعالى بصفته خالق الجميع هو الأب لكل البشر وليس أبًا لشخص معين فقط أيًا كان .

والمستشرقون يعرفون أن الكلمة السامية : أب وأبًا التى تترجم إلى (والد) تعنى : (الشخص المنتج أو المثمر) (أبًا معناها : الثمار) لكن القرآن الكريم لم يستعمل هذه التسمية للخالق لأن النصرانية أساءت استعمالها .

وسواء كانت الصيغة التثليثية صحيحة أو زيفًا فإننى أعتقد أنها تتضمن حقيقة ما لأن الإنجيليين لم يسمحوا باستعمالها فى أى صلاة أو مناسبة دينيـة سوى المعمودية وهى نقطة تثير الانتباه إذ أن يحيي تنبأ عن المعمودية بالروح القدس والنار حيث المعمّد المباشر هو الله ، والوسيط هو ابن الإنسان (البرناشا) المذكور فى رؤيا دانيال والروح القدس هو السبب المادى لصبغة الله . ويحتمل أنه جرت الاستعانة بكلمة أب قبل أن تسئ الكنيسة استعمال هذا اللفظ، إن صبغة الله هى ميلاد جديد فى ظل الإسلام حيث المُعَمّد الذى يسبب هذا الميلاد الجديد هو الله وإن ولادة المرء فى ظل الإسلام يعتبر أعظم منة من الأب السماوى (بحسب التعبير الإنجيلى) .

أما الاسم الثانى فى الصيغة التثليثية وهو (الابن) فإن المرء يقع فى حيرة لمعرفة ابن من هو ؟ فلو كان الله هو (الأب) كما يقولون فأى من أبنائه (مخلوقاته) الذين لا حصر لهم هو المقصود ؟ لقد عَلَّمنا عيسى أن نصلى قائلين **(أبانا الذى فى السماوات)** وهكذا فإن جميع البشر أبناؤه بمعنى مخلوقاته وبالتالى فإن ذكر كلمة (ابن) فى الصيغة التثليثية يصبح سخيفًا غير ذى معنى، أما لقب (ابن الإنسان) أو (برناشا) فقد ورد ثلاثًا وثمانين مرة فى أحاديث عيسى المنسوبة إليه فى الأناجيل . ولكن القرآن لا يذكر عيسى قط على أنه (ابن الإنسان) بل يدعوه (ابْنَ مَريمَ). ومن المستحيل يكون عيسى قد سَمّى نفسه ابن الإنسان أو ابن الرجل لأنه كان ابن امرأة ولا مفر من هذه المعجزة، بإمكانكم أن تدعوه أنه ابن إله كما تفعلون بحماقة دائمًا ، ولكنكم لا تستطيعون أن تدعوا أنه ابن الإنسان إلا إذا ادعيتم أنه ابن يوسف النجار أو غيره مما يضفى عليه (معاذ الله) وصمة اللاشرعية .

وهكذا فقد اقتنعت بداهة أن الاسم الثانى فى الصيغة التثليثية هو التحريف المشؤوم لعبارة ابن الإنسان أي (برناشا) المذكور فى سفر دانيال وهو أحمد (البرقليطوس) المذكور فى إنجيل يوحنا.

أما الرروح القدس فى تلك الصيغة فهو ليس شخصًا أو روحًا معينة ، بل قدرة الله أو وسيلته التى يولد بوساطتها الإنسان مسلمًا أو يُهدى بها إلى الإسلام .

٢ ــ ماذا قال الآباء النصارى الأوائل عن الروح القدس ؟

(أ) يفهم هرماس أن الروح القدس يعنى العنصر الإلهى فى المسيح (**الذى خُلِقَ قبل كل الأشياء**) ودون دخول فى نقاش عقيم حول ما إذا كان هرماس يخلط بين الروح القدس و (الكلمة) أم أن الروح القدس عنصر خاص قائم بذاته يختص بالمسيح ، فإنه يقول أن المسيح خُلِقَ قبل كل الأشياء أى فى البداية وأن الروح حسب اعتقاد هرماس ليست شخصًا .

(ب) جوستين المسمى بالشهيد (١٠٠ - ١٦٧م) ((Justin the martyr)) وتيوفيلُس (Theophilus) (١٢٠ - ١٨٠م) ، يفهمان الروح القدس على أنها صيغة غريبة للتعبير عن (الكلمة) وأحيانا (صفة إلهية) ولكنها قطعًا ليست شخصا إلهيا . ويجب أن نتذكر أن هذين الأبوين اليونانين والكاتبين لم يعرفا شيئا عن الروح القدس الخاص بمعتقدى التثليث الذين ظهروا بعدهما فى القرن الرابع .

(ج) يعرف أثيناغوراس (١١٠ - ١٨٠م) الروح القدس بأنها شعاع من الله يصدر عنه ويعود إليه كأشعة الشمس ويقول ايرينايوس (Irenaeus) (١٣٠- ٢٠٢م) : إن الروح القدس والابن خادمان لله تخضع لهما الملائكة ولكن بعد حوالى قرنين من الزمن يرفع المجمع المسكونى فى نيقية هذين الخادمين إلي رتبة الإله نفسه الذى خلقهما !

(د) كان ألمع وأعلم الآباء الناقضين لعقيدة مجمع نيقية (٣٢٥م) التى ظهرت بعده هو أوريجن (Origen) (١٨٥ - ٢٥٤م) مؤلف الهكسبلا (Hexepla) ، وهو يعطى شخصية للروح القدس ، ولكنه يجعله من مخلوقات الابن .

إن النظرية المتعلقة بهذه الروح القدس لم تكن متبلورة بصورة كافية سنة ٣٢٥م ولذلك لم يحددها مجمع نيقية ولم يعلن عن الشخص الثالث فى الثالوث الذى يفترض أنه يشترك فى المادة والزمن مع الأب والابن إلا سنة ٣٨٦م فى المجمع المسكونى الثانى فى القسطنطينية .

٣ ــ إن كلمة البرقليط (paraclete) لا تعنى المُعَزى ولا المحامى :

كما أن تهجئتها اليونانية الصحيحة هى (paraklytos) وقد جعلتها كتابات

الكنيسة تعني : (شخص يدعى للمساعدة ، محامٍ ، وسيط) . (القاموس اليوناني – الفرنسي تأليف Alexandre) . لكن البديهي أن الكلمة اليونانية التي تقابل معنى المعزى ليست (باراكليتوس Paraklytos) بل (باراكالون Parakalon) وقد وردت هذه الكلمة الأخيرة في الترجمة السبعينية اليونانية مقابل كلمة (مناحيم) العبرية التي تعني (معزى) (انظر سفر مراثي إرميا ٢/١ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ إلخ) ، وهناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة (معزى) وهي باريجوريتس (Parygorytys) مشتقة من (أنا أعزى) .

أما المعنى الآخر وهو (الوسيط أو المحامي) الذي تعطيه الأدبيات الكنيسية لكلمة برقليط فإن الكلمة اليونانية (باراكالون Parakalon) أيضا وليس (باراكليتوس Paraklytos) هي التي تؤدي معنى مشابها لذلك . وهناك أيضا كلمة Sunegorus اليونانية التي تعني (المحامي) وكلمة Meditea اليونانية أيضًا وتعني (الوسيط) أو (الشفيع) .

وبهذه المناسبة أود تصحيح خطأ وقع فيه عالم فرنسي آخر هو أرنست رينان ففي كتابه الشهير (حياة المسيح) يترجم (برقليط) Paraclete إلى (المحامي) ويورد الصيغة السريانية الكلدانية (Peraklit) عكس المدعي (ktighra) من أصل (Kategorus) في حين أن الكلمة السريانية التي تعني وسيط أو شفيع هي (مسعايا) وفي المحاكم تستخدم كلمة (Snighra) من الكلمة اليونانية (Sunegorus) لتعني المحامي ، ويعتبر كثيرون من السريان غير الملمّين باليونانية أن كلمة الـ (برقليطا) الواردة في ترجمة (البشيتا) الآرامية مكونة من كلمتين : (برق) بمعني ينقذ أو يخلص من ، وكلمة (ليطا) ومعناها: الملعون مما يتضمن الفكره القائلة بأن المسيح هوَ **(المخلّص من اللعنة)** مما جعل البعض يعتقد أن هذه الكلمة اليونانية إنما هي آرمية في الأصل ، كما هي الحال في الجملة اليونانية "Maran-Atha" التي تقابلها في الآرامية "Maran-Athi" ومعناها : (سيدنا آتٍ) (ا يوحنا ١٦/ ٢٢) مما يبدو أنه تعبير بين المؤمنين يتعلق بقدوم خاتم الأنبياء والرسل . إن عبارة "Maran-Athi" هذه والصيغة المعمدانية تحويان نقاطًا هامة لا يجوز إغفالها وتستحقان دراسة خاصة لأنهما تجسدان علامات ودلائل ليست في صالح التفسير الكنسي لهما .

ولقرون طويلة كتب الأوروبيون واللاتينيون الجهلة اسم Muhammad على أنه Mahomet واسم Mushi على أنه Moses فهل من عجب أن يكون أحد الرهبان النصارى أو النساخين قد حرف اسم (أحمد Periqlytos) إلى (paraklytos) ؟!

ذلك أن أحمد يعنى **(الأشهر ، أو الجدير بالحمد)** ؟ أما الكلمة المحرفة فهى تعنى العار لأولئك الذين جعلوها تحمل معنى المعزى أو المحامى منذ ثمانية عشر قرنا !! ..

الفصل الثامن عشر

البرقليطوس يعنى أحمد

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾

(سورة الصف آية ٦) .

(وسوف أطلب من الأب وسوف يعطيكم برقليطوس آخر يبقى معكم إلى الأبد) (يوحنا ١٤/١٦ .. إلخ) .

يلاحظ التفكك فى هذه العبارة من إنجيل يوحنا المنسوبة إلى المسيح إذ توحى بأن (برقليطًا) أو (برقليطات) قد جاؤوا فى السابق وأن (برقليطًا) آخر سوف يأتى بناء على طلب عيسى . كما يظهر كأن الحواريين كانوا على بينة من هذا الشخص المسمى برقليطوس فى النص اليونانى ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت كلمة (آخر) التى تلى اسمًا أجنبيًا يذكر لأول مرة مصطنعة ولا لزوم لها . ومن المؤكد أن النص قد تعرض للتشويه فهو يدعى أن الأب سيرسل (البرقليطوس) بناء على طلب المسيح وإلا فإن (البرقليطوس) لن يأتى وهكذا يبدو أن كلمة (أطلب) مصطنعة أيضًا لأنها تظهر بصورة كاذبة لمسة من الوقاحة من جانب المسيح ، وإذا أردنا أن نجد المعنى الحقيقى لهذا النص فعلينا استبعاد التحريف منه ليصبح كما يلى :

(وسوف أذهب إلى الأب ، وهو سيُرسل لكُم رسولاً آخر (أو الرسول الأخير) سيكون اسمه البرقليطوس) لكي يبقى معكم إلى الأبد) ، وبهذا الشكل يعود تواضُع المسيح الذى عرف عنه ، كما يتحدد (البرقليطوس) .

رأينا فى الفصل السابق أن (البرقليطوس) ليس الروح القدس ولا شخصًا إلهيًا ولا جبريل أو غيره من الملائكة وسوف نرى الآن أنه ليس معزيًا ولا محاميًا أو وسيطًا بين الله والبشر :

١ - (البرقليطوس) ليس (المعزى) ولا (الوسيط) والمسيح لم يستخدم كلمة (باراكالون parakalon) اليونانية قطعًا ، كما أن فكرة التعزية أو الوساطة ليست مقبولة أصلاً للأسباب التالية :

(ا) إن اعتقاد الكنيسة أن موت عيسى على الصليب أنقذ المؤمنين من لعنة الخطيئة الأصلية وأن حضوره الدائم فى القربان المقدس سيبقى مع المؤمنين إلى الأبد ، هذا الاعتقاد ترك الناس دون حاجة إلي عزاء أو إلى مجيء معزٍ . وبالمقابل لو أنهم كانوا بحاجة إلى معزٍ فإن جميع الادعاءات حول تضحيةِ المسيح من أجل إنقاذ المؤمنين تصبح عديمة المعنى ولا لزوم لها . والعجيب أن لهجة الأناجيل والرسائل توحى بأن المجيء الثانى لعيسى كان وشيكًا. (متّى ١٦ /٢٨ مرقص ٩/١ ، لوقا ٩/٢٧ ، يوحنا ٢/١٨ ، ٢ تيموثاوس ٢/١ ، تيسالونيكى ٢/٣ .. إلخ) .

(ب) إن العزاء لا يعوض الخسارة فالرجل الذى فقد ابنه أو شيئًا عزيزًا عليه لن يستعيد ما فقده لمجرد التعزية . وإن مجيء المعزّى بعد أن يكون عيسى قد ذهب ما هو إلا إحباط لكافة الآمال بانتصار مملكة الله . والتعزية لو حصلت لأحبطت الحواريين إلى حالة من اليأس والانهيار إذ لم يكونوا بحاجة إلى معزّ بل محارب مظفر ينتصر على الشيطان وأعوانه .

(جـ) أما فكرة الوساطة بين الله والناس فهى أكثر غرابة من فكرة التعزية ، وإن الله تعالى لا يحتاج لوسيط بينه وبين مخلوقاته وأن وسيطنا الوحيد هو عقيدة التوحيد . لقد نصح المسيح أتباعه أن يدخلوا إلى بيوتهم ويغلقوا الأبواب ويصلوا إلى الله سرًا وعند ذلك فقط يستمع (أبوهم الذى فى السماء) لصلواتهم ويستجيب لدعائهم ، فكيف يمكن التوفيق بين ذلك وبين فكرة الوساطة ؟!

(د) إن الأنبياء والملائكة والمؤمنين يصلون ويدعون بعضهم لبعض فى صلواتهم ولكن الله ليس مضطرًا لقبول شفاعة أحد ؛ فلو قبل الله شفاعة عبده (محمد) لتحول جميع البشر إلى الإسلام .

والقرآن الكريم ينفى فكرة الشفاعة فى عدة آيات . وقد تكون فكرة محام يدافع عن موكليه أمام محكمة الله فكرة مدهشة (١ يوحنا ٢/١) ولكنها خاطئة لأن الله ليس قاضيًا بشريًا عرضة للانفعالات والجهل والتحيّز وهو يعرف نفوسنا وقلوبنا أكثر من معرفتنا بها وبالتالى فإن الشفاعة والوساطة لا محل لها ولا داع .

(هـ) إن الاعتقاد بالوساطة والشفاعة يعكر الصفاء الروحي بين المرء وربه ويقود البشر إلى عبادة الأضرحة وتماثيل وصور الأنبياء والشهداء ، كما يزيد من نفوذ القديس والراهب الذى يضع نفسه موضع ولى الأمر وصاحب الشأن فيقبل على الجشع وجمع الأموال الضخمة من أجل تكوين إرساليات تنصير غنية فى حين أن معظم هؤلاء المنصرين جواسيس لحكوماتهم وهم سبب المصائب التى حلّت بالأرمن واليونان والآشور والكلدان فى تركيا وإيران بسبب تعليمات الخيانة والثورة التى صدرت عن الإرساليات الأجنبية فى الشرق .

والآن بعد أن تبين أن البرقليط المذكور فى إنجيل يوحنا لا يعنى ولا يمكن أن يكون معزيًا أو محاميًا أو وسيطًا وأن الكلمة قد شوهت من كلمة برقليطوس Perqlytos ، تشرح المعنى الحقيقى للكلمة الأصلية :

٢ - إن كلمة برقليطوس تعنى من الناحية اللغوية البحتة : (الأمجد والأشهر والمستحق للمديح) وإن قاموس Alexqndre, Dicti onaire Grec Fancais يفسر كلمة (Preiqlytos) فيقول :

" Qu'on peut entendre de tous les Cotes' qu'il est facile a entendre. Tres celebre, "etc," = periqleitos, tres celebre, illustre, glorieux; = Preiqleys, tres celébr, illustre, glorieux, = Kleitos, renomee, celebrite .

وهو اسم مركب ذى مقطعين الأول (Peri,) والثانى (Kleitos) مشتق من التمجيد أو الثناء ويُكتب (Periqleitos) أو (Periqlytos) مما يعنى تمامًا اسم

أحمد باللغة العربية أى أكثر ثناء وحمداً . ولكن ما هو الاسم السامى الأصلى الذى استخدمه عيسى المسيح بلغته العبرية أو الآرامية ؟!

(أ) تحتوى نسخة البشيتا Peshitta السريانية على كلمة (براقليطا) دون تفسير لمعناها ولكن الترجمة اللاتينية المعتمدة (فالجيت Vulgate) تترجم الاسم إلى مُعزّ . وإذا لم أكن مخطئًا فإن الصيغة الآرامية كانت (مْحَمْده) أو (حَمِدَه) مما يقابل كلمة محمد أو أحمد بالعربية وكلمة البرقليطوس باليونانية .

(ب) فى الآية القرآنية (٦) من سورة الصف أعلن عيسى ابن مريم أنه كان **﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾** وهذا من أقوى البراهين على نبوة محمد وعلى أن القرآن تنزيل إلهى فعلاً إذ لم يكن فى وسع محمد أن يعرف أن كلمة البرقليطوس كانت تعنى أحمد إلا من خلال الوحى وهذه حجة جازمة ونهائية لأن المدلول الحرفى للاسم اليونانى يعادل بدقة كلمتى (أحمد ، ومحمد) .

ومن المدهش أن الوحى قد ميَّز صيغة أفعل التفضيل من غيرها أى (أحمد) من (محمد) . ومن المدهش أيضًا أنه اسمًا فريدًا لم يعطَ لأحد من قبل ، إذ حُجِزَ بصورة معجزة لخاتم الأنبياء والرسل وأجدرهم بالثناء . ذلك أن اسم برقليطوس لم يطلق على أى يونانى قط كما أن اسم أحمد لم يطلق على أى عربى قبل النبى محمد . صحيح أنه وجد أثينىٌّ مشهور اسمه بركليس Periqleys بمعنى الشهير .. ولكن ليس بمعنى الأشهر .

(جـ) يصف الإنجيل الرابع البرقليطوس أنه شخص محدد المعالم، وروح مقدسة مخلوقة تسكن جسمًا بشريًا وتنجز عملاً هائلاً لم ينجزه أحد من الأنبياء من قبل بمن فيهم موسى وعيسى وغيرهما .

ومع أنه يمكن أن يفهم البعض من الروح القدس - ما لم توصف بأنها شخصية محددة - أنها قدرة الله وإلهامه . إلا أن هذه الروح مختلفة تمامًا عن البرقليطوس الذى استطاع وحده إنجاز العمل العظيم الذى لم يكن لعيسى أو للحواريين من بعده أن يُخَولوا بإنجازه .

(د) اعتمد النصارى الأوائل فى القرن الأول والثانى على النقل الشفهى والروايات أكثر من الكتابات فيما يتعلق بالإنجيل والدين الجديد وحتى فى أيام الحواريين انتشر العديد من المذاهب والأدعياء والدجالين مما أدى إلى إحداث انشقاقات لا يستهان بها (١ يوحنا ٢/١٨-٢٦) ، (٢ تيسالونيكى ٢/١ - ١٢ ، ٢ بطرس ٢,٣/١ ، ١ تيموثاوس ٤/١ - ٣ ،٢ تيموثاوس ٣/١ - ١٣ ... إلخ) وقد نصح المؤمنون وقتها بالالتزام بتعاليم الحواريين الشفوية أما المذاهب التى وصمت بالهرطقة مثل الغنوصيين Gnostics والأبوليناريين Appolinarians والدوكيتيين Docetas وغيرهم ، فيبدو أنها لم تكن بالأساطير والخرافات المضخمة عن تضحية المسيح وفدائه التي ذكرها إنجيل لوقا (١/١-٤) .

وقد اتخذ أحد زعماء تلك المواهب لنفسه اسم (البرقليطوس) وادعى أنه النبى (الأحمد) الذى تنبأ به المسيح ، وصار له أتباع عديدون ، ولو كان هنالك إنجيل صحيح مؤيد من المسيح أو من جميع الحواريين لما وجدت تلك المذاهب الكثيرة والمناقضة لمحتويات العهد الجديد فى حينه ، ونستطيع أن نستنتج باطمئنان من ادعاء البرقليط المزيف أن النصارى الأوائل كانوا يتوقعون أن يجىء (روح الحق) على صورة رجل يكون خاتم الأنبياء والرسل .

٣ - إن اسم (برقليطوس) باليونانية و (أحمد) بالعربية لهما معنى واحد وهو : (الأشهر أو الأكثر حمْدًا) . وقد رأينا أن ترجمة الكلمة إلى (مُعَزٍ) أو (محام) مستحيلة وخاطئة فلنفحص الآن علامات البرقليطوس التى لا توجد فى غيره .

(ا) لقد صحح محمد الانحرافات التي أدخلت على الأديان السماوية من قبله وقد وصف عيسى البرقليطوس بأنه (روح الحق) التي سوف تشهد لطبيعة عيسى ورسالته (يوحنا ١٤/١٧ ، ١٥/٢٦)، وتحدث عيسى في خطبه وأقواله عن الوجود السابق لروحه (يوحنا ٨/٥٨ و ١٧/٥ .. إلخ) . ويذكر إنجيل برنابا أن عيسى تحدث مرارًا عن مجد روح محمد التى رآها مما يدل أنها كانت موجودة على الأقل منذ زمن عيسى . ولقد وبّخ (روح الحق) النصارى على تقسيم وحدة الله إلى ثالوث من الأشخاص وعلى رفع عيسى

إلى مرتبة إله وابن إله ، كما فضح أضاليل اليهود والنصارى فى تزييف كتبهم المقدسة ، وندد باليهود بسبب افتراءاتهم ضد عذرية وطهارة مريم وبرهن على حق البكورية لإسماعيل وبرّأ لوطًا وسليمان وكثيرين من الأنبياء من الدنس والتهم التى ألحقها المزيفون اليهود بهم . كما شهد (روح الحق) بحقيقة عيسى كنبى ورسول وعبدٍ من عباد الله ، وقضى على الوثنية والشرك .

(ب) واحدة من أكبر علامات (البرقليطوس - روح الحق) عندما يأتى فى شخص ابن الإنسان - أحمد - أنه سوف (يوبخ العالم على الخطيئة) (يوحنا ١٦/٨) . وفى الواقع تلاحظ أنه لم يضاه محمدًا أحد قبله فى مثل هذا التوبيخ ، لقد استأصل الوثنية أم الآثام واستأصل الشرك وعبادة الأشخاص ومع أن جميع الرسل قبل محمد قاموا بتأنيب مرتكبى الخطايا من شعوبهم ولكن محمدا قام بذلك على نطاق العالم كله إذ لم يقتصر عمله فقط على اقتلاع الوثنية من شبه الجزيرة العربية بل بعث رسله إلى كسرى أبرويز وهرقل وهما حاكمان لأعظم إمبراطوريتين فى ذلك العصر كما أرسل إلى ملك الحبشة وحاكم مصر والعديد من الملوك والأمراء الآخرين ، يدعوهم إلى الإسلام ونبذ الكفر والعقائد الباطلة . وقد بدأ محمد بتبليغ كلمة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن عندما عارضته قوى الشر اضطر للدفاع عن دين الله تنفيذًا لأمر الله (سفر دانيال، الفصل ٧) ، وقد منح الله محمدًا القوة والسلطان لتأسيس مملكة الله وليكون أول أمير لها تحت سلطة (ملك الملوك ورب الأرباب) .

(جـ) ومن علامات (البرقليطوس - أحمد) الأخرى أنه **(سوف يوبخ العالم لأجل الخطيئة والاستقامة والعدالة)** (يوحنا ١٦/٨) أما تفسير (الاستقامة) بما نُسب إلى عيسى من قوله : **(لأننى ذاهب إلى أبى)** (يوحنا ١٦/١٠) فهو تفسير غامض مبهم . إذ يجعل عودة عيسى إلى ربه سببًا كافيًا لتأنيب العالم بوساطة (البرقليطوس) ، لماذا ؟ ومن الذى أنّبَ العالم بسبب ذلك ؟ لقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا عيسى وقتلوه ولم يؤمنوا أنه رُفِعَ إلى السماء . ثم عاقبهم محمد ووبّخهم بشدة بسبب كفرهم هذا . وقد أصاب هذا التوبيخ النصارى الذين يعتقدون أنه صُلِبَ ومات على الصليب وأنه إله أو ابن الله ، وقد أوضح القرآن هذه النقطة بقوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (سورة النساء ١٥٧ ، ١٥٨) ،

علمًا أن الكثيرين من النصارى الأوائل أنكروا صلب المسيح وأصروا على أن أحد أتباعه (يهوذا الاسخريوطى) أو شَبَهًا له ألقى القبض عليه وصُلب بدلاً منه .

كما أن الكورنثيون Cornithians والبازيلديون Basilidians والقربوبقراطيون Corpocratians وغيرهم كثيرون كانوا من نفس الرأى . وقد ناقشتُ بإسهاب موضوع الصلب فى كتابى (الإنجيل والصليب) وقد صدر منه مجلد واحد فقط بالتركية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . والخلاصة أن محمدا قد أنصف عيسى المسيح عندما أوضح أن عيسى روح من الله وأنه لم يصلب أو يُقتل وأنه لم يكن إلها ولكن رسول كريم من الله ، وهذا ما قصده عيسى بالضبط عندما تكلم عن تحقيق العدالة حول شخصه ورسالته ورفعه وقد تحقق ذلك فعلاً على يد (البرقليطوس أحمد) .

(د) من أهم علامات (البرقليطوس) أيضًا أنه **(سوف يؤنب العالم لأجل الدينونة) (لأن رئيس هذا العالم قد أدين)** (يوحنا ١٦/٨-١١)

أما رئيس هذا العالم فهو الشيطان (يوحنا ١٢/٣١ . ١٤/٣٠) لأن العالم كان خاضعًا له . وفى الفصل السابع من سفر دانيال يصف النبى دانيال كيف عقدت الدينونة الكبرى وصدر الحكم الإلهى بتحطيم ديانة الشيطان على يد البرناشا (ابن الإنسان) محمد ويستخدم دانيال تعابير مشابهة جدًا لتعابير القرآن الكريم عن يوم الحساب أو الدينونة وعن الدين الحق أى الإسلام ، وأن استعمال القرآن لكلمة ﴿دِيْن﴾ الواردة فى سفر دانيال (بالآرامية دينا) بما يعنى الحكم أو الدينونة أو الدين أمر فى غاية الأهمية لأنه في رأيي من أحد البراهين على الحقيقة التى أنزلها الروح القدس جبريل على كل من دانيال وعيسى ومحمد إذ لم يكن باستطاعة محمد أن يختلق هذا أو يلفّقه حتى ولو كان فيلسوفًا ضليعًا كأرسطو .

إن الحكم الذى جرى وصفه فى سفر دانيال كان لإدانة الشيطان الذى جسّده الوحش الرابع (الإمبراطورية الرومانية) وأن مهمة القضاء عليه لم تُسنَد إلى عيسى عليه السلام لأنه كان عازفًا عن الشؤون السياسية وقد دفع الرسوم لقيصر وانسحب عندما أرادوا تتويجه ملكًا وقد أعلن بوضوح أن سيد هذا العالم قادم وأن (البراقليطوس أحمد) سوف يجتث الوثنية وهو ما تحقق بالفعل .

(هـ) والعلامة الأخيرة للبرقليطوس هى أنه : **(لا يتكلم من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بما يأتى)** (يوحنا ١٦/١٣) . وهكذا كان محمد ينطق بالوحى كما يسمعه من جبريل وكان الوحى يدون على يد الكتبة المختارين حتى تم جمع القرآن ، أما تعاليم محمد الشخصية وأقواله فإنها رغم أهميتها لم تجمع وتدون إلا بعد وفاته بعشرات السنين ولا علاقة لها بالوحى أو القرآن ولذلك فهى تدعى بالأحاديث الشريفة .

هذا هو البرقليطوس الحقيقى إذن ! فهل باستطاعتكم أن تدلونا على أى شخص آخر تنطبق عليه كل هذه الصفات والعلامات والمميزات التى للبرقليطوس ؟ إنكم لا تستطيعون !...

الفصل التاسع عشر

من هو ابن الإنسان

يذكر القرآن الكريم عيسى المسيح عليه السلام على أنه المسيح ابن مريم ، ولكن الأناجيل التي بين أيدينا لم تكتفِ بأنه المسيح ابن مريم والسبب أن الإنجيل الحقيقي الذي أوحى إلى المسيح ونقل إلى تلاميذه وأتباعه شفهيًا قد أصابه التحريف وأضيفت إليه الخرافات والأساطير - فأصبح ابن مريم : ابن يوسف تارة[1] ، وله إخوة وأخوات[2] ، ثم أصبح ابن داود تارة أخرى ، ثم ابن الإنسان[3] ، ثم ابن الله[4] ، ثم الابن فقط[5] ، ثم المسيح[6] ، ثم الحَمَل[7] .

ومنذ سنوات وقتما كنت قسيسًا كاثوليكيًا زرت قاعة إكستر (Exeter Hall) في لندن وصادف أن استمعت إلى واعظ طبيب شاب يخطب في اجتماع لجمعية الشبّان المسيحيين . وكان من جملة ما قال **(أكرر ما سبق أنْ قُلته مرارًا وهو أن عيسى أحد اثنين : فهو إما ما يدعيه في الإنجيل ، أو هو أكبر دجّال شهده العالم)** ومنذ ذلك الوقت لم أنسَ ذلك الكلام الضيّق الأفق

---

(١) (متى ١٣/٥٥ ، ٥٦) (مرقص ٦/٣ ، ٣/٣١) (لوقا ٢/٤٨ ، ٨/٩-٢١) (يوحنا ٢/١٢ ، ٧/٣-٥) (الأعمال ١/١٤) (الكورنثيين الأول ٩/٥) (غلاطية ١/١٩) ، (يهوذا ١/) .

(٢) (متى ٢٢/٤٤) (مرقص ١٢/٣٥) (لوقا ٢٠/٤١) (متى ٢٠/٣٠ ، ٩/٢٧ ، ٢١/٩) (الأعمال (١٣/٢٢ ، ٢٣) (الرؤيا ٥/٥) (رومية ١٥/١٢) (العبرانيين ٧/١٤) .

(٣) تكررت هذه التسمية ثلاثا وثمانين مرة تقريبًا في الخطب المنسوبة إلى عيسى .

(٤) (متى ١٤/٣٢ ، ١٦/١٦) (يوحنا ١١/٢٧) (الأعمال ٩/٢٠) يوحنا ٤/١٥، ٥/٥) العبرانيين ١/٢، ٥) ... إلخ .

(٥) (يوحنا ٥/١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ .. إلخ وفي الصيغة المعمدانية (متى ٢٨/١٩) ، (يوحنا ١/٣٤) . (٦) (متى ١٦/١٦) وتكرر في الرسائل . (٧) (يوحنا ١/٢٩ ، ٣٦) وتكرر أيضًا في سفر الرؤيا .

إذ لم يترك خيارًا لأحد سوى أن يكون عيسى ابنًا لله أو أكبر دجال فمن يقبل الخيار الأول فهو مسيحى تثليثى ، ومن يقبل الثانى فهو يهودى كافر . أما نحن الذين نرفض الخيارين كليهما فمسلمون موحّدون . فالمعنى الذى تحدده الكنائس لعبارة (ابن الله) يرفضه المسلمون لأن المسيح ليس وحده (ابن الله) وليس وحده (ابن الإنسان) وإذا سُمح لنا مجازًا أن ندعو الله أبًا فإن كل نبي وكل مؤمن مستقيم سيكون (ابنًا لله) بنفس المعنى وإذا كان عيسى كما يزعمون «ابن يوسف النجار» وإذا كان له أربعة إخوة وعدة أخوات متزوجات كما تدعى الأناجيل ؛ فلماذا يكون وحده جديرًا باللقب الغريب (ابن الإنسان) الذى ينطبق على كل بشر .

ومن عجب أن لهؤلاء القسس والرعاة واللاهوتين والمكابرين منطقًا غريبًا فى الجدل وميلاً أغرب للأمور الغامضة السخيفة والأعجب أنهم لا يميزون بين الاصطلاحات والألقاب والتسميات التى يستخدمونها كما لا توجد لديهم فكرة محددة عنها . ولديهم مقدرة لا يحسدون عليها فى تنميق الأقوال المتناقضة التى لا يمكن التوفيق بينها والتى لا يصدقها أحد غيرهم ، فهم قادرون على الاعتقاد أن مريم كانت عذراء وزوجة فى وقت معًا ، وأن يوسف كان الرفيق والزوج ، وأن جيمس ويوسى وسمعان ويهودا كانوا أبناء عمومة عيسى وإخوانه فى نفس الوقت ، وأن عيسى إله كامل وبشر كامل ، وأنه أيضًا ابن الله وابن الإنسان والحمل وابن داود ، وهم يعبدون المصلوب ويعبدون الله تعالى ، ولا أعتقد أنه يوجد مسيحى واحد فى كل عشرة ملايين لديه فكرة عن مصطلح (ابن الإنسان) ودلالته الحقيقية ، ويدعى القساوسة والوعاظ أن المسيح قد اتخذ اسم ابن الإنسان أو (البرناشا) بدافع من التواضع والحلم والمسالمة متجاهلين أسفار الرؤى اليهودية Apocalyptical Scriptures التى آمن بها المسيح والحواريون والتى تنبأت بابن الإنسان الذى لن يكون مسالمًا ولن يكون عاجزًا عن إيجاد مكان يضع فيه رأسه ولن يُسلّم لأيدى الأعداء ولكنها تنبأت بابن الإنسان القوى المظفر الذى يتغلب على الطيور الجارحة والوحوش الشرسة التى رمزت إلى قوى الشر التى كانت تفتك بخرافه وحِمْلانه أى شعبه . وقد كان اليهود الذين سمعوا عيسى يتكلم عن ابن الإنسان يعرفون حق المعرفة عمن كان يتكلم ، ذلك أن

المسيح لم يبتكر ذلك اللقب بل أخذه عن أسفار الرؤى اليهودية : سفر إدريس ، الأسفار السبيلينية Sibylline Books ، وسفر دانيال ، .. إلخ ولنتفحص الآن أصل هذا اللقب .

١ ـ (ابن الإنسان) هو آخر الأنبياء الذى أنشأ مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض العبودية والاضطهاد الذى كان يُمارس تحت سلطة الشيطان (الوثنية) ولَقَب بارناشا هو لقب رمزى يميّز المنقذ عن بقية عباد الله الذين يرمز إليهم بالخراف ، بينما يرمز إلى الأمم الكافرة بالطيور الجارحة والوحوش الشرسة ، وقد خاطب الله تعالى النبى حزقيال (ذو الكفل) بلقب ابن آدم أى ابن الإنسان بمعنى راعى خراف إسرائيل . وفى أول رؤيا يبدأ بها سفر حزقيال يُشاهد ابن الإنسان بجانب العرش النورانى لله تعالى (سفر حزقيال ١/٢٦) ويتكرر ذكر ابن الإنسان فى ذلك السفر وأنه دائمًا فى حضرة الله وفوق الملائكة وهو ليس حزقيال نفسه (سفر حزقيال ١٠/٢) بل آخر الأنبياء الذى أوكل إليه إنقاذ عباد الله من سلطان الكفر والوثنية .

(أ) ابن (الإنسان) حسب رؤيا إدريس (إينوخ) :

يسمى القرآن إينوخ بلقبه (إدريس) وهو الصيغة العربية لكلمة دريشا الآرامية من فئة الأسماء البسيطة كإبليس وبْليسا[1] ومعنى كلمة (إدريس) و (دريشا): علاّمة من (دَرَشْ) فى الآرامية وفى العربية (دَرَسْ) يقول النص القرآنى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾
(سورة مريم ٥٦-٥٧)

ويبدو أن المفسّرين المسلمين : البيضاوى وجلال الدين كانا يعرفان إن إدريس قد درس الفلك والفيزياء والحساب وأن إدريس تعنى شخصًا علاّمة ويحتمل أن سفر رؤيا إدريس كان موجودا أيامهما . ولاشك أن عيسى كان على معرفة جيدة برؤيا إدريس كما أن يهوذا (أخا جيمس) و (خادم عيسى المسيح) و (أحد الإخوة المزعومين لعيسى)[2] كان يعتقد أن إدريس هو

---

(١) إبليس : الصيغة العربية لكلمة الآرامية (بْليسا) وهى صفة للشيطان وتعنى (المسحوق أو المقهور) . (٢) تدعى الأناجيل أنه واحد من أربعة إخوة لعيسى هم جيمس ويوسى وسمعان ويهوذا (إنجيل متى ١٣/٥٥ ، ٥٦ .. إلخ) .

المؤلف الحقيقى للكتاب الذى يحمل اسمه كما كان يعتقد أن إدريس هو الجد السابع بعد آدم (سفر يهوذا ١/١٤) . وهناك بعض الأجزاء المبعثرة لهذه الرؤيا محفوظة ضمن مقتبسات بعض الكتاب المسيحيين الأوائل وقد ضاع السفر قبل زمن فوتيوس (Photius) بكثير ولم يظهر بعد ذلك إلا فى أوائل القرن الماضى ضمن لائحة أسفار الكنيسة الحبشية . وقد ترجمها الدكتور دلْمان Dillamann من الأثيوبية إلى الألمانية وأضاف إليها ملاحظاته وشرحه[1] .

يقسم سفر إدريس إلى خمسة أجزاء و (١١٠) فصول . فى الجزء الأول منها يصف المؤلف سلالات من العمالقة يبتدعون ضروبًا من الشرور والسحر والرذيلة حتى أن الله سبحانه وتعالى يعاقبهم بالطوفان . كما يصف رحلة له تكررت مرتين إلى السماء بصحبة الملائكة . وفى الجزء الثانى يصف «مملكة السلام» ويذكر (ابن الإنسان) الذى يلقى الملوك الفاسدين فى جهنم (سفر إدريس ٤٦/٤-٨) ويبدو أن هذا الجزء الثانى قد كتبه عدة مؤلفين ويتضح فيه التحريف من قبل الكنيسة . أما الجزء الثالث ففيه بعض الأفكار الغربية المتطورة فى الفلك والطبيعة . وفى الجزء الرابع حكايات رمزية أسطورية عن الجنس البشرى منذ بدء الخليقة حتى أيام الإسلام التى يدعوها المؤلف العصر المسيحانية Messianic . وفى هذه الحكايات يرمز إلى سلالة يعقوب بقطيع من الغنم وهم شعب إسرائيل المختار ويرمز إلى سلالة أخيه عيص وهم الأدوميون بقطيع من الخنازير البرية ، ويصف الكاتب كيف يتعرض قطيع الغنم للمضايقة والتشريد والقتل من قبل الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة التى ترمز إلى الوثنية والكفر وكيف أن كبشًا شجاعًا يقاوم بشدة وأخيرًا يظهر (ابن الإنسان) الذى يأتى لينقذ القطيع .

أما الجزء الخامس من الكتاب فيحتوى مواعظ دينية وأخلاقية ، والخلاصة أن سفر إدريس بشكله الحالى يتضمن أدلة على أن تدوينه تم بالآرامية من قبل يهودى فلسطينى فى تاريخ متأخر قد يكون عام ١١٠ ق.م , وهذا هو رأى الموسوعة الفرنسية .

---

(١) ترجمها إلى الإنجليزية أيضًا أسقف إيرلندى اسمه لورنس .

بعد اعتماد مجموعة الكتب العبرية المقدسة فى القرن الرابع ق.م . من قبل (أعضاء الكنيس الأكبر) الذى أسسه (عزير ونحميا) صار يطلق على جميع الكتب الدينية الأخرى التى لم تدرج ضمن هذه المجموعة اسم (الأبوكريفا) أى الأساطير وقد استبعدت هذه الكتب من قبل مجمع العلماء اليهود كان آخرهم سمعان العادل الذى توفى سنة ٣١٠ق .م ومن الكتب الأبوكريفا هذه رؤى إدريس وباروخ وموسى وعزير والكتب السبيلية Si-bylline Books التى كُتبت فى فترات مختلفة منذ عهد المكابيين حتى بعد تدمير القدس على يد تيطوس إمبراطور روما ، ويبدو أنه كان من الشائع بين «الحكماء» اليهود تأليف أدبيات أسطورية (أبو كريفية) ودينية تنسب إلى بعض الشخصيات الدينية الشهيرة ، ولا تشذ الرؤيا الموجودة فى آخر العهد الجديد والتى تحمل اسم يوحنا المقدس عن هذه العادة اليهودية النصرانية . وإذا كان يهوذا (الأخ المزعوم للمسيح) قادرًا على تصديق أن إدريس (الذى يعدونه الجد السابع بعد آدم) كان حقيقة مؤلفًا للمئة وعشرة فصول التى تحمل اسمه ، فلا عجب أن يصدق كل من جوستين الشهيد وياباياس ويوزيبيوس صحة تأليف الكتب المنسوبة إلى متى ويوحنا .

وليس هدفى التعليق على هوية المؤلف الحقيقى أو على فحوى هذه الرؤى الغامضة المبهمة التى كتبت فى ظروف مؤلمة من تاريخ الأمة اليهودية . ولكن هدفى هو استقصاء أصل تسمية (ابن الإنسان) ومحاولة معرفة دلالته الصحيحة ، ذلك أن كتاب إدريس مثل رؤى الكنائس ومثل الأناجيل يتحدث عن مجىء (ابن الإنسان) لإنقاذ شعب الله من أعدائه وهو يخلط بين هذه التوقعات وبين يوم الحساب .

(ب) إن الرؤيا السبيلية Syblline Revelation التى كتبت بعد الانهيار الأخير للقدس نتيجة اجتياح الجيوش الرومانية (٧٠م) تقول إن (ابن الإنسان) سوف يظهر ليدمر الإمبراطورية الرومانية وينقذ المؤمنين الموحدين ، وقد كُتب هذا السفر بعد المسيح بحوالى ثمانين عامًا على الأقل .

(جـ) فى الفصل السادس من هذا الكتاب عرضنا موضوع ابن الإنسان فى رؤيا دانيال التى يكلف فيها ابن الإنسان بالقضاء على الوحش الرومانى . كما أن الرؤى (Assumption Of Moses) فى كتاب باروخ مشابهة لذلك تقريبًا وجميعها تصف المنقذ على أنه (بارناشا) أو ابن الإنسان .

٢ – من المستحيل أن يكون (ابن الإنسان) المذكور فى الرؤى هو عيسى المسيح ، لأن ذلك اللقب لم ينطبق عليه بأى شكل من الأشكال وإن جميع ادعاءات (الأناجيل) التى تجعل (حَمَلَ) الناصرة يمسك بالملوك الفاجرين ويلقى بهم فى الجحيم (سفر إدريس ٤٦/٤–٨) تفتقر إلى الحد الأدنى من المصداقية . والمسافة التى تفصل عيسى المسيح عن (ابن الإنسان) أبعد من المسافة التى تفصل الأرض عن المريخ . لاشك أن عيسى المسيح لم يكن ابن الإنسان ولا المنقذ الذى تنبّأ به أنبياء اليهود وأصحاب الرؤى وكان اليهود على حق فى إنكار ذلك اللقب وتلك الوظيفة عليه لكنهم كانوا حتمًا مخطئين فى إنكار نبوته كما كانوا مجرمين فى محاولة قتله .

بعد وفاة سمعان العادل سنة ٣١٠ ق.م تمّ استبدال مجمع الكنيس اليهودى الأكبر بمجلس (السّنهِدرين Sanhedrin) الذى كان رئيسه يلقب بالأمير (Nassi) ، ومن العجيب أن يعتبر نبيًا هذا الأمير الذى نطق بالحكم ضد عيسى قائلاً : **(من الأنسب أن يموت رجل واحد بدلاً من تدمير أمّة بكاملها)** (إنجيل يوحنا ٥٠/١١) فلو كان ذلك الأمير نبيًا حقًا فكيف لم يتعرف على شخصية المسيح وعلى مهمته النبوية ؟

وفيما يلى الأسباب الرئيسية فى أن عيسى لم يكن (ابن الإنسان) أو المنقذ الموعود فى الرؤى :

(أ) لا يمكن لأى رسول أن يتنبأ عن إعادة تجسّده ويقدم نفسه على أنه بطل أحداث هامة سوف تحدث فى المستقبل .

لقد تنبأ يعقوب عن (رسول الله) (سفر التكوين ١٠/٤٩) ، وموسى عن النبى الذى سيأتى بالشريعة وأمر إسرائيل أن تطيعه (سفر التثنية ١٨/١٥– ١٨) ، وتنبأ حجّى Haggai عن أحمد (سفر حجّى ٧/٢) ، وملاخى عن رسول العهد وعن إيليا (سفر ملاخى ١/٣ ، ٥/٤) ، ولكن أحدًا من الأنبياء لم يتنبأ عن عودته بنفسه ثانية إلى هذا العالم . وما يعتبر شاذًا فى حالة عيسى أن ينسب إليه القول بإنه (ابن الإنسان) مع أنه لم يكن قادرًا على القيام بالحد الأدنى من مهام (ابن الإنسان) . فلو أنه أعلن لليهود الذين كانوا فى قبضة الرومان أنه كان ابن الإنسان حقًا ثم دفع الضريبة لقيصر واعترف أن ابن الإنسان «لم يجد محلاً يضع عليه رأسه»

ثمّ أجّل إنقاذ شعبه من الحكم الرومانى إلى أجل غير مسمى لكان ذلك استهتارًا وإنكارًا للنبوءات وأن من ينسبون هذه الأقوال الضعيفة إلى عيسى يعطون الانطباع بأنهم أغبياء أو أنهم يتعمدون الإساءة لعيسى .

(ب) لقد عرف عيسى أكثر من أى شخص آخر فى إسرائيل من هو (ابن الإنسان) وماهى مهمته . إذ كان عليه أن ينزع الملوك الفاجرين من عروشهم ويرميهم فى جهنم . إن رؤيا باروخ وعزير (الكتاب الرابع لـ «إيزدراس» فى الترجمة اللاتينية المعتمدة للكتاب المقدس) تتحدث عن ظهور ابن الإنسان الذى يقيم مملكة السلام (الإسلام) على أنقاض الإمبراطورية الرومانية وهكذا كانت جميع الرؤى الأسطورية ترينا التصور اليهودى لمجىء آخر المنقذين العظماء الملقب (بابن الإنسان والمخلص والمنتظر) ، ويستحيل تصور أن عيسى كان جاهلاً بتلك الكتابات والتطلعات المتحمسة من قومه ولذا ما كان ليسبغ على نفسه أيًا من هذين اللقبين بالمعنى الذى حدده مجلس القضاء الأعلى (السنهدرين) فى القدس وبالمعنى الذى تعلقه اليهودية على هذه الألقاب لأنه لم يكن (ابن الإنسان ولا المخلّص المنتظر) ، فمن جهة لم يكن لديه برنامج سياسى أو خطة اجتماعية لتحقيق مهام ابن الإنسان ومن جهة ثانية فإنه كان السلف والمبشّر بـ (ابن الإنسان وللمخلّص المنتظر) الرسول المظفر وسلطان الأنبياء .

(جـ) إن التفحّص المحايد للقب (ابن الإنسان) الذى نُسب ثلاثًا وثمانين مرة إلى لسان عيسى يؤدى إلى القناعة القطعية بأنه لم يتخذ ذلك اللقب لنفسه ونلاحظ أنه كثيرًا ما استعمل ذلك اللقب بصيغة الغائب أى على شخص آخر من المفترض ظهوره مستقبلاً وإليكم بعض الأمثلة :

١ ـ قال بعض أحبار اليهود مخاطبًا عيسى : سأتبعك أنّى ذهبت فأجابه عيسى : **(للثعالب جحورها ، ولطيور السماء أعشاشها ، أما ابن الإنسان فليس له مكان يضع عليه رأسه)** (إنجيل متى ٨/٢٠) ، وبعد ذلك مباشرة يمنع عيسى أحد أتباعه من الذهاب لدفن أبيه ، ومن عجب أننا لا نجد معلّقًا أو مفسرًا أو كاهنًا واحدًا يكلف نفسه عناء التفكير السليم أو يستخدم أدنى قدر من الذكاء لتفسير مغزى رفض عيسى السماح للحبر العالم أن يتبعه فى حين يمنع أحد أتباعه من الذهاب لمجرد دفن أبيه ، فطالما كان لدى

عيسى مكان لثلاثة عشر رأس فليس من المستحيل عليه إيجاد مكان للرأس الرابع عشر عدا عن أنه كان يستطيع ضمه إلى السبعين من تابعيه (لوقا ١٠/١)، خاصة أن السائل لم يكن صياد سمك جاهل كأبناء زبدى ويونس بل عالمًا ضليعًا لا مجال للشك فى إخلاصه وكان يظن أن عيسى هو المخلص المنتظر أى (ابن الإنسان) الذى يوشك أن يدعوه جنوده من السماء ويستعيد ملك داود . لكن عيسى لاحظ اعتقاده الخاطئ وأفهمه بلباقة أن من لا يملك ذراعًا من الأرض يضع عليه رأسه لا يمكن أن يكون (ابن الإنسان) ، وهو لم يرد أن يكون فظًا ولكن أفهمه الحقيقة بلطف ولباقة وأنقذه من التعلق بآمال وهمية .

٢ ـ ينسب إلى عيسى المسيح القول أن (ابن الإنسان) سوف يفرز الخراف من الماعز (إنجيل متى ٢٥/٣١-٣٤) ، ويقصد بالخراف اليهود المؤمنين والماعز اليهود غير المؤمنين الذين قضى عليهم بالدمار ، وهو ما تنبأت به رؤيا إدريس . لقد كان عيسى مرسلاً لحث خراف إسرائيل على التمسك بإيمانها (إنجيل متى ١٥/٢٤) حتى مجيء ابن الإنسان الذى سينقذها بصورة نهائية ولم يكن هو (ابن الإنسان) كما لم تكن له علاقة بالسياسة ولا بالخراف والماعز التى رفَضَتْه جميعًا إلا ما قلّ منها .

٣ ـ قيل إن ابن الإنسان هو (سيد يوم السبت) بمعنى أنه سوف سيبطل القانون الذى جعل من السبت يومًا محرّمًا للراحة . فى حين أن عيسى التزم بالسبت بدقة ، وكان يحضر الصلاة فى الهيكل أيام السبت وأمر أتباعه بالدعاء أن لا تكون هزيمة اليهود ودمار القدس فى يوم السبت ، فكيف يصح الزعم أنه ابن الإنسان وسيد يوم السبت ، فى حين كان يراعى أيام السبت ويحافظ على قدسيتها بدقة كأى يهودى ؟ وكيف يعقل أن يتخذ لنفسه ذلك اللقب الهام وفى نفس الوقت يتنبأ بدمار الهيكل والقدس ؟

وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى التى تؤيد أن عيسى لا يمكن أن يكون قد اتخذ لقب (بارناشا) أو (ابن الإنسان) لنفسه . ولكنه نسب هذا اللقب إلى خاتم الأنبياء والرسل الذى أنقذ (الخراف) أى اليهود المؤمنين وقضى على (الماعز) أى الكفار منهم وألغى يوم السبت وأقام مملكة السلام (الإسلام) .

وفى الحلقة التالية سوف أبين العلامات الخاصة (بابن الإنسان) كما وردت فى الرؤى والتى انطبقت حرفيًا على آخر الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام .

الفصل العشرون

محمد هو المقصود بلقب «ابن الإنسان» الذى جاء فى الرؤى

رأينا فى الفصل السابق استحالة أن يكون عيسى المسيح هو (ابن الإنسان) الذى تنبأتْ به الرؤى اليهودية وأن عيسى لا يمكن أن يكون قد اتخذ ذلك اللقب لنفسه ، ولو أنه فعل ذلك لجعل من نفسه أضحوكة أمام مستمعيه .

لم يكن أمام عيسى سوى أحد طريقين : إما أن ينكر النبوءات والرؤى المتعلقة بـ (ابن الإنسان) على أنها اختلاق وأساطير ، أو أن يؤكدها وينسب ذلك اللقب لنفسه بكل ما يترتب عليه من متطلبات لو كان هو فعلاً ذلك الشخص المنتظر ، أما الادعاء أن (ابن الإنسان) جاء ليَخْدم لا ليُخْدم (إنجيل متى ٢٠/٢٨) ، وأن (ابن الإنسان) سوف يُسلّم لأحبار اليهود لكى يُحكَم عليه بالموت (إنجيل متى٢٠/١٨) وأن (ابن الإنسان) سوف يسلم لأحبار اليهود لكى يُحكَم عليه بالموت (إنجيل متى ٢٠/١٨) وأن (ابن الإنسان) جاء ليشرب الخمر مع العابثين فى الحانات (إنجيل متى ١١/١٩) وأنه كان متسولاً يعيش على صدقات الناس ، كل ذلك كان سيعنى الإهانة لأمته اليهودية والاحتقار لتطلعاتها الدينية ، أما التفاخر بأن (ابن الإنسان) جاء لإنقاذ خِراف إسرائيل التائهة (إنجيل متى ١٨/١١) ولكنه مضطر لتأجيل ذلك إلى يوم القيامة ، وحتى فى يوم القيامة فإنه سوف يُلقى بهم فى النار ، فهذا يعنى الإحباط لآمال الشعب اليهودى الذى تشرف وحده – حتى ذلك الحين – باعتناق الدين الحق كما يعنى الاحتقار لأنبيائهم وأصحاب الرؤى منهم .

فهل كان بإمكان عيسى المسيح انتحال ذلك اللقب ؟ وهل كُتّاب الأناجيل الأربعة من اليهود حقًا ؟ وهل يعقل أن يصدق عيسى المسيح ما تزعمه عنه الأناجيل الحالية ؟ وهل يمكن لأى يهودى حقيقى أن يكتب هذه القصص عمدًا لتثبيط اليهود وإحباط توقعاتهم ؟ من المستحيل أن يكون قد حدث ذلك . كما أنه من المستحيل أن ينتحل عيسى هذا اللقب الفخم بين شعب كان يعرف حق المعرفة الصاحب الحقيقى لذلك اللقب . وإن مجرد افتراض عمل من هذا النوع من جانب عيسى المسيح عليه السلام يجعلنى انتفض . وكلما تعمّقت بهذه الأناجيل ازداد اقتناعى أنها إنتاج غير يهودى وأنها عبارة عن عملية توازن لمضاهاة الرؤى اليهودية وعلى الأخص الكتب السبيلية منها (Sibyllian Books) ولا يمكن أن يكون قد كتبها إلا النصارى اليونان الذين لم يكن لديهم أدنى اهتمام بادعاءات سلالة إبراهيم . إن مؤلف الكتب السبيلية يضع أنبياء.اليهود إدريس وسليمان ودانيال وعزير جنبًا إلى جنب مع حكماء اليونان هيرمس وهوميروس وأورفيوس وفيثاغورس وغيرهم بغرض الدعاية للديانة اليهودية وقد كتبت هذه الكتب بعد خراب القدس والهيكل وفى الفترة التى نُشرت فيها رؤيا القديس يوحنا . كما أن الغرض من الكتب السبيلية كان التنبؤ أن (ابن الإنسان) العبرى[1] أو المخلّص المنتظر سوف يأتى ليهزم الرومان ويقدم الدين الصحيح للعالم .

والآن بإمكاننا التحقق أن صفات وهوية (ابن الإنسان) قد انطبقت على محمد وحده وذلك استنادًا على ما جاء فى الأناجيل والرؤى معًا وفى تتمة هذا الفصل سوف أبحث البراهين التى وردت فى الأناجيل وفى الفصل التالى البراهين الواردة فى الرؤى .

الأناجيل :

يلاحظ أنه فى العبارات الواضحة والمتماسكة المنسوبة إلى عيسى ينطبق لقب ابن الإنسان على محمد وحده دون غيره أما العبارات التى يفترض فيها أن عيسى قد اتخذ ذلك اللقب لنفسه فيلاحظ أنها مفككة عديمة المعنى وفى غاية الغموض كما هى الحال فى العبارات التالية مثلاً :

---

(١) المقصود بكلمة (عبرى) بمعناها العام هو كل ما ينسب إلى سلالة إبراهيم عليه السلام والتى تفرقت فيما بعد إلى بنى إسماعيل وبنى إسرائيل .

(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب الخمر وقيل انظروا شارب الخمر صديق أصحاب الحانات والعابثين ...) (إنجيل متّى ١١/١٨-١٩) . لقد وصفوا يحيى المعمدان بأنه كان شيطانًا مع أنه لم يشرب الخمر وعاش على الماء والجراد والعسل البرى وفى نفس الوقت وصفوا عيسى ابن الإنسان المزعوم الذى شرب النبيذ حسب قولهم بأنه (صديق الحانات والعابثين) ! فكيف يلومون نبيًا على صيامه وعفّته ويتهمون رسولا من الله بالتردد على ولائم الخمارين والعابثين وبأنه مولع بالنبيذ . وهل يستطيع النصارى تحمل رؤية قسيس أو راع للكنيسة يسلك هذا السلوك ؟ قد يقولون أنه يختلط بجميع أنواع الخاطئين بغرض إرشادهم وإصلاحهم ولكن يجب أن يكون متزنًا ومعتدلاً فى سلوكه وليس شاربًا للخمر . ثم يُقال لنا أن عيسى قد هدى اثنين من العشارين (متى ٩/٩ ، لوقا ١٩/١-١١) وعاهرة (إنجيل يوحنا : ٤) واحدة ، ومريم المجدلية التى كان بها مس من الشيطان (إنجيل لوقا : ٨/٢) ، فى حين كانت اللعنات والشتائم تنهال على رجال الدين والقانون (إنجيل متى ١٣ وغيره) ، إن كل هذا يبدو مربكًا وصعب التصديق، فلا يعقل أن عيسى المسيح كل مغرمًا بالنبيذ وأنه غيّر ستة براميل من الماء إلى نبيذ قوى لكى يذهب بعقول السكارى فى قاعة عرس فى قانا (إنجيل يوحنا ٢) ويتصرف كأفاق ومشعوذ أو ساحر ينفذ أعجوبة أمام جمهور من السكارى ! إن وصف عيسى بالسكير والنّهِم وصديق المستهترين والعابثين ثم إعطاءه بعدئذ لقب(ابن الإنسان) يعتبر إنكارًا لكل الوحى اليهودى .

ويقال أيضًا أن **(ابن الإنسان جاء ليبحث عمّا ضاع ويسترده)** (إنجيل لوقا ١٩/١٠) ويفسر المعلقون هذه العبارة تفسيرًا روحيًا ونحن نقرّ أن عيسى أرسل فقط إلى (خراف إسرائيل الضالة) لإصلاحها وهدايتها ولا سيما لكي يبشرها عن (ابن الإنسان) الذى سيأتى بالسلطة والخلاص لإعادة ما فُقد وإعادة بناء ما أصبح خرابًا وهزيمة وإبادة أعداء المؤمنين ، ومن الواضح أن عيسى لم يكن ليستطيع أن يتخذ لنفسه لقب (بارناشا) المذكور فى الرؤى ثم يعجز عن إنقاذ أحد باستثناء (زخيوس) وامرأة سامرية وعددًا قليلاً من اليهود الآخرين بما فيهم الحواريين الذين قتل معظمهم فيما بعد . والأرجح أن ما قاله عيسى هو : **(إن ابن الإنسان سوف**

يأتى ليبحث عما ضاع ويسترده) وقد جاء محمد ﷺ فاسترد فعلاً ما كان قد ضاع ، القدس ومكة والأراضى الموعودة وحقيقة الدين الصحيح وسلطة مملكة الله على الأرض .

ويقال أيضًا أن **(ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الرجال)** .. إلخ (إنجيل متى ١٦/٢١) وهذا من جملة الأقوال التى جعلت عيسى موضوع الآلام والموت .. ولاشك أنها اختُلقت من قبل كاتب دجال لا يمكن أن يكون يهوديا بهدف إقناع اليهود أن عيسى المسيح هو المخلص الظافر المذكور فى الرؤى ولكنه سوف ينتصر يوم القيامة وليس فى هذه الحياة الدنيا . تلك كانت الدعاية الخبيثة التى صيغت خصيصًا لليهود ولكن النصارى اليهود اكتشفوا هذه الحيلة لأنه لا يوجد شيء أكثر مناقضة لتطلعاتهم من تصوير المخلص الذى ينتظرونه (البرناشا العظيم) على أنه عيسى الذى حكم عليه كبار أحبارهم بالصلب بتهمة إغواء الناس .

ولندرس الحجج التالية التى تبرهن أن عيسى لم يتخذ لقب ابن الإنسان لنفسه :

(ا) تخصص الرؤى اليهودية لقبىْ *(المخلص المنتظر)*[1] و (ابن الإنسان) لخاتم الأنبياء الذى يهزم قوى الظلام ويقيم مملكة السلام (الإسلام) على الأرض أى أن اللقبين مترادفان . وفى الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد نقرأ أن عيسى نفى أن يكون المخلص المنتظر ومنع تلاميذه أن يقولوا ذلك عندما سأل تلاميذه : (من تظنوننى ؟) أجابه سمعان بطرس : أنت مسيح الله فأمرهم أن لا يقولوا ذلك لأحد (إنجيل لوقا ٩/٢٠-٢١ ، إنجيل متى ١٦/٢٠ ، إنجيل مرقص ٨/٣٠) . ويذكر متّى إثر ذلك (متي ١٦/١٩) أن عيسى عليه السلام بعد أن لقب بطرس بالصفا خوّله سلطة مفاتيح الجنة والنار فى حين أن مرقص ولوقا لم يذكرا شيئا عن ذلك أما يوحنا فإنه لم يسجل كلمة واحدة عن هذا الحوار .

ثم ينسبون إلى عيسى القول أن (ابن الإنسان) سوف يُسلم لأعدائه ثم يُقتل فلو صحّ ذلك لكان اعترافا صريحا منه بأنه ليس المخلص المنتظر

---

(١) فى الكتب اليهودية يطلق لقب Messiah على (المخلّص المنتظر) المفترض أن يهزم قوى الشر ويقيم مملكة السلام على الأرض .

وقيل أن بطرس حذره من تكرار هذا الكلام عن آلامه المقبلة وموته ولكنه وبخ بطرس بشدة قائلا : **(ارجع خلفي يا شيطان)** (متى ٢٣/١٦) ، فكيف يمكن التوفيق بين مكافأة بطرس يلقب الصفا الرفيع وسلطة مفاتيح الجنة والجحيم ثم إطلاق لقب (شيطان) عليه بعد لحظات ؟!.

إن هذين القولين المتناقضين اللذين أوردهما متى على لسان عيسى (أو جرى دسهما عليه من قبل أحد المحرفين) أحدهما يبطل الآخر ؛ ففي خلال برهة وجيزة يسمى بطرس صخرة الإيمان ويخوله مفاتيح الجنة والنار كما تتباهى به الكاثوليكية (متى ١٦/١٨-١٩) ، ثم يسميه شيطان الكفر (متى ١٦/٢٣) كما تصفه البروتستانتية في معرض السخرية ؟!

ولو كان عيسى ابن الإنسان أو المخلص المنتظر كما شاهده وتنبأ به دانيال وعزير وإدريس والأنبياء والأحبار واليهود والآخرون لما منع تلاميذه من إعلان ذلك .

ولو كان هو المخلّص المنتظر أو ابن الإنسان لأصاب خصومه بالذعر ولهزم ودمر الدولتين العظيمتين : الرومانية والفارسية ولكان جند معه محاربين أشداء أمثال علي وعمر وخالد وغيرهم كما فعل محمد ﷺ ، وليس من أمثال زيدى ويونس اللذين اختفيا عندما قدمت الشرطة الرومانية للقبض عليه .

إنه لا يمكن أن يكون هنالك (ابنان للإنسان) أحدهما يخوض الحروب المظفرة ويجتث الوثنية وممالكها والآخر راهب من المساكين يزعمون أنه استشهد بصورة مزرية على يد الرومان الوثنيين والأحبار اليهود الذين لم يصدقوه .

إن (ابن الإنسان) الذى رآه النبي حزقيال (ذو الكفل) تحت أجنحة الملائكة (سفر حزقيال ، الفصل الثاني) ورآه النبي دانيال أمام عرش الله تعالى (سفر دانيال الفصل السابع) لم يكن ليعلق على الصليب كما زعموا ولكنه حول عروش الملوك الكفرة إلى صلبان لهم ، وحوّل قصورهم إلى مقابر . إن محمدا وليس عيسى هو الذى حصل على لقب (ابن الإنسان) فالحقائق أبلغ من الأوهام والمعاذير .

(ب) يطلق عيسى على (ابن الإنسان) لقب (سيد يوم السبت) (إنجيل متى ٨/١٢) وهذا أمر يلفت النظر لأن شريعة موسى ركزت على قداسة اليوم السابع ، فقد أتمّ الله عملية الخلق فى ستة أيام وزعموا أنه استراح فى اليوم السابع وقد أوجبوا الراحة الإلزامية يوم السبت على كل رجل وامرأة وطفل وعبْد وحتى الحيوانات تحت طائلة عقوبة الموت بحجة أن الوصية الرابعة من الوصايا العشر تقول (تذكروا يوم السبت وقدسوه) (سفر الخروج ٢٠/٨) ويدعى طلبة التوراة أن الله كان غيورا كما يزعمون حول مراعاة يوم الراحة وهناك احتمال قوى أن السبت اليهودى جاء فى الأصل من (السباتو) "Sabattu" البابلى .

وقد دحض القرآن الكريم ادعاء اليهود أن الله سبحانه وتعالى عمل ستة أيام ثم تعب كما يتعب البشر وذلك فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

(سورة الأعراف الآية ٥٤)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة ق ، الآية ٣٨)

لقد طغى فى تفكيرهم المادى عن يوم السبت فبدلاً من جعله يوم راحة ومتعة حولوه إلى يوم من الحرمان والحبس والملل فمنعوا فيه الطبخ والخروج والإحسان وتقديم الصدقات وكان أقل خرق لذلك يعاقب عليه بالرجم أو القتل وزعموا أن موسى حكم بالرجم على مسكين التقط عصيّا من الأرض يوم السبت كما أنهم ويخوا بعض الحواريين لحصدهم القمح يوم السبت رغم جوعهم . ومن المفارقات أن رجال الدين فى الهيكل كانوا يخبزون الخبز ويقدمون التضحيات فى يوم السبت لكنهم وبخوا المسيح لأنه شفى بمعجزة رجلاً فقد ذراعه يوم السبت (إنجيل متى ١٢/١٠-١٣) ، وقد

أجابهم المسيح بأن السبت وجد لفائدة البشر وليس البشر لفائدة السبت . إن عيسى المسيح لم يتقيد بالتفسير الحرفى للتعليمات المشددة القاسية حول السبت متوخيًا الرحمة والعطف وليس الشدة ومع ذلك فلم يفكر فى إلغاء السبت ولم يكن فى وسعه أن يغامر بذلك إذ لو فعل ذلك واستبدل يومًا آخر به لهجره أتباعه ولهاجمه الجمهور ورجموه . يقول المؤرخ اليهودى يوسف فلافيوس ، ويوزبيوس وآخرون أن جيمس - الأخ المزعوم لعيسى - كان إبيونايتيا "Ibrionite" متشددا وقد تزعم النصارى اليهود الذين تقيدوا بشريعة موسى وبالسبت بكل ما فيه من مظاهر ، ثم تدريجيا استبدله النصارى الهلينيون بـ (يوم الرب) أى يوم الأحد ولكن الكنائس الشرقية ظلت تراعى يومى السبت والأحد معًا حتى القرن الرابع .

فلو كان عيسى (سيد يوم السبت) لكان عليه أن يعدل من قانونه الصارم أو يلغيه كلية ولكنه لم يفعل ، وقد فهم اليهود جيدا من كلامه أن المخلص المنتظر هو سيد السبت وهذا هو السبب فى سكوتهم وهنا كما فى أماكن أخرى يوجد حذف متعمد فى الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد الجديد حيث حذفوا بعض مواعظ عيسى عن ابن الإنسان مما سبب الغموض والتناقض وسوء الفهم . وما لم نتخذ القرآن الكريم مرشدا ونعترف بمحمد على أنه النبى الذى هدفت إليه الكتب المقدسة فإن جميع المحاولات للوصول إلى الحقيقة أو إلى استنتاج معقول ستنتهى بالفشل .

قرأت مؤخرًا مؤلفات العالم الفرنسى (أرنست رينان) عن (حياة عيسى المسيح والقديس بولس والدجال) وذهلت لكمية المراجع القديمة والحديثة التى اعتمد عليها حتى ذكرنى بجيبون Gibbon وأمثاله ومع ذلك ماذا كانت نتيجة أبحاثه وأبحاث غيره ؟ صفرًا أو سلبًا . إنهم بهذه الكتابات يشوهون المعتقدات ويسممون العواطف الدينية ولو أنهم استرشدوا بروح القرآن لوجدوا أن محمدا هو المصداق الحرفى والواقعى للكتب المقدسة . إن المتدينين يريدون دينًا حقيقيًا عمليًا وليس كلامًا نظريًا ، يريدون ابن الإنسان القوى الذى يقضى على اعداء الله ويبرهن فعلا أنه (سيد يوم السبت) فيلغيه لأن اليهود أساءوا استعماله كما أساء النصارى استعمال عبارة (أبوّة الله) وهذا ما فعله محمد بالضبط وقد كررت مرارًا أنه لا يمكن

فهم هذه الكتب الدينية المحرفة إلا عندما نمحص أقوالها الغامضة والمتناقضة على ضوء القرآن ، وبه فقط نميز الحقيقى منها عن المزيف . فمثلا عندما نقرأ عن الرهبان الذين أحلوا السبت فى الهيكل يُنسب إلى عيسى قوله **(أقول لكم ها هنا الشخص الذى هو أعظم من الهيكل)** (إنجيل متى ١٢/٦) فلا أجد تفسيرًا لعبارة (ها هنا) إلا لو كانت **(سوف يكون ها هنا)** لأنه لو تجرأ عيسى أو أى نبى قبله فأعلن أنه أعظم من الهيكل لهاجمه اليهود فورًا بتهمة الكفر ما لم يكن حقًّا (ابن الإنسان) الذى أعطى السلطان والقوة كما كان رسول الله محمد ﷺ .

وقد ألغى القرآن الكريم عطلة السبت فى الآية (٩) من سورة الجمعة وقد كان العرب قبل ذلك يدعون يوم الجمعة (بالعروبة) وفى نسخة بشيتا السريانية نجد كلمة (عروبتا) من الكلمة الآرامية (عَرَبْ) بمعنى غَرَب (من غروب الشمس) لأنه بعد غروب الشمس يوم الجمعة يبدأ السبت الذى اقتبست قداسته من شريعة موسى . أما سبب اختيار الجمعة فذو مغزى مزدوج :

أولا : فى يوم الجمعة اكتملت عملية الخلق العظيمة لهذا الكون وكان هذا أول حدث يقطع السرمدية ويبرز الزمان والمكان والمادة إلى حيّز الوجود فوجب إحياء الذكرى بهذا الحدث المعجز وإضفاء القداسة عليه .

ثانيا : إن المؤمنين يتجمعون فيه فسمى (الجمعة) لأنه يوم الجماعة .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الجمعة الآية ٩)

أما بعد انتهاء الصلاة الجامعة فلا شيء يمنع استمرار المؤمنين فى أعمالهم كالمعتاد .

(جـ) لقد سبق أن شرحنا عبارة متى (إنجيل متى ١٨/١١) التى تنص أن مهمة (ابن الإنسان) هى استرداد ما ضاع ، أما تلك الأشياء التى ضاعت والمفترض أن يستردها ابن الإنسان فهى على نوعين : دينية وقومية :

١ – إعادة دين إبراهيم الصحيح بتنقيته من المعتقدات الدخيلة والانحرافات وإعادة طابعه العالمي ، وإعادة جميع الشعوب والقبائل التى انحدرت من سلالة إبراهيم إلى دين السلام الذى هو (دينا شلاما) أو (دين الإسلام) . لقد كان دين موسى قوميًا خاصا باليهود كما كان عيسى المسيح يهوديا ولم يكن مطلوبا منه إنجاز مثل هذا العمل الضخم فهو يقول : **(لاتظنوا أنى جئت لأنقض القانون أو الأنبياء)** (إنجيل متى ٥/١٧-١٩) . ومن ناحية أخرى كان لابد من محو الوثنية والخرافات والشعوذة التى انتشرت بين العرب وإعادة عقيدة التوحيد تحت راية (لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسولُ الله) .

٢ – توحيد الأمم المنحدرة من سلالة إبراهيم وتحريرها من الأفكار الفاسدة العنصرية التى تتضمنها الكتب المقدسة مثل التعصب العنصرى ضد غير اليهود ، فاليهود يحتقرون الأبناء الآخرين لجدهم العظيم إبراهيم من سلالة إسماعيل والآدوميين Edomites وبقية القبائل الإبراهيمية وقد استمر ذلك حتى عندما أصبح بنو إسرائيل أسوأ الوثنيين والكفرة . وإن ما ورد فى سفر التكوين أنه بالإضافة إلى ختان إبراهيم وإسماعيل فقد تم ختان ثلاثمائة وأحد عشر من جنوده وعبيده الذكور يعتبر حجة دامغة ضد تعصب اليهود تجاه الشعوب الأخرى من أبناء عمومتهم إن مملكة داود لم تكد تغطى فى زمانها مساحة ولايتين صغيرتين من ولايات الدولة العثمانية ، وإن (ابن داود) المخلص الأخير الذى لا يزال اليهود ينتظرونه قد لا يكون قادرا على احتلال حتى هاتين الولايتين عدا عن أن المقصود من مجيئه كان القضاء على الإمبراطورية الرومانية التى سحقت على يد محمد فماذا يريدون غير ذلك ؟ لقد أسس محمد (ابن الإنسان المنتظر) مملكة السلام (الإسلام) التى دخل فيها طواعية أكثرية اليهود فى شبه جزيرة العرب والشام والعراق وغيرها كما أسس أخوة شاملة نواتها أسرة إبراهيم ومن أعضائها العرب والفرس والأتراك والأكراد والبربر والصين والزنوج والجاويين والهنود والإنجليز . إلخ . فشكلوا (أمة واحدة) (أمثا – دا – شلاما) بالسريانية أى الأمة الإسلامية .

٣ ـ استرداد الأراضى الموعودة بما فى ذلك أرض كنعان وجميع الأراضى من النيل إلى الفرات وامتداد مملكة الله من المحيط الهادى إلى المحيط الأطلسى ، كل ذلك ما هو إلا تَحقُّق فعلى ومدهش لجميع النبوءات عن سيد الأنبياء والبشر .

الفصل الواحد والعشرون

ابن الإنسان بحسب الرؤى اليهودية

من الأبحاث السابقة تبين لنا أن لقب (برناشا) أو (ابن الإنسان) ليس كلقب المسيح الذى كان ينطبق على كل نبى وكاهن وملك ممسوح بالزيت وإنما هو (اسم علم) يختص بخاتم الأنبياء فقط وقد وصف المتصوفون وأصحاب أسفار الرؤى من اليهود (ابن الإنسان) على أنه الرسول الذى سوف يأتى فى الوقت المناسب لينقذ بنى إسرائيل والقدس من الوثنية والاضطهاد وينشئ المملكة الدائمة لعباد الله المخلصين . لقد رأى فيه المتصوفون المخلّص القوى ذا الإلهام والقوة والمجد ولم يسبق لأى نبى أو متصوف قط أن ادعى أنه (ابن الإنسان) أو أنه سوف (**يعود ثانية فى اليوم الآخر ليحكم بين الأحياء والأموات**) . إن المجمع المسكونى فى نيقية (٣٢٥م) وحده هو الذى نسب ذلك الادعاء المزعوم إلى عيسى المسيح .

وقد تكرر استعمال هذا اللقب على لسان المبشرين الأوائل مما يدل على معرفتهم الأكيدة بالرؤى اليهودية Apocalypses واعتقادهم الراسخ بمصداقيتها وقداستها . ومن البديهى أن الرؤى التى حملت أسماء إدريس ، وموسى ، وباروخ ، وعزير قد كُتبت قبل الأناجيل بزمن طويل ، وأن مؤلفى الأناجيل بعد ذلك استعاروا لقب (ابن الإنسان) من تلك الرؤى مما يفسر تكرار ورود اللقب فى الأناجيل الحالية .

ولا شك أن عيسى المسيح كان يعلم أن (ابن الإنسان) هو شخص غيره لأنه كان يعرف تمام المعرفة طبيعة ابن الإنسان والإنجازات التى عليه تحقيقها حسب تنبؤات أصحاب الرؤى الذين كان عيسى يعتبرهم من ذوى

الإلهام . ولو أن عيسى اعتقد أنه (ابن الإنسان) حقًا لوقع فى تناقض ضخم ووهم أضخم مما يؤدى بنا إلى نتيجة ليست فى صالح نبى معصوم ، وإن الطريق الوحيد لتبرئة المسيح من ذلك هو أن ننظر إليه كما وصفه وشرّفه القرآن . وعليه فإننا ننسب جميع الأقوال المتناقضة المنسوبة إليه فى الأناجيل إلى مؤلفى الأناجيل أنفسهم أو الذين حرفوها بعدهم .

وقبل أن نستمر فى دراسة موضوع (ابن الإنسان) كما صورته أسفار الرؤى اليهودية يجب أخذ الحقائق التالية بعين الاعتبار :

أولا : إن أسفار الرؤى ليست من ضمن الكتاب اليهودى المقدس وليست حتى من ضمن الكتب الأبو كريفية (الأسطورية) التى تسمى (Deutro-Canonical) ضمن كتب العهد القديم .

ثانيًا : أن مؤلفى تلك الأسفار غير معروفين رغم أنها تحمل أسماء : إدريس وموسى وباروخ وعزير . ويبدو أن مؤلفيها الحقيقيين كانوا على علم بالخراب النهائى للقدس وتشتُّت اليهود تحت حكم الرومان . ويحتمل أن انتحال أسماء قدامى الأنبياء بهذه الأسفار كان منبثقًا من عواطف وتوجهات دينية معينة . وشبيه بذلك ما كتبه (أفلاطون) على لسان أستاذه سقراط .

ثالثًا : ورد على لسان كبير الأحبار (بول هاجونوار)[١] ما يلى :

احتوت هذه الأسفار على أفكار جدلية غامضة غيبية حاولت تفسير أسرار الطبيعة وأصل الإله ومشكلات الخير والشر والسعادة والعدالة والماضى والحاضر . ونسبت ذلك إلى الوحى على لسان الأنبياء من أمثال إدريس وموسى وباروخ وعزير . ومن الواضح أنها من نتائج عهود الكوارث اليهودية المؤلمة وعليه فإنه لا يمكن فهمها أكثر مما يمكن فهم سفر الرؤيا الذى يحمل اسم القديس يوحنا .

رابعًا : لقد حرف المسيحيون أسفار الرؤى ففى سفر إدريس نجد أن (ابن الإنسان) يدعى أيضًا (ابن المرأة) وتارة يدعى (ابن الله) ، مما

---

(١) Paul Haguenauer, Manuel de Litterature Juive. Nancy 1927 .

يعتبر تحريفًا باتجاه نظرية الكنيسة حول تجسيد الإله . إذ يستحيل على أى يهودى أن يكتب أو يخطر على ذهنه عبارة (ابن الله) .

خامسًا : يلاحظ أن الاعتقاد بمجيء المخلّص الأخير ليس إلا تطويرًا متأخرًا للنبوءات القديمة عن آخر أنبياء الله الذى بشر به يعقوب وأنبياء آخرون ، ولم يرد الادعاء بأن هذا « المخلّص الأخير » سوف يأتي من نسل داود إلا فى الكتب الأبو كريفية المشكوك بصحتها وفى أسفار الرؤى اليهودية ومخطوطات الحاخاميين . صحيح أن هناك تنبؤات أخرى حصلت بعد الأسر البابلى وبعد نفى القبائل العشر إلى بلاد الآشوريين ، حول (ابن داود) الذى سيأتى كى يجمع شتات إسرائيل ولكن هذه التنبؤات لم تتحقق إلا جزئيًا وبشكل محدود على زمن (زوربابل) وهو من نسل الملك داود . ثم أنه بعد غزو الإسكندر المقدونى كانت تتكرر تلك التنبؤات ، ورغم ادعاءات البعض فإن هذه النبوءات لم تتحقق فى شخص يهوذا المكابى الذى حارب بنجاح ضئيل لا يكاد يُذكر ضدّ أنطيوخوس أبيفانس أحد خلفاء الإسكندر (١٦٧ ق.م) وكان نجاحه مؤقتًا غير ذى قيمة .

إن أسفار الرؤى التى تمتد رؤاها إلى حقبة ما بعد خراب القدس على يد الإمبراطور الرومانى تيطوس (٧٠م) تنبأت بأن (ابن الإنسان) سوف يظهر بسلطة عظيمة لدحر السلطة الرومانية وأعداء إسرائيل الآخرين . وقد انقضت قرون عديدة من الزمن قبل هزيمة إمبراطورية روما فى القرن الخامس للميلاد بواسطة الإمبراطور التيكى (أتيلا) الوثنى ، ثم انهيار إمبراطورية بيزنطة على يد المسلم التركى السلطان محمد الفاتح فى القرن الخامس عشر ، ولكن السلطة الرومانية كانت قد اندحرت قبل ذلك بكثير من الأراضى الموعودة لإسماعيل على يد خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ .

وهكذا لم يعد هنالك من مبرر عند اليهود لانتظار مخلّص آخر فلو كنتُ يهوديًا متحمسًا لراجعت هذا الأمل عن مجيء المخلّص المنتظر وحتى لو ظهر (ابن داود) على تل صهيون وادعى بأنه المخلّص المنتظر فسأكون أول من يقول له لقد تأخرت كثيرًا فلا تفسد التوازن فى فلسطين ولا تسفك الدماء لأن أى نجاح قد تحققه لن يتعدى النجاح الذى حقّقه أجداده داود ، وزوربابل ، ويهودا المكابى .إن الفاتح اليهودى الكبير لم يكن داود بل جاء

قبله بكثير وهو (يوشع بن نون) أو يوشع إذ كان هو المسيح الأول الذى بدلاً من أن يحاول هداية القبائل الوثنية الكنعانية التي أبدت مُنتهى الكرم والطيبة تجاه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فإنه أعمل فيها المذابح دون شفقة ولا رحمة . لقد كان يوشع هذا مسيح ذلك الزمن مثلما كان كل قاضٍ وملك يهودى خلال حوالي ثلاثة قرون يدّعى أنه المسيح والمخلّص . لقد كانوا يتنبأون بظهور مخلّص جديد كلما حلت بهم كارثة كبرى وكالعادة فإن الخلاص بعد الكارثة كان دومًا محدوداوغير كافٍ .

أما النصارى الذين يدعون أن عيسى هو (ابن الإنسان) فإنى أقول لهم : لو كان عيسى هو المخلّص المنتظر لبنى إسرائيل لكان حرر اليهود من النير الرومانى سواء صَدّقه اليهود أم لم يُصدقون ، فالخلاص يأتى أولاً والعرفان بالجميل والولاء ثانيًا وليس العكس . لقد كان اليهود بحاجة ماسّة إلى بطل يحررهم ولم يكونوا بحاجة إلى نبى يجترح المعجزات والخوارق فكل تاريخهم كان منسوجًا بالعجائب والمعجزات التى لم تزدهم إيمانًا ، لقد رفض اليهود عيسى المسيح ليس فقط لأنه لم يكن (ابن الإنسان) والمذكور فى الرؤى أو لأنه لم يكن هو المسيح أو لأنه لم يكن نبيا فقد كانوا يعلمون جيدا أنه لم يكن ابن الإنسان وهو نفسه لم يَدّع ذلك وكانوا يعلمون أنه كان نبيًا حقًا ولكنهم رفضوه لأنه صرح أن المخلّص المنتظر لن يكون ابنًا لداود ولكن سيدًا له وقد ورد ذلك فى أناجيل متّى ومرقص ولوقا (متّى ٢٢/٤٤ - ٤٦) و (مرقص١٢/٣٥- ٣٧) و (لوقا ٢٠/٤١-٤٤) كما ورد فى إنجيل برنابا على لسان عيسى أنه سوف يتم الوفاء بالعهد على يد (شايلوه) أى رسول الله المنحدر من نسل إسماعيل ، ولهذا السبب يصف التلموديون عيسى بأنه (بلعام الثانى) أى أنه النبى الذى تنبأ لمصلحة الوثنيين على حساب شعب الله المختار كما يدّعون . وهكذا فإن تقبُّل اليهود لعيسى أو رفضهم له لم يكن له علاقة بطبيعة رسالته . ولو كان هو المخلّص الأخير لكان أخضع اليهود لسلطانه وقهر السلطة الرومانية كما فعل محمد . وسوف أبيّن الآن أن (ابن الإنسان) المذكور فى أسفار الرؤى لم يكن أحدا غير محمد المصطفى (ﷺ) .

١ - إن الوصف الرائع الذى تضمنته رؤيا النبى دانيال (سفر دانيال ، الفصل ٧) يجعل من المستحيل أن تنطبق أوصاف البرناشا (ابن الإنسان)

على أحد من أبطال المكابيين أو على عيسى المسيح . وإن الوحش الفظيع الذى قهره (ابن الإنسان) فى رؤيا دانيال لا يمكن أن يكون رمزًا لخليفة الإسكندر أنطيوخوس أبيفانس ولا نيرون قيصر روما .لقد بلغ الشر ذروته فى ذلك الوحش الفظيع بأن نطق بالكفر بالله تعالى بجعله ثلاثة آلهة بدلاً من إله واحد وكذلك باضطهاده المؤمنين الذين ثبتوا على الوحدانية ، إن الوحش لم يكن سوى قسطنطين الكبير الذى ادعى النصرانية ورعى المجمّع المسكونى الأول فى نيقية عام ٣٢٥م .

٢ – تبنأ سفر إدريس (كما ذكرنا فى فصل سابق) بظهور (ابن الإنسان) عندما تهاجم طيور جارحة ووحوش مفترسة قطيعا صغيرًا من الغنم يدافع عنه كبش كبير وعندما يظهر (ابن الإنسان) فإنه يهزم العدو ويطرد قوى الشر من طيور جارحة ووحوش ضارية ، ثم يُسلّم السيف (رمز السلطة والقوة) إلى القطيع الذى يرأسه بعد ذلك ثور أبيض له قرنان أسودان بدلاً من الكبش .

هذه الرؤيا بالطبع رمزية فمنذ أيام يعقوب كان يرمز إلى (الشعب المختار) بقطيع الغنم ، أما أحفاد (عيص) فقد وُصفوا بأنهم خنازير برية ، وأما الوثنيين والكفار فهم الغربان والنسور والوحوش المفترسة ومن الغريب أن معظم مفسرى الكتاب اليهودى المقدس يظنون أن هذه الرؤيا تُشير إلى صراع المكابيين ضدّ جيوش أنطوخيوس أبيفانس (١٦٧ ق. م) والذى استمر حتى موت حنّا هوركانوس (١١٠ ق.م) لكن هذا التفسير خاطئ تمامًا ومن شأنه أن يجعل هذه الرؤيا غير ذات معنى . فمن غير المعقول أن يقوم إدريس (وهو نبى ما قبل الطوفان) بسرد تاريخ البشرية ابتداء من آدم ثم ينتهى بـ (حنّا هوركانوس) أو أخيه (يهودا المكابى) المرموز إليه بالثور الأبيض حسب زعم المفسّرين ، لأنه بعد ذلك بقيت جماعة المؤمنين (قطيع الغنم) فريسة للرومان والنصارى والوثنيين . ذلك أن حروب المكابيين ونتائجها كانت تافهة ولم تحسم الصراع بين الإيمان والكفر والوثنية كما أنه لم يظهر بين المكابيين نبى يؤسس الحكم المسيحانى الذى تسميه الأناجيل (مملكة الرب) . وعلاوة على ذلك فإن هذا التفسير لا يتمشّى مع الشخصيات الرمزية لأحداث الرؤيا مثل قائد القطيع الذى يحمل فى يده الصولجان ، والكبش والثور الأبيض .

أضف إلى ذلك أن الشرح النصراني لرؤيا إدريس لا يفسر مغزى التحول عن القدس إلى جهة أخرى شطر الجنوب أى بيت الله العتيق فى مكة ، والذى اتجهت إليه ليس فقط الخراف المؤمنة بل ومختلف القبائل والشعوب الوثنية التى اعتنقت ديانة (ابن الإنسان) قاهر الوثنية والكفر .

والواقع أن رؤيا إدريس ربطت تسلسل الأحداث بصورة مجازية ابتداء من آدم وانتهاء بشخصية نبى مكة . وهناك العديد من الحجج التى تثبت ذلك .

(ا) إن قطيع الخراف بقسميه كان يرمز إلى أهل الكتاب ، يهودًا كانوا أو نصارى من المؤمنين بوحدانية الله من جهة ، والذين أشركوا معه المسيح والروح القدس من جهة أخرى . وتقول الأناجيل أنه فى يوم القيامة سوف يتم فرز الغنم عن الماعز أى المؤمنين عن الكفار (إنجيل متى ٢٥/٣٢-٤٦) مما يؤكد هذا الرأى . أما الكبش الوارد فى الرؤيا فيحتمل أنه يرمز إلى أريوس أو بعض القادة الموحّدين من النصارى الصّادقين أو الحاخام الأكبر لليهود المؤمنين الذين واجهوا عدوًا مشتركًا . وطالما عرفنا قسطنطين بالقرن الشرير فإننا نستطيع تعريف (أريوس) بالكبش لأنه ترأس مجموعة الموحدين بالمجلس المسكونى فى نيقية (٣٢٥م) ودافع بشدة عن الدين الصحيح ضد عقيدة التثليث الفظيعة . أما صفة (الشعب المختار) فقد زالت عن بنى إسرائيل عندما كفروا برسالة عيسى المسيح وصار المؤمنون برسالته ورسالة خاتم الأنبياء هم الشعب المختار .

(ب) لقد أنقذ (ابن الإنسان) قطيع الغنم من أعدائه ثم أعطى الغنم الصولجان الذى يقال له « شبت » فى العبرية وهو شعار السلطة والتشريع أما ذلك الصولجان الصغير الذى منحه الله إلى عشيرة يهودا فقد أخذ منهم وأعطى رسول الله (شيلوه) صولجانًا أكبر وأشد بطشًا عوضًا عنه (سفر التكوين ٤٩/١٠) ومن الرائع والمدهش حقًا كيف تحققت الرؤيا عندما أصبح صولجان محمد شعارًا للسلطة الإسلامية فى الجزيرة العربية وجميع الأراضى الموعودة التى كان فيها شعب الله محل اضطهاد قوى الوثنية : فارس والإغريق والرومان .

(جـ) كانت الرؤى ترمز إلى جميع الأنبياء حتى إسماعيل بالثيران البيضاء ، ولكن من يعقوب فما بعده صارت الكباش هى الرمز لأن الديانة

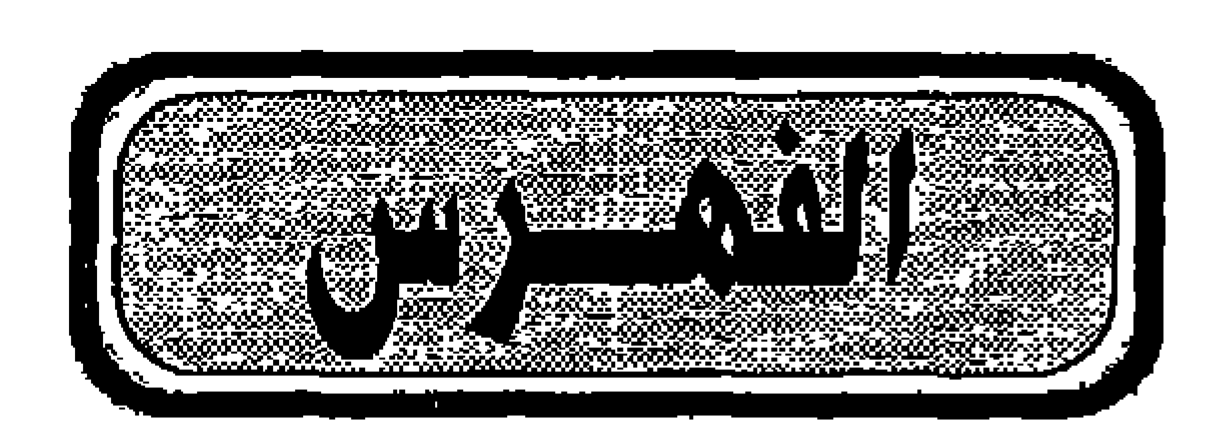
العالمية تقلصت فأصبحت ديانة قومية يهودية وهنا أيضًا تحققت رؤيا عجيبة فالثيران البيضاء التى رمزت إلى كبار زعماء الديانة العالمية القديمة رمزت أيضًا إلى الخلفاء المسلمين مع فارق واحد تميزوا به إذ كان يرمز إليهم بثيران بيضاء ذات قرون سوداء تمثل شعار السلطة المزدوجة الروحانية والدنيوية . فالخليفة ذو السلطتين الروحية والدنيوية كان يتبعه المؤمنون من كافة السلالات والشعوب واللغات وقد بينت الرؤيا بوضوح أن المرتدين والكفار سوف يدخلون فى القطيع وبالفعل دخل فى الإسلام آلاف اليهود والنصارى والصابئين والملايين من العرب والشعوب الوثنية الأخرى ومن المفارقات الجديرة بالذكر في هذه المناسبة أن الدماء التى أريقت في معارك بدر وأُحُد والغزوات الأخرى التي قادها محمد شخصيًا لم تكن شيئًا بالمقارنة مع الدم الذى أراقه (يوشع)فى حروبه كما لم تقع ولم تسجل حادثة قسوة واحدة من قبل رسول الله الذى كان رؤوفًا رحيمًا متسامحًا ولهذا السبب كان وحده من بين بنى البشر الذي رمزت إليه الرؤى بأنه (ابن الإنسان) أى كمثل الإنسان الأول (آدم) قبل خطيئته .

(د) أسس (ابن الإنسان) مملكة السلام كما أسس العاصمة الروحية لها التي لم تعد القدس القديمة بل القدس الجديدة وقد وصفت لنا الرؤى بشكل عجيب كيف سترقع القدس من أرضها وتزرع فى بلاد جنوبية . فما أروع تلك المنجزات التى تمّت بوساطة خاتم الأنبياء . إن القدس الجديدة لم تكن إلا مَكّة التى تقع جنوبًا والمرتفعين اللّذين تضمّهما وهما : (المروة) و (الصفا) يحملان نفس الاسمين (موريا) و (زيون) للمرتفعين فى القدس ولهما نفس المعنى وهكذا صارت مكة القبلة التي يتجه إليها المسلمون فى صلاتهم وحجّهم كما أنه تحقيقًا لرؤيا إدريس فقد أعاد الخليفة الثانى عمر بناء المسجد الأقصى على جبل موريا (المروة) مكان مسجد سليمان . كل هذا يُثبت بمنتهى الروعة أن تلك الرؤيا كانت إلهامًا إلهيًا عن الأحداث الإسلامية التى سوف تتحقق فى المستقبل البعيد ، فهل استطاعت روما أو بيزنطة أن تدعى أنها هى القدس الجديدة ؟ وهل يستطيع « البابا » أو أى « بطريك » آخر أن يدعى بأنه هو الثور الأبيض ذو القرنين الكبيرين الذى جاء وصفه فى الرؤى ؟

وهل تستطيع النصرانية أن تدعي بأنها مملكة السلام في الوقت الذي تجعل المسيح والروح القدس جوهرًا واحدًا متماثلاً مع الإله الواحد الأحد ؟ قطعًا لا لأن الإسلام هو مملكة السلام (شالوم) .

(هـ) في فصول الرؤيا التي تبحث موضوع (مملكة السلام) يُدعى المسيح (ابن الإنسان) ولكن عند وصف (يوم القيامة) فهو يدعى (ابن المرأة) و(ابن الله) وقد جعلوه يشاطر الله سبحانه وتعالى إصدار الأحكام على عباده يوم الحساب . وقد أقرّ جمهور العلماء أن هذه الأفكار السخيفة المغالية ليست من أصل يهودي ولكنها مخترعات وإضافات مسيحية .

أما أسفار الرؤى الأخرى ، المنسوبة إلى (موسى ، وباروخ ، وعزير ، واليوبيليين ، والأوراكيولا سيبيليانا) فيجب أن تُدرس أيضًا بموضوعية لأنه عندئذٍ فقط يمكن أن تفهم ويثبت تحققها في محمد وفي دين الإسلام فقط .

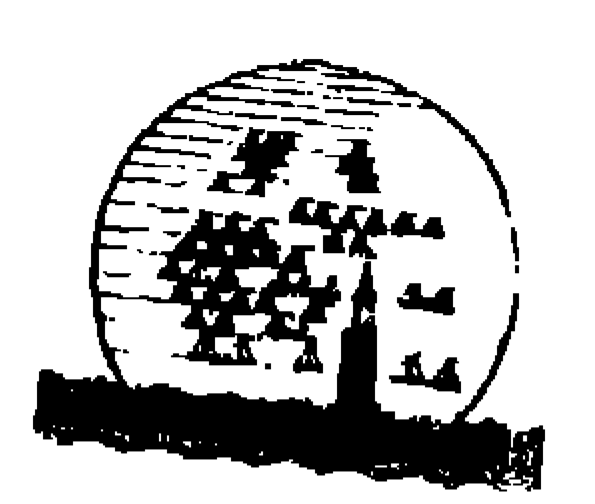


القسم الأول : محمد كما ورد فى العهد القديم

القسم الثانى : محمد كما ورد فى العهد الجديد

رقم الإيداع : ١١١٤٠ / ٩٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 14 - 0330 - 3



General Organization of the Alexandria Library (GOAL
Bibliotheca Alexandrina



نبذة عن حياة المؤلف أستاذ اللاهوت
البروفسور عبد الأحد داود



عبد الأحد داود هو كبير الكهنة (دافيد بنجامين كلدانى) أستاذ اللاهوت وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان . ولد عام ١٨٦٧م قرب (أورميا) فى إيران وتلقى فيها تعليمه الابتدائى . وخلال الفترة من ١٨٨٦ - ١٨٨٩ عمل فى جهاز التعليم ضمن بعثة رئيس أساقفة (كانتربورى) التى كانت توجه النصارى الآشوريين (النساطرة) فى أورميا . ثم أرسل إلى روما ليتلقى تعليمه فى الدراسات الفلسفية واللاهوتية فى كلية (Propaganda Fide) ثم فى عام ١٨٩٥ تم تعيينه كاهنا .

وله عدة مقالات حول الأشورية وروما وكانتربورى وحول موضوع صحة أسفار التوراة وله عدة ترجمات عن السلام المريمى بلغات عديدة . وقد ساهم فى نشر سلسلة مقالات حول موضوع (الكنائس الشرقية) وقد مثل الكاثوليك الشرقيين فى مؤتمر (القربان المقدس) الذى عقد فى فرنسا .

وبعد دراسة مستفيضة للأديان ومقارنتها ببعضها وصل إلى قناعة تامة بأنه لا مفر من اعتناقه للإسلام . عن قناعة وإيمان .

وهذا ما يؤكد قوله تعالى :

﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ .